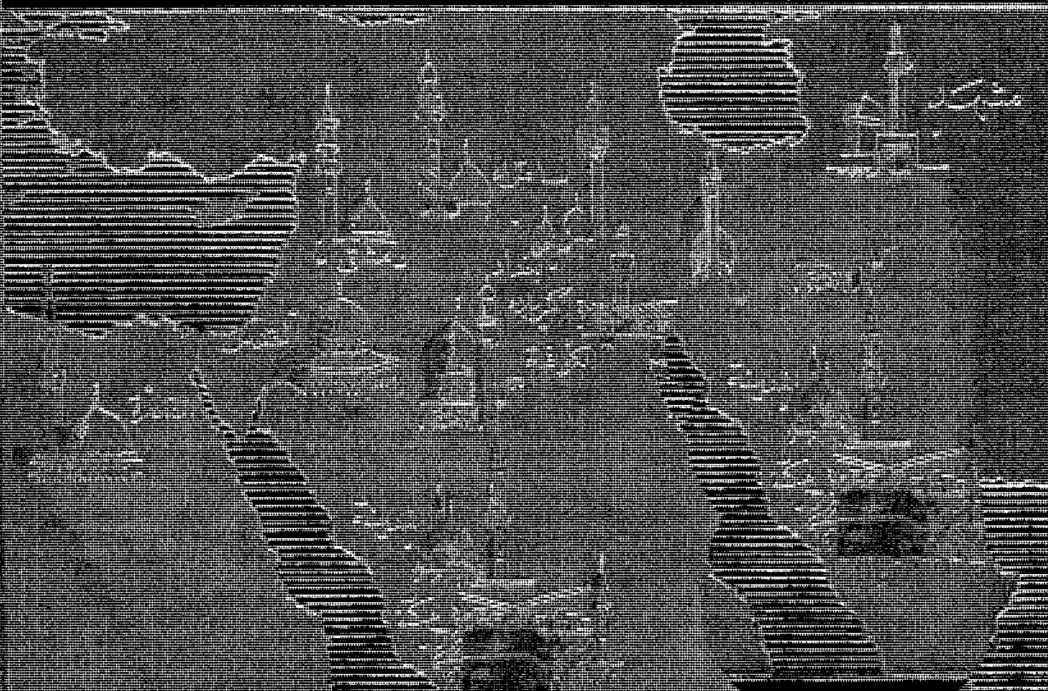
جعفر الخليلي

موسوعة العتبات المقدسة

١

المدخل



منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت

مُوسُوعَةُ العَتَبَاتِ المُقَدَّسَةِ

المدخل - ١

المدخل الى
موسوعة العتبات المقدسة

ألفها وجمع بين بحوثها
وعلق عليها

جعفر الخليلي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

موسوعة العتبات المقدسة

الموسوعة العربية

الموسوعة إصطلاح حديث أطلق على البحوث المستفيضة الواسعة تقابلها كلمة (الأنسكلوبيديا) وهي كلمة يونانية تعني مجموعة العلوم والفنون وقد عرّبت باسم (دائرة المعارف) ، واسم الموسوعة أعم وأكثر شمولاً من اسم دائرة المعارف ، سواء كانت الموسوعة أوسع في حقيقتها مدى من (المعاجم) ومن (دوائر المعارف) أم أقل منها إحاطة بالمواد والمواضيع ، فكل دائرة معارف ، وكل معجم ، موسوعة في الاصطلاح ، ولكن ليس كل موسوعة — عند الكثيرين — معجماً أو دائرة للمعارف ، والفرق بين الموسوعة ، والمعجم ، أو دائرة المعارف ، فيما جرى عليه الاصطلاح الحديث هو أن نظام التأليف في المعجم وفي دائرة المعارف قائم على الحروف الهجائية ، مبتدئاً بحرف الألف ومنتهياً بحرف الياء ، كمعاجم الرجال ، ومعاجم المواد ، ودوائر معارف العلوم والفنون والآداب ومعاجم اللغة .

أما الموسوعة فلا تلتزم بحوثها بأي نظام في طريقة التأليف غير

نظام المواضيع التي تفرض سليقة المؤلف وذوقه ومقتضيات بحثه تقديم أي موضوع منها أو تأخيره في العرض ، على أن تكون واسعة الغرض ، كثيرة الاحاطة ، ليكون اطلاق اسم (الموسوعة) المصطلح عليها مطابقاً للواقع ، وهنالك نوع من الموسوعات ما يسمّى (بالتذكرة) وقد دأب العلماء العرب وغيرهم من الذين شملهم اسم (المسلمين) على تأليف هذا النوع من الموسوعات يجمعون فيها جمهرة من العلوم كتذكرة (الصفدي) وتذكرة (ابن حمدون) .

أول دائرة معارف في التأريخ

هنالك اختلاف في أول دائرة معارف كتبت في التأريخ وقد ذهب أكثر المؤرخين على أن (سيو سبيوس) اليوناني وهو ابن أخ أفلاطون وتلميذه كان أول من قام بجمع البحوث العامة ووضع الانسكلوبيديا ، ولكن هذه المجموعة من الانسكلوبيديا قد فقدت ، ويرى البعض : ان مجموعة (ستوبينوس) (وسويداس) و (كابلا) سنة ٤٨٠ م هي من أهم الموسوعات التي كتبت في ذلك الزمان ، وهناك من يورد اسم الموسوعة الصينية المسماة (كوكين سي فون لوي تسي) تأليف (شوهوفو) سنة ٢٤٦ ضمن الموضوعات العامة القديمة [1] ومهما كان من أمر تلك الموسوعات وقيمتها العلمية وقدمها فان (غايوس بلينوس) pliny المسمى بالكبير (٢٣ - ٧٩ م) هو أول كاتب موسوعي في التأريخ ، كان رومانياً ولد في ايطالية الشمالية ومضى الى روما صغيراً ومارس المحاماة

---

١ - دائرة المعارف الاسلامية الايرانية تأليف عبد العزيز الجواهري .

حقبة من الزمن ثم حارب في المانية واسبانية وبلاد الغال . فقد زار افريقية وشغل بعض المناصب الادارية ثم كان قائداً للأسطول في أحد الموانيء البحرية حين استعر بركان فيزوف فمات حرقاً بشواظ ناره ، ولقد أهلته تلك الحياة المتشعبة النواحي ، الغنية بالتجارب والرحلات ، لوضع موسوعته « التأريخ الطبيعي » التي رفعها الى الامبراطور تيطش (تيتوس) ، وهي في ٣٧ كتاباً . ويتناول الكتاب الأول المقدمة والفهارس والمراجع ؛ والثاني وصف الأرض ، والشمس ، والقمر ، والكواكب ، والنجوم ، والثالث الى السادس في الجغرافية ، والسابع الى الحادى عشر في علم الحيوان ، والثاني عشر الى التاسع عشر في النبات ، والعشرون الى السابع والعشرين في الطب النباتي ، والثامن والعشرون الى الثاني والثلاثين في سائر الأدوية . أما الكتب الباقية فتبحث في المعادن ثم النحت والتصوير والبناء الخ[1] .

وعلى أن أول دائرة معارف شاملة في (التأريخ الطبيعي) المذكور الذى تناول كتابه كل العلوم المعروفة في العالم القديم والمحتوى على نحو ٢٥٠٠ فصل فان صفة الموسوعية قد لازمت الكتب العربية الاسلامية قبل ان تلازم أية مجموعة من الكتب عند أية أمة من الأمم ، وذلك منذ صدر التأريخ الاسلامي ومنذ القرون الهجرية الاولى أى منذ تصدّى الكتاب والمؤلفون لتتبع السيرة النبوية وجمع أخبار الصحابة والغزوات الاسلامية والفتوحات وما كان يحدث ويقع ، وما كان يهمّ المسلم من دينه وأصوله وشرح الآيات القرآنية والقصص التي تخص الأنبياء مما

---

(١) دائرة المعارف البريطانية حرف (p) طبعة ١٩٤٠ (مير بصري) .

أوردها القرآن الكريم على سبيل المثل والاستشهاد ، ومنذ ان كانت الحياة تتطلب من المثقف المسلم وغير المسلم من العرب والمستعربين ، من الوزير والكاتب والحاجب والرسول والشاعر والأديب الإحاطة والإلمام على قدر الامكان بأمور الدين وتأريخ الأمم وأخبار المدن والقبائل والعادات والاخلاق ، والشعر والأدب والفنون العامة ، وما يقتضيه العصر مما يقع تحت النظر ، كان لا بد أن يتطرق الكثير من الكتب العربية الى كثير من هذه الأغراض باتساع أو ايجاز سداً للحاجة ، وتنويراً للاذهان التي حث الاسلام في كثير من المناسبات على مثل هذه الثقافة والمعرفة وفضّل أهل العلم على الزّهاد والنسّاك والعبّاد ، وتطلبت الشريعة ومقتضيات الحياة أن يعدّ الحكام والامراء والقضاة انفسهم لذلك إعداداً وافياً ولهذا قالوا بأفضلية القادة والامراء والحكام واعتبروا الخلفاء والائمة أفضل من الرعية ، وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ، لانهم أفقه في الدين ، واقوم بالحقوق ، وأردّ على المسلمين ، وعملهم بهذا افضل من عبادة العُبّاد ، ولان نفع اولئك لا يعدو قمم رؤوسهم ، ونفع هؤلاء يخص ويعم ، والعبادة لا تدله ، ولا تورث البله الا لمن آثر الوحدة ، وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة ، فمن هناك صاروا بلها ، حتى صار لا يجيء من أعبدهم حاكم ولا امام ، وما احسن ما قال ايوب السختياني حيث يقول :

« في اصحابي من أرجو دعوته ولا اقبل شهادته ، فاذا لم يجز في الشهادة كان من أن يكون حاكماً أبعد » .

وعاجز الرأى مضياع لفرصته حتى اذا فات أمر عاتب القدرا [١]

---

١ – البيان والتبيين ـ ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الثانية .

ــ صبغة الموسوعية العربيـة ــ

وكلما خطا الإسـلام خطوة وتغلغل بين الأقـوام واتسعت رقعتـه ، اشتدت الحاجة الى ثقافة اوسع واحاطـة أكثر بما انصب في الأقطـار الاسلامية من فنون وعلوم ومعـارف فاتسعت رقعـة التأليف على نمط الموسوعية وتعددت مواضيـع الكتب ، وتنوعت أهداف الثقـافة واغراضها واشتدت الحـاجة الى التزود بالعلوم والمعارف والآداب جملة حتى صارت الموسوعية صبغة ثابتة لأمهات الكتب العربية والاسلامية ، لذلك فضلاً عن كونها من أقدم الموسوعات في تأريخ الثقافة العامة فهي اكثر الموسوعات العالمية شمولاً لمختلف المواضيع من دين وعلم وحكمة وأدب وتأريخ وفن ، وحتى الكتب العربية الخاصة المؤلفة لغرض الاختصاص قلّ منهـا من لم يصطبـغ بصبغة الموسوعية العامة ، فكتاب الأغاني مثلاً لم يقتصر على الأغنية ومغنيها ، وانما هو موسوعة تأريخية عامة أحاطت بالكثير من أخبـار العرب والفرس والرومـان في سياق الحديث ، وهو موسوعـة أدبية شاملة استعرضت الشعر العربي ونثره وتراجم الشعراء والخطباء والكتاب والحكام والأمراء والقادة في أغلب ادوارهم التأريخية والأدبية والفنية ، ثم هو بعد ذلك كتاب حكمة وأمثال وأخلاق لما حوى من القصص والافكار والشواهد.

ولقد رأينا هنا ان نعرض بإيجـاز تأريخ الموسوعة العربية الاسلامية وطبيعتها واستعراض المؤلفين الذين اتصفت مؤلفـاتهم بصفة الموسوعيـة فكان لها ولهم قيمة كبيرة في تـأريخ الثقافة العامة التي خدمت البشرية جمعاء خدمة مشهودة كبيرة معتمدين في هذا الاستعراض الموجز الشامل على الدكتور حسين مؤنس مدير معهـد الدراسـات الاسلامية بمدريد . وعلى

المصادر التأريخية ، والموسوعات العربية والأجنبية . والدراسات المستفيضة الخاصة الواردة في الصحف والمجلات

نشأة الموسوعية

« نشأ الفكر العربي في العصور الوسطى موسوعياً ، نشأ على أيدي رجال فتح الاسلام لهم أبواب العلم والمعرفة ، وبسط الأرض أمامهم ليضربوا في مناكبها ، ويتوسعوا في العلم بالأرض وما عليها عن طريق المشاهدة والتجربة ، ووضع في أيديهم تراث الماضين ليتمثلوه ويضيفوا خلاصته الى ثروة الفكر العربي الاسلامي الناهض ثم ينشئوا من ذلك كله أدباً وعلماً زاهرين يتناولان كل ما يرقى بالانسان ويوسع أفقه ويهذب خلقه ، ويزيد حظه من الرقي والرخاء .

هؤلاء الرجال هم الذين أرسوا أسس الفكر العربي بجهدهم الدؤوب المخلص خلال القرن الهجري الثاني (الثامن الميلادي) وهم الذين طوروا مفهوم الادب من معنى التهذيب والسير على التقليد الخلقي الحميد الى معنى المعرفة الانسانية الواسعة « والإلمام من كل شيء بطرف » كما قال عميد الموسوعيين خلال العصر الاول من تأريخنا الفكري ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفي ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م) .

وخلال القرن الهجري الثاني كانت المعرفة في نظر طلابها كلاً واحداً لا يتجزأ يشمل علوم الدين والدنيا ، ويعتبر الكون كله مجالاً للبحث والتفكير والتأليف ، وكان على طالب الثقافة ان يحفظ القرآن ويحيط بمعانيه ، ويلم بما تيسر له من الحديث ويحفظ ما تيسر له من شعر الجاهليين والمعاصرين ، ويتمكن من اللغة وتأريخ العرب وايامهم وعلومهم الاولى كالطب الطبيعي والنبات ، والانواء والقيافة وما الى ذلك .

ابن المقفع والتراث الهندي الفارسي

وجاء ابن المقفع (توفي ١٤٣ هـ ٧٦٠ م) فوسع الأفق وأضاف الى ثروة العرب شيئاً عظيماً من تراث الهند وفارس، ونقل الى العربية كتباً مثل (خداي نامه) أي كتاب السادة ، وكليلة ودمنة .

فأما الأول فقد دخل تراثنا تحت اسم (سير ملوك العجم) واتاح للناس الفرصة للاطلاع على جانب من تأريخ البشر قبل الاسلام ، ووضع بين أيدي طلاب التأريخ نموذجاً أفادوا منه في تطوير فكرة التأليف التاريخي .

وأما الثاني – كليلة ودمنة – فكان نموذجاً جميلاً للقصص الرفيع ذي المغزى البعيد ، وثروة من الحكمة وتجارب البشر تلقاها الفكر العربي في أجمل صورة وأكملها [١] .

وفتح ابن المقفع للناس بكتابه (الصحابة) أبواب التفكير السياسي ، ودعاهم الى التفكير الموضوعي في شؤون الدول والحكومات والشعوب والسلاطين ، هذا الى ما تضمنته كتبه الأخرى مثل (الدرة اليتيمة) و (الأدب الصغير) من حكم وتأملات يعجب الانسان من صدورها عن شاب قام بذلك العمل كله قبل ان يبلغ السادسة والثلاثين من عمره .

الجيل الاول من الموسوعيين

في هذا الطريق الواسع سارت الأجيال التالية لجيل ابن المقفع ، واطلعت رجالاً ملأوا القرن الهجري الثالث كله علماً وادباً ، وقد تميز اولئك الرجال

---

١ يراجع التفصيل في كتاب (نصيب بغداد من كليلة ودمنة) لجعفر الخليلي ، وكتاب (القصة العراقية قديماً وحديثاً) ص ٤٠ للمؤلف نفسه .

قبل كل شيء بالموسوعية في الاتجاه والشمول في العلم، قرأوا متوسعين في كل فن، وكتبوا مكثرين في كل باب من ابواب المعرفة .

فهشام بن محمد بن السائب الكلبي (توفي ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ ٨١٩ أو ٨٢١ م) كتب في علوم القرآن والسيرة النبوية والشعر وعجائب البحر والأصنام والتأريخ العام، بل له كتاب يسمى (منطق الطير) .

وأبو عبيدة معمر بن المثنى (توفي ٢١٠ هـ ٨٢٥ م) كتب فيما يقول ابن النديم مائة كتاب وخمسة كتب تتناول كل موضوع تقريباً .

والأصمعي عبد الملك بن قريب بن قيس (توفي ٢١٤ هـ ٨٢٩ م) الف بضعة وأربعين كتاباً في الشعر واللغة والطب والنبات .

وابو زيد سعيد بن اوس الأنصاري (توفي ٢١٥ هـ ٨٣٠ م) كتب قريباً من هذا العدد من المؤلفات في كل علوم العصر المعروفة، ومن مؤلفاته واحد عن المطر وآخر عن اللبن .

وابو عبيد القاسم بن سلام (توفي ٢٢٣ هـ ٨٣٨ م) الف في علوم الاسلام واللغة والتأريخ والشؤون المالية، وكتابه (الأموال) آية في التنسيق والعمق وحسن الفهم والدقة، وكتابه الآخر المسمى (الغريب المصنف) أشبه بموسوعة تكلم فيها عن الانسان والطعام والشراب والأبنية، والمراكب، والسلاح، والطير، والحشرات، والنار، والشمس والقمر وما الى ذلك، وقد أنفق في تأليفه اربعين سنة فلا غرابة ان أصبح من غرر الكتب في المكتبة العربية الى اليوم .

هؤلاء جميعاً كانوا يقرأون في كل موضوع ايضاً، كان يدفعهم الى العمل ذلك النهم الى المعرفة الذي يميز الأمم الحية من غيرها من الأمم، وموسوعيتهم كانت مظهراً من مظاهر السيادة العربية، لان العلم في ذاته سيادة، وطلبه عزة، وعلى طول التأريخ كانت الأمم العالمة هي الأمم السائدة، ولم يجتمع في التأريخ ابداً

عـلم وذلّ

ولكن موسوعية هذا الجيل كانت موسوعية اتجاه لا منهج ، أي ان اولئك الرجال كانوا يقرأون دون نظام ، ويكتبون دون نظام ايضاً ، وهم يتنقلون في الفقرة الواحدة من علوم القرآن الى الشعر الجاهلي الى النبـات الى الحيوان الى الفلك ، وقارئهم يتعب اذا طلب عندهم موضوعاً بعينه .

ولكنهم مهدوا الطريق للطبقة الاولى من الموسوعين المنهجيين في تأريخنا وأعمدتها خمسة من الاعلام ، يعتبر كل واحد منهم دائرة معارف قائمة بذاتها .

١ – قدامة بن جعفر الكاتب

أول هؤلاء قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب (٢٣٧ هـ ٨٥١ م) وهو أول عربي الف كتاباً شاملاً لكل المعارف التي يحتاج اليها المشتغل بالكتابة الديوانية والانشائية ، وقد أطلق على كتابه الجامع هذا اسم (الخراج) والمراد به الشؤون المالية للدولة ، وهي عصب الادارة وعماد الخلافـة ، وقد بقيت لنـا من موسوعيته تلك قطع تدل على علم مستبحر ، واحدة في الخراج بالذات ، وثانية عن نقد النثر ، وثالثة عن نقد الشعر ، وهنـاك قطع أخرى لا تزال مخطوطـة تنتظر من يخرج بها الى النور .

٢ – ابو عثمان الجاحظ

وثاني هؤلاء أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ توفي (٢٥٥ هـ ٨٦٩ م) أمير هذا الطراز من الموسوعيين في تأريخنا ، فقد كان يكتب بنفس المستوى من الاجادة والعمق والشمول وخفة الظل في العقائد ، وعلوم الاسلام ، والادب ، والتأريخ الطبيعي ، والطب ، والاجناس ، والحيوان ، واخـلاق البشر ، وهو مسهب متدفق ، طويل النفس ، يصوغ ما يكتب في اسـلوب سهل ممتنع ، ويخاطب

عقل القارىء ويناقش معه الموضوعات والآراء في غير أثقال او ادعاء أو تكلف ، ومن الاسف ان الجاحظية لم تجد من يرثها ويسير بها في الطريق الذي كان كفيلاً بأن يخرج بالفكر العربي من العصور الوسطى الى العصور الحديثة .

٣ — ابن قتيبة الدينوري

وثالثهم ابو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة توفي (٢٧٦هـ ٨٧٩م) وهو يكاد يضاهي الجاحظ في سعة العلم ، وحرية الفكر ، وكثرة التأليف ، وتنوع الكتب ، وهو يشبهه ايضاً في ان معظم كتبه الرئيسية سلم من عبث الايام ووصل الينا ، وكتابه (أدب الكاتب) خزانة علم وأدب لو فسرت وبوبت لكانت دائرة معارف ، أما كتابه (عيون الاخبار) فنموذج جميل من كتب الادب بمعناه الواسع عن العرب وهو معنى يقابل ما نسميه نحن اليوم بالادب او الانسانيات [١].

٤ - أبو حنيفة الدينوري

ورابعهم أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري توفي (٢٨٢هـ ٨٩٥م) وقد الف في النحو واللغة والتأريخ والهندسة والحساب، ولا يزال كتاباه الرئيسيان (الأخبار الطوال) و (الامامه والسياسة) من معضلات التواليف في مكتبتنا العربية ، لان الخلاف طويل حول أصول مادتها ونسبة بعض فصولها اليه [٢].

---

١ — أما كتاب (المعارف) لابن قتيبة فهو ادل على موسوعية . ع . م

٢ — ويؤيد الدكتور مصطفى جواد رأي بعض المؤرخين الذين يرون ان (الامامة والسياسة) ليست للدينوري ، وان كتابه (النبات) من اعظم الموسوعات . م . ج

٥ ابو العباس المبرد

وخامسهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد توفي (٢٨٥هـ ٨٩٨م) وكتابه (الكامل) موسوعة لعلوم العرب الى أيامه ، تتناول كل فن من أدب الى تاريخ الى لغة الى دين الى طب ، وهو يتنقل بقارئه من فن الى فن على طريقة كانت تعجب الاقدمين ولكنها تجهد الباحث الحديث ، فقد كانوا يرون أن الاستطراد من موضوع لموضوع يعين القارىء على القراءة ، ويبعد عن نفسه الملل ، أما نحن فنرى فيه تقسيماً لوحدة الفكرة والموضوع .

ويلحق بهذه الطبقة من الموسوعيين [1] اثنان من أهل القرن الرابع الهجرى هما أبو احمد بن محمد بن عبد ربّه توفي (٣٢٨هـ ٩٤٠ م) ، وأبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني توفي (٣٥٦هـ ٩٦٧م) والاول مشهور بكتابه المسمى (العقد الفريد) وهو من اجمع الكتب عن العرب وانسابهم وشعرهم ونثرهم وعلومهم ، وتلمح فيه محاولة جادة لترتيب المادة الواسعة وتبويبها ، والثاني مشهور بكتابه الاغاني ،وهو دائرة معارف في الادب والتأريخ خاصة .

الموسوعية عنوان الثقافة

وهولاء الموسوعيون هم الذين أعطوا الفكر العربي طابعه الموسوعي الانساني الذى أصبح من ميزاته الرئيسية ، ونحن لم نذكر منهم هنا إلا أكابرهم الذين حددوا مستوى الثقافة الذى كان لزاماً على كل من يطمح الى مكان محترم في المجتمع ان يصل اليه أو يقترب منه على الاقل ، فبينما كان

---

١ ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي المتوفى سنة ٢٤٦هـ ومحمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المتوفى سنة ٣٥٠هـ .

شرلمان اكبر أباطرة الغرب في العصور الوسطى لا يعرف من الكتابة الا رسم اسمه ، كان المجتمع العربي لا يرضى عن حاكم بلد صغير الا اذا كان على حظ طيب من المعرفة بالتأريخ والشعر والنثر وعلوم الدين والطب والحكمة واحوال الدنيا ، وقد يكون الرجل قائداً عظيماً ، او خليفة واسع السلطان ، أو اميراً عظيم الولاية ، او تاجراً ذا مال عريض ، ولكن المجتمع لم يكن يعترف بمكانه الا اذا تحلى بالثقافة الواسعة ، وقرأ شيئاً من الكتب التي أشرنا اليها ، وجالس أهل العلم والادب وشاركهم الحديث وطارحهم الشعر، لان (الادب) أي الثقافة الانسانية الواسعة كان شرطاً من شروط الظهور والرياسة في ذلك العالم العربي المثقف (١).

ضعف الاتجاه الموسوعي بعد القرن الرابع

ونحن عندما نقول ان الفكر العربي أخذ في الاضمحلال بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لا نعني بذلك ان البحث والتأليف في هذا العلم او ذاك قد توقف وانقطع ، وانما معناه ان الفكر فقد طابعه الموسوعي ، واقتصر كل باحث او عالم على علمه وفنه ، ذلك لان التأليف الجيد في شتى العلوم لم يتوقف خلال تأريخنا كله حتى خلال العصر التركي لم يتوقف العلماء عن البحث والدرس والتأليف ، ولكن الذي يلاحظ بعد القرن الرابع هو هبوط الهمم عن القراءة الواسعة والتأليف الواسع أى التخلي عن الموسوعية ولكل ثقافة من الثقافات طابعها المميز وعنصرها الدافع المحرك ، وبالنسبة للثقافة العربية كانت الموسوعية هي روحها وطابعها المميز وقوتها الدافعة .

---

١ -- يراجع (كتاب النصيحة) المعروف باسم (قابوس نامه) تأليف الامير عنصر المعالي كيكاوس اسكندر بن قابوس ، ترجمة الاستاذ صادق نشأة والدكتور امين عبد المجيد بدوي فهو خلاصة ما ينبغي ان تكون عليه ثقافة الملوك والامراء . ج . خ

الفرق بين الطبري وابن اياس

ونوضح هذه الناحية بمثال :

نحن نقول ان أبا جعفر محمد بن جرير الطبري توفي (٣١٠ هـ ٩٢٢ م) عميد مؤرخينا قبل ابن خلدون ، وان البون شاسع بينه وبين رجل مثل محمد بن احمد بن أياس توفي (حوالى ٩٣٢ هـ ١٥٢٨ م) مع ان ابن أياس مؤرخ ممتاز متقن لفنه ، وكتابه (بدائع الزهور) من الاصول التي لا يستغنى عنها باحث في تاريخ دول الاسلام ، وهو من حيث الطول والاتساع لا يقل عن تاريخ (الرسل والملوك) للطبري ، ولكن الطبري لم يكن مجرد مؤرخ ، انما كان بحراً من العلم ، وقد كتب قبل ان يكتب التأريخ تفسيره المشهور ، وهو دائرة معارف تجمع كل علم وفن، فما نمّر فيه بتفسير آية كريمة الا وجدناه يفيض في الشرح والتفسير غير مغادر لمحة تاريخية أو أدبية اوعلمية الا ذكرها .

اما ابن أياس فمؤرخ فحسب ، وهو يسرد الحوادث دون ان يـــدل على اتساع وافق او تبحر علم او نظر الى مـــا وراء ما يكتب ، والفرق بينه وبين الطبري هي الموسوعية والشمول، وهما في حساب الثقافة العربية المقياس الحقيقي لعلم العالم ، وهي الميزة التي تميز العالم العربي عن غيره .

فالطبري مؤرخ من مورخي عصر الازدهـــار لانه موسوعي ، وابن أياس من رجـال الاضمحلال لانه غير موسوعي ، والطبري وحده يعدل في تأريخنا الفكري كل مورخي القرن السادس الهجري من أمثال بهاء الدين بن شراد المتوفى(٦٣٢ هـ ١٢٣٥ م) وابن ظاهر الاسدي المتوفى (٦١٢ هـ ١٢١٥م) وسبط ابن الجوزى المتوفى (٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م) وشهاب الدين ابي شامه المتوفى (٦٦٥ هـ ١٢٦٧ م) وهـــو اكبر مورخي القرن السادس تنقصه الموسوعية ،

ويعتقد عنده اتساع الافق وشمول الثقافة الذي يميز سادة العصور في تاريخنا .

وقد ظل تقليد الموسوعية قائماً على طول تأريخنا ولكن عدد الموسوعيين قل في عصور الاضمحلال والقليلون الذين ظهروا منهم خلال القرن الرابع وما بعده هم الذين ساروا في طريق الجاحظية من التوسع في العلم والاحاطة بكل فن مضمنيه كتاباً يضم اطرافاً من علمهم الواسع .

المسعـــودي

ففي القرن الرابع حمل لواء الموسوعية علي ابن الحسين بن علي المسعودي المتوفى (٣٤٦هـ ٩٥٧م) ، وهو رجل وعى صدره من العلم مـــا يدهش له قارئه ، فهو مورخ رحالة جغرافي متمكن من الرياضيـــات والفلك ، راوية للقصص ، حافظ للشعر والنثر ، وهو يكتب في اسلوب جزل جميل يعـــود بالذهن الى فحولة الجاحظ وملكته في النقد والملاحظة ، وهو مثل الجاحظ متوسع في التأليف ، وكتبه مترابطه الموضوعات يكمل بعضها بعضاً ، وهو في كل كتاب منها يحيل على ما قاله في كتبه السابقة او يقول انه سيستوفيه في كتاب لاحق .

ابن مسكويه

وفي النصف الاول من القرن الخامس نجد أبا علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه المتوفى (٤٢١ هـ ١٠٣٠ م) وهـــو مورخ فيلسوف حكيم رياضي كيمائي واديب كاتب شاعر ، وكان معـــاصراً لابي حيان التوحيدي وامتاز عليه باتساع مدى العلم والنظرة الانسانية للامور ،

وكتابه (تجارب الامم) من احسن ما كتب في العربية في تاريخ الدنيا ، وله فيه آراء وملاحظات تصل به الى مستوى ابن خلدون كمؤرخ للحضارة البشرية ومفلسف للتأريخ ، والى مكانه كفيلسوف حكيم عارف بطبائع البشر واصول الحكمة ، تتجلى موهبته في كتاب(تهذيب الاخلاق وتعطير الاعراق) وهو يقوم على اساس كتاب فارسي يسمى (جـاويدان خرد) اى الحكمة الخالدة [١]

الكندي والفارابي وابن سينا

وهذا يصدق على الظاهرين في بقية ميادين النشاط الفكرى الاسلامي ، فالكندى ، والفارابي ، وابن سينا ، يتربعون على عرش الفلسفة بسبب تنوع معارفهم وعمقها وشمولها وتوسيع مجال الفلسفة حتى تشمل العلوم الانسانية كلها ، وابن سينا بالذات جعل كتابه (الشفاء) دائرة معارف كاملة .

المتنبي والبيروني

وفي ميدان الشعر يعتبر ابو الطيب المتنبي عميد شعراء العربية لا بالشعر وحده ، فان الكثير من شعرائنا يضاهونه في الشاعرية ولكن أبا الطيب كان موسوعة حافلة ، وقارئه يعجب باتساع علمه كما يبهره شعره .

وفي ميدان الرياضيات والفلك يحتل ابو الريحان البيروني مكان الصـدارة لانه — الى جانب تمكنه من الرياضيات - أديب فيلسوف ضم صدره التراث

---

١ وقد قضى اكثر عمره في القرن الرابع ، ومن علمه كتاب « الهوامل والشوامل » الذي جمعه ابو حيان التوحيدي . ج . خ

لفكرى الاسلامي كله وأتقن الى جانب ذلك الفارسية والاردية واللاتينية واليونانية وفي كتابه (الآثار الباقية) دلائل على ذلك كله .

غرض الموسوعية الاكبر

ومعنى ذلك ان الموسوعية اصبحت من ايام الجاحظ هي مقياس اهـــل العلم في تأريخنا ، فلا يكفي لكي يكون الرجل علماً من اعلام ذلك التأريخ ان يكون متمكناً من فنه الذى تخصص فيه ، بـــل لا بد ان يلمّ من كل شيء بطرف .

ولا يتصور الانسان مقدار الجهد الذى كان اولئك الرجـــال يبذلونه للمحافظة على تقليد الموسوعية فقد كان عليهم ان يحفظوا الوفاً بعد الوف من الصفحات التي يحتاج استيعابها الى الوف بعد الوف من الساعات، فعلاوة على ما لا بد منه من القـرآن الكريم والحديث الشريف ، كان عليهم ان يدرسوا اربعة على الاقـــل من كتب الادب الكبرى وهي : ادب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وتاريخاً من تواريخ الاسلام (كالرسل والملوك) للطبرى ، والسيرة لنبوية لابن اسحق ، ودواوين كبار الشعراء الى ايامهم ، وكتاباً على الاقل في كل علم وفن الى جـــانب تخصصهم .

وهذا الذي ذكرناه كله كان جانباً من محفوظ رجال مثل [١] وياقوت بن

---

١ ـــ الحافظ ابي نعيم احمـد بن عبدالله الاصبهـاني المتوفى سنة (٤٣٠ هـ) صاحب موسوعة حلية الاولياء المشتملة على ٨٠٠ ترجمة في نحو ٤٠٠٠ صفحة بعشرة مجلدات وقد طبع المجلد الاول سنة (١٣٥٥هـ ١٩٣٢م) .

ومحمد بن ضياء الدين المعروف بالفخر الرازي المتوفى (٦٠٦هـ ١٢١٠م)صاحب مفاتيح الغيب يقع في ثمانية مجلدات ضخمة توسع في تفسير القرآن حتى كان من تفسيره موسوعة كبيرة ج.خ

عبدالله الحموي المتوفى (٦٢٦ هـ ١٢٢٩م) [١] وجمال الدين بن واصل المتوفى (٦٩٧هـ ١٢٩٨م) [٢] وابي الفـــداء اسماعيل بن محـمود بن المظفر المتوفى (٧٣٢هـ ١٣٣٢م) وشمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ ١٣٤٧م) واسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى(٧٧٤هـ ١٣٧٢م) ، ولسان الدين بن الخطيب المتوفى (٧٧٦هـ ١٣٧٤ م) وعبد الرحمن بن خلدون المتوفى (٨٠٨هـ ١٤٠٦م)[٣] وتقي الدين المقريزي المتوفى (٨٤٥هـ ١٤٤١م) وشمس الدين السخاوي المتوفى (٩٠٢هـ ١٤٩٦م) وغيرهم ممن يعتـبرون عمد تأريخنا الفكري .

وهؤلاء الرجال لم يكونوا يتكلفون هـذا الجهد لمطالب العيش ، فان العيش لا يكسب بحفظ المجلدات وافنـــاء العمر في الدفـاتر ، وانما يكسب بالتجارة وعن طريق وظائف الدولة ، ولا يعلل اجتهاد اولئـك الرجال إلا بأنهم كانوا يشعرون انهم بعملهم هذا يحافظون على كيان أمـــة وروح شعب وتقاليد حضارة ، والانسان لا يبذل الجهد العظيم الا اذا كان دافعه اليه مثل أعلى وأعظم .

---

١ ـــ وعزالدين ابي حامد عبدالحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن ابي الحديد المتوفى(٦٥٦هـ ١٢٥٨م) والذي يتضمن شرحه لنهج البلاغة موسوعة من أهم الموسوعات في عالمها وقد ألفها في عشرين جزءاً جمعتها أربعة مجلدات . ج.خ

٢ ـــ وكمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق المعروف بابن الفوطي المتوفى سنة (٧٣٢هـ) فان معجمه المعروف باسم (معجم الآداب في معجم الالقاب) يعـد من اكبر وافخم الموسوعـات العربية في باب التراجم وقد صدر منه لحد الآن جزءآن قام بمراجعتهما وشرحهما والتعليق عليهما الدكتور مصطفى جواد . ج.خ

٣ ـ والابشيهي ، صاحب كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، وهو من رجـال القرن التاسع ويعتبر كتابه من اكثر الكتب جمعاً للفنون والآداب والظرافة . ج خ

السيوطي

ونضرب لذلك مثلا بالسيوطي ، ولا شك ان هذا الحافز العظيم هو الذي حرّك رجلا مثل جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١هـ ١٥٠٥م) الى أن يضطلع وحده بتأليف مجموعة من الكتب يعد كل منها دائرة معارف قائمة بذاتها : واحدة في علوم الدين ، واخرى في التأريخ ، وثالثة في علوم اللغة وما الى ذلك .

عاش جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٦٢ سنة هجرية ألف خلالها نحو ٣٥٠ كتاباً بقي لنا منها ٣١٥ ، فلو قسمنا كتبه على سنين حياته من مولده الى وفاته لخص كل منها ٦ كتب ، ولو فرضنا انه بدأ التأليف في سن الخامسة والعشرين لكان نصيب كل سنة ١٠ كتب .

ومعظم كتب السيوطي كأنها مواد لدوائر المعارف مبوبة ، منقبة ، مختصرة قدر الامكان ، فله كتاب طبقات الحافظ - أي تراجمهم - وهي مرتبة في طبقات على حسب العصور ، وكتاب طبقات المفسرين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين ، وله كتاب غاية في الاختصار والفائدة في تأريخ الخلفاء ، واذا أردت ان تأخذ فكرة عن الطريقة المنهجية الموسوعية التي سار عليها في التأليف فأنظر كتابه (المزهر في علوم اللغة) وهو في رأي الدارسين أوفى واشمل مما لدينا من علوم لغتنا ، وكذلك كتابه (الاتقان في علوم القرآن) وما اظن ان انساناً استطاع ان يكتب أحسن من هذا في موضوع شاسع مثل علوم القرآن .

ولم يكتف السيوطي بهذا كله ، بل أراد ان يكتب دائرة معارف مختصرة كهذه التي نسميها نحن اليوم دائرة معارف (ديسك انسايكلوبيديا

فوضع كتاباً سماه (الأصول المهمة في علوم جمة) ويسمى ايضاً (النقابة) وهو يضم الضروري من المعلومات عن ١٤ علماً منها التفسير واصول الدين والتشريح والبديع والبيان ، والمعاني ، والطب والتصوف والحديث وأصول الفقه .

وإذن فالسيوطي رجل جعل نفسه جامعة كاملة ودار تأليف ونشر ، وعاش عمره كله يقرأ ويدرس ويبوب ويرتب ويكتب . وقد خلف تراثاً لا تقوم بمثله جماعات من الرجال .

الموسوعية تخصص وفن

وفي مصر المملوكية اصبحت الموسوعية فناً ومنهجاً وموضوع تخصص وظهرت في ذلك العهد الموسوعات الكبرى التي يعتز بها تاريخنا الفكري وهي (نهاية الأرب) للنويري و (مسالك الأبصار) للعمري ، و (صبح الأعشى) للقلقشندي .

وهذه الموسوعات الثلاث الكبرى تتشابه في الفكرة والهدف وربما اختلفت في المناهج التي قامت عليها ، فأما من حيث الفكرة فهما شبيهان بما تقوم عليه أي دائرة معارف في عصرنا هذا ، وهو جمع المعلومات كلها في كتاب واحد وترتيبها على احد أساسين : اساس المواد فترتب على حروف المعجم ، أو اساس الموضوعات فترتب على النحو الذي يراه المؤلف .

وقد اختلفت المناهج التي سار عليها المؤلفون الثلاثة بعضها عن بعض ، ولكن الحصيلة واحدة تقريباً ، ولكل واحدة منهم ميزة على الاثنين الاخرين ، فالنويرى أكثر اسهاباً في التأريخ ، والعمرى طويل النفس في الأدب ، وواسع المعلومات في الجغرافيا والعلوم ، والقلقشندى أوسع الثلاثة علماً بشؤون الدولة

ونظامها وتأريخ نظمها وادارتها واختصاص كل منها ومراتب العاملين فيها ونظم الجيوش والاساطيل وأنواع السلاح وملابس الضباط والجنود وصنوف المراكب الحربية والنقود والموازين والمكاييل وما الى ذلك .

ولا يتسع هنا المجال لتحليل مواد هذه الموسوعات الكبرى فذلك بحث قائم بنفسه ، ثم ان اثنتين منها ، هما (نهاية الارب) و (صبح الاعشى) قد طبع معظمها ، ونرجو ان يأذن الله بالفراغ منهما ، أما الثالثة (مسالك الابصار) فكانت اجزاؤها متفرقة في مكاتب الدنيا حتى قيض الله لها شيخ العروبة أحمد زكي باشا طيب الله ثراه فبذل جهداً مضنياً حتى جمع أجزاءها في دار الكتب المصرية وهي راقدة هناك باجزائها التي تربو على الخمسين تنتظر من يكمل العمل الذى قام به ذلك العلامة الجليل فقد نشر منها جزءاً واحداً تطاول الزمن عليه وهش ورقه حتى اصبح لا يحتمل التصفح ، واحمد زكي هو آخر من سار على تقليد الموسوعية من اهل الفكر عندنا ، ولا غرابة ان سماه الناس بشيخ العروبة .

كان الثلاثة شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى (٧٣٢هـ ١٣٣٢م) وشهاب الدين احمد بن فضل الله يحيى العمرى المتوفى (٧٤٨هـ ١٣٤٧م) وشهاب الدين احمد بن علي بن احمد القلقشندى المتوفى (٨٢١هـ ١٤١٨م) من موظفي الدولة المملوكية ، وقد ألفوا موسوعاتهم لخدمة امثالهم من الموظفين والكتاب ولكن قارئهم يشعر ان هذا لا يمكن ان يكون دافعاً كافياً للجهد الذى بذله كل منهم ، فان رجلاً كالنويرى يكتب في التأريخ وحده نحو ثمانية مجلدات في نحو ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبيرة لا يمكن ان يكون قد أضنى نفسه على هذا النحو لمجرد ان يضع بين ايدى الموظفين كتاباً يرجعون اليه ، انما هو عالم متبحر جمع فأوفى ، وشعر ان تراث العرب في حاجة الى من

بحفظه ، وان واجبه ان يقوم بذلك ، ومن هنا فأنت تشعر وانت تقرأ اى مجلد من مجلدات موسوعته بأنه عالم تخصص في هذا العلم الذى يدور عليه المجلد وحده ، وكذلك تشعر وانت تتصفح مجلدات العمري عن الجغرافية والادب ، والقلقشندى في نظم الدولة المملوكيـة ، وهم جميعاً يكتبون في أسلوب عربي رصين جميل لا يعرف تلاعب السجع ولا اضاعة الوقت في محسنات البديع ، شأن العلماء الجادين الجديرين بهذا الوصف[1].

ومثل هذا يقال في أعظم معجمين في لغتنا : (لسان العرب) لابي الفضل محمد بن مكرم علي الافريـقي المصرى المعروف بابن منظور المتوفى (٧١١هـ ١٣١١م) ، و (تاج العروس) لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بالمرتضى الزبيدى المتوفى (١٢٠٥هـ ١٧٩٠م) فهما في الحق دائرتا معـــارف اضطلع بتأليف كل منهم رجل واحـد ، ولكن اطلع على مادة واحدة في كل منهما لتشعر بمقدار الجهد الذي بذل في وصفها ، وسبحان من يسر لرجل واحد ان يضطلع وحده بما تحار فيه المجامع واللجان .

رسائل أخوان الصفا

ولا بد في هذا المجال من كلمة عن (رسائل اخوان الصفاء) انها دائرة معارف من طراز فريد في بابه في تأريخ الثقـافة البشرية ، الفتهـا جماعة من الاصدقـاء ، كلهم فلاسفة يدينون برأي واحد في تفسير الكون وحقيقتـه وظواهره ، والعقائد واصولها ، وما الى هذه من مسائل الفلسفة التي شغلت

---

١ - وبحار الانوار وهو في ٢٥ مجلداً كبيراً بقطع (الفواسكاب) ويعتبر اوســع دائرة معارف للرواية والحديث والخبر والتاريـخ ألفه المجلسي المتوفى سنة ١١١٠ هجريـة وقد طبـع الجزء الاول منه سنة ١٣٠٥ هـ

اذهان الناس في العصور الوسطى .

كانوا جماعة سرية لم يفصحوا عن اسمائهم او عن حقيقة اتجاههم ، واكتفوا بأن سموا انفسهم (اخوان الصفاء وخلان الوفاء) وقد عاشوا خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، والغالب انهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣ هجرية ٩٨٣ ميلادية ، وواضح من رسائلهم انهم كانوا شيعة اسماعيلية ، وان هدفهم من تحرير هذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هذا عن طريق العلم والفلسفة .

ويبلغ عدد الرسائل احدى وخمسين كلها مكتوبة بطريقة واحدة تقوم على التأويل والرمز تتناول الكلام عن الموت وغاية النفس في الحياة الدنيا ، والعقل ، والنور والظلمة ، والجوهر والعرض ، وتحديد العالم ، ومكان الانسان فيه ، والنفس ، والقوة الالهية ، والبعث والقيامة ، والحكمة ، والفلسفة والخالق سبحانه ، والعقل واركانه ، وما الى ذلك مما مسائل الفلسفة والالهيات .

انها دائرة معارف فلسفية لا تزال الى الآن مشكلة من مشاكل تأريخ الفلسفة عندنا ، ولكنها على أي حال أول دائرة معارف فلسفية ظهرت في التاريخ، ومهما يكن الرأي في نظريات اصحابها فهي شيء طريف في مكتبتنا العربية ، وهي مظهر من مظاهر الموسوعية في ثقافتنا [1] » .

وللدكتور مصطفى جواد ثمانية استدراكات على اشهر اسماء الموسوعيين واشهر الموسوعات العربية المتقدمة نثبتها هنا إتماماً للفائدة وهي :

١ - تذكرة ابن حمدون محمد بن الحسن من رجال القرن السادس للهجرة وهي أوسع موسوعة أدبية في أكثر من خمسين بابا من ابواب الادب، ومنها أجزاء في خزائن كتب (استانبول) كالمكتبة البايزيدية .

---

١ العربي العدد ٧٣ .

٢ – كتاب الفنون لعلي بن عقيل البغـــدادي المتوفى سنة ٥١٣ وهو في اربعمائة مجلد ومنه مجلد في دار الكتب الوطنية بباريس ، وآخـر في المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية .

٣ – ومن كتّاب الموسوعية الكبار الثعالبي عبد الملك مؤلف (اليتيمة) و (فقه اللغة) وعشرات الكتب الاخرى في جميع العلوم تقريبـــاً ، وقد توفي سنة ٤٢٨ هجرية .

٤ – ومفاتيح العلوم للخوارزمي من أهـل القرن الرابع للهجرة ، وهو دائرة معارف على الاسلوب الموسوعي الكامل .

٥ – شرح المقامة الخطيبية لابن الزبير علي بن الحسن الغســاني في العلوم حتى الموسيقى ، منها نسخة بمكتبة الاوقاف ببغداد أرقامهـا ٩٦٠٦ ونسخة أخرى في مكتبة البلدية بالاسكندرية .

٦ – ومن كبار علمـاء الموسوعية نصير الدين الطوسي وهو مؤسس أول أكاديمية اسلامية في (مراغه) وان كانت على عهد الملك هولاكو التتري .

٧ – وكتاب (شمس العلوم) لنشوان الحميري ، وهو دائرة معارف بل موسوعة على الحقيقة .

٨ – وكتاب ألف باء البكوي على ذلك الطراز ايضاً .

الموسوعية الاروبية

وفي الوقت الذى كانت الحركة الفكريـة في أوج نشاطهـــا في الاقطار الاسلامية وكانت الموسوعية تطغى على عدد كبير من المؤلفات العربية كانت الاقطار الاروبية يسودها الخمـول بسبب فقدان الامن والاطمئنـان على رغم النشاط الكنسي في علوم اللاهوت والفلسفة والعلوم الاغريقية .

وفي خلال القرن الثاني عشر انصب في اوروبا نهر عظيم من المعرفة الجديدة مصطحباً معه ثورة فكرية مستمدة من العرب الذين كان المسيحيون يتصلون بهم في صقلية واسبانيا ثم اتسعت مجاري هذا النهر مما خلفته الحروب الصليبية بين القرن الحادي عشر الميلادي والقرن الثالث عشر فكان لهذا الاتصال — اتصال الغرب بالشرق أثره العميق في بعث الحركة الفكرية في اوروبا .

واستقرت اوروبا بعض الشيء واصبح اقتصاد المدن الاوروبية والريف قادراً نوعاً ما على إعالة الناس الذين يهبون انفسهم للحياة الفكرية وبدأ الافق الثقافي لاروبا يتفتح عن نهضة مشرقة فشهد القرنان الثاني عشر والثالث عشر الميلادي تأسيس اول جامعة ، فقد تأسست جامعة اوكسفورد في سنة ١٢٠٠ ميلادية وتأسست جامعة كمبرج بعدها بقليل ، وما كاد ينتهي القرن الثالث عشر حتى اصبح في اوربا اللاتينية اثنتا عشرة جامعة [١] .

وحين تم اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ زاد أفق اوربا العلمي اتساعاً وكثر عدد الجامعات في المدن الاوروبية وكثرت التآليف وتنوعت المواد التي تناولها العلماء والمكتشفون والفلكيون بالبحث والدراسة فزادت الحاجة الى الموسوعية اكثر واكثر ، واصبحت الاحاطة والالمامة بالمعرفة العامة من مستلزمات العصر فضلاً عن شدة الاحساس بالحاجة الى مصادر يعول عليها ويستعان بها على فهم المواضيع وكنه الحياة العامة فكان من نتائج ذلك ان اتجهت انظار المفكرين الى الموسوعية في تآليفهم والاهتمام بها يوماً بعد يوم حتى تم تأليف (الجمعية الملكية في لندن) سنة ١٦٦٢ وحتى تم تأليف (أكاديمية العلوم الفرنسية) سنة ١٦٦٦ حيث بدأ طبع الدوريات العلمية فتيسر التبادل

---

١ — تأريخ العالم الحديث لروبرت بالمر — تعريب الدكتور محمود الامين ومراجعة الدكتور جعفر خصباك ج ١ ص ٧٤ — ٧٥ .

السريع بين الاراء فطبعت الكتب الواسعة والمقالات في مختلف العلوم والفنون لا في العلوم الطبيعية والرياضيات فحسب بل في فن معرفة الكتابات القديمة وعلم المسكوكات القديمة، وعلم التقاويم، وتأريخ القانون، والقانون الطبيعي اذ لم تكن اعمال العلماء يومذاك تخضع لمبدأ التخصص، فقد شعر الجميع بوجوب مساهمتهم في جميع جهات العلم والمعرفة [1] .

دائرة المعارف البريطانية

(انسكلوبيديا بريتانيكا)

وتعددت المعاجم والموسوعات العلمية والتأريخية الأوروبية بنسبة تقدم العالم وكثرت المراجع الواسعة في العصور الحديثة، ولكن اول معجم عام للفنون والعلوم المرتب على الحروف الهجائية لم يصدر قبل (دائرة المعارف البريطانية) ولعل هذه الموسوعة من أشهر واكمل الموسوعات العالمية، وستحتفل بعد سنوات ثلاث بمرور مائتي سنة على طبعتها الاولى. فلقد صدرت تلك الطبعة في كانون الأول ١٧٦٨ على شكل كراريس ثمن كل منها ٦ بنسات (٢٤) فلساً ثم استمرت على الصدور منذ ذلك الحين في اتساع يتناسب مع تقدم العلم، وتوسع المعرفة، وانتشار الثقافة، وازدهار الآداب والفنون. وقد اصبحت طبعاتها في القرن الاخير دولية يسهم في كتابة مباحثها أدباء وعلماء من مختلف الاقطار، كل في موضوع اختصاصه .

وجدير بالذكر ان الطبعة الاولى لدائرة المعارف البريطانية صدرت في

---

١ — تأريخ العالم الحديث لروبرت بالمر — تعريب الدكتور حسن علي الذنون ومراجعة الدكتور جعفر خصباك ج ٢ ص ٧٨ .

(أدنبره) وكملت في سنة ١٧٧١ في ٣ أجزاء ، أما الطبعة الاخيرة فتتألف من ٢٤ جزءاً ضخماً فضلاً عن الملاحق السنوية الضخمة التي تتضمن إضافات تاريخية وعلمية وثقافية واحصائية لكل عام .

دائرة المعارف الفرنسية

(الانسكلوبيديا)

وتعتبر هذه الموسوعة من أهم المشاريع الثقافية ولا سيما من ناحية تحرير الأفكار والتمهيد للثورة الفرنسية . وقد عهد بالاشراف عليها الى المفكر الفرنسي دنيس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤).وقد قام ديدرو بتجنيد نخبة من رجال الفكر والأدب في فرنسة لكتابة البحوث المختلفة وفي مقدمتهم فولتير، وروسو ، ودالمبرت . وفي هذه الاثناء سجن ديدرو لكتابته « رسالة في العميان » . لكن الجزء الاول من دائرة المعارف صدر في تموز ١٧٥١ وعقبه الجزء الثاني بعد ستة اشهر . لكن قراراً صدر فوراً بحجز الجزئين لمسّهما بسلطة الملك والدين ومع ذلك طبعت الاجزاء الأخرى ، ثم قررت الحكومة وقف الطبع سنة ١٧٥٩ والجزء الثامن آنذاك رهين المطبعة ، واستمر طبع سائر الأجزاء بعد ذلك بين منع الحكومة وتشجيع عدد من كبار رجال الحكم انفسهم ، حتى ان رئيس المحكمة التي قررت مصادرة مسودات الطبع أبلغ الناشرين سلفاً بالقرار ونصحهم بإخفاء المسودات لديه (لان الشرطة لن يخطر ببالها البحث عنها هناك) .

وأخيراً أنجز طبع أجزاء دائرة المعارف الكبرى لكن نسخها حجزت بأمر الملك . ومضت سنوات حتى جرت مناقشة في قصر الملك ذات مساء حول المواد التي يصنع منها البارود . وقالت (مدام دي بومبادور) صديقة الملك انها لا تعلم كيف تصنع جواربها الحرير ولا أحمر الشفاه الذي تستعمله في زينتها . فقال احد النبلاء الحاضرين ان من الامور المؤسفة حجز دائرة

المعارف التي تتضمن الاجوبة الصحيحة لكل تلك الاسئلة . فقال الملك انه ابلغ ان ذلك المؤلف مضرّ جداً ، لكنه أمر يجلب الواحد والعشرين جزءاً للأنسكلوبيديا حيث وجد ضيوفه كل المعلومات التي يتوقون الى معرفتها . وصدر الامر الملكي على الاثر برفع الحجز والسماح بتداول دائرة المعارف الممنوعة [1] .

الانسكلوبيديا الاميركية

وفي أواخر القرن الثامن عشر صدرت نحو ٢٣ او ٢٧ دائرة معارف انكليزية اميركية ، ومن اهم واوسع دوائر المعارف الاميركية المنسوبة « لايلتون » التي صدرت في سنة ١٨٧٣ – ١٨٧٦ في طبعة أنيقة مزودة بالصور ، وغير هذه الانسكلوبيديا الاميركية صدر بعد ذلك ولم يزل يصدر في اميركا عدد غير قليل في مختلف المواضيع العامة سواء ما يقتصر منها على اميركا وحدها او ما يشمل العالم كله في مواضيع معينة او مواضيع عامة [2]. وكانت آخر دائرة معارف اميركية عامة حديثة هي التي صدرت في هذه السنة.

الانسكلوبيديا الالمانية

وتعتبر الأنسكلوبيديا الألمانية من أسهل دوائر المعارف واكثرها تنسيقاً وتيسيراً للمطالعة وهي المسماة (ارش وغروبر) وقد أنيط اخراجها وتكملتها بـ (وختر) وبنفقة (بروكهس) وصدرت في ٦ مجلدات بين سنة ١٧٩٦ و١٨١٠ وطبعت في (ليبزيك) و (آمستردام) ثم طبعت بعد ذلك عدة

١ – الانسكلوبيديا البريطانية (E N) تعريب مير بصري .
٢ – دائرة المعارف الاسلامية الايرانية تاليف عبد العزيز الجواهري .

طبعات وترجمت الى عدة لغات اوروبية ، ويرجحها الكثير من حيث اسلوبها وسهولة مراجعتها على الكثير من دوائر المعارف الاخرى ، وأول مؤلف لهذه الأنسكلوبيديا هو (لويل) وقد أتمها (بروكهوس) وانتهت طبعتها الاخيرة في ١٥ مجلداً مطبوعاً بـ (ليبزيك) سنة ١٨٦٤ - ١٨٦٨ وقد ألحقت بها مستدركات وتتمات في سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٣ ولا تزال اليوم وهي من اهم دوائر المعارف العالمية [١] .

الانسكلوبيديا الايطالية

واشهر دائرة معارف ايطالية عامة هي دائرة المعارف المساة (بيفاني) ويذهب البعض الى انها اقدم دوائر المعارف الاوروبية ، ثم دائرة المعارف الايطالية التي بدأ طبعها سنة ١٨٨٤ .

الانسكلوبيديا اليابانية والصينية

ويقول المؤرخون ان الصين قد سبقت اوروبا في تأليف الموسوعات فلليابانيين والصينيين عدد من دوائر المعارف ولكن أهم هذه الدوائر هي الانسكلوبيديا المعروفة بـ (ينغ لوتاتين) وهي من أوسع دوائر المعارف احاطة ، وقد اسهم في تأليفها ٢٢٠٠ كاتب ، والى سنة ١٤٠٧ كان مجموع مجلداتها ٨٩٢ مجلداً وفي القرن السابع كانت هنالك عدة موسوعات قد صدرت باللغة الصينية أما الانسكلوبيديا الصينية المعروفة بـ (سان تسان تو فهي) فتقع في ١٣٠ مجلداً ، وقد قسمت العالم وقوى الكائنات الى ثلاثة اقسام ، هي

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية الايرانية لعبد العزيز الجواهري .

السماء ، والأرض ، والانسان ، وبحثت كل موضوع منها بحثاً موسوعياً شاملاً. وفي اوائـل القرن التاسع عشر ترجمت هذه الموسوعة الى اللغة اليابانية[١] .

ولم يدخل القرن التاسع عشر والقرن العشرون حتى تكاثر عـدد المعاجم والموسوعات العالمية وتنوعت اغراضها في العلوم العامة ، والتأريخ العـــام ، والتراجم والفنون والآداب والاصطلاحات العلمية وقد سدت هذه الموسوعات الى جانب الموسوعة البريطانية والفرنسية كل الفراغ في حاجـة الدنيا العامـة ولاسيما الموسوعات الاميركية ولايزال المتتبعون والمؤلفون الموسوعيون يستدركون بين آن وآخر كل ما كان قد فاتهم او كل حدث جديد في دنيـــا العلم والفن والأدب فيضيفونه الى تلك المعاجم .

فتور الموسوعية العربية

وفي الوقت الذي بزغ فجر النهضة الاروبية بسبب زوال العوارض وبسبب الاكتشافات العلمية والتأريخية وما كان لتماس الشعوب الاوروبيـــة بالشعوب العربية والحضارة الاسلامية من اثر ، اصاب الاقطار الاسلامية شيء من الفتور نتيجة اكتساح المغول للبلدان الاسلامية مما ادى الى انقسام الشعوب وتضعضع اركان الاستقرار واختلال احوال الامم الاسلامية اكثر مما كان مـألوفاً فعرا البلدان العربية الاسلامية ما كان قد عرا الاقطار الاوروبية قبل بزوغ شمس الحضارة وقبل القرن العاشر الميلادي لا سيما ايام الحكم العثماني وبعد القرن الخامس عشر الميلادي ، فعلى رغم فتور حركة الموسوعية في التأليف فقد كان يعوز تلك الموسوعات الصادرة بعد هذا التأريخ المعرفة العامة والاحاطة التامة

---

١ ـــ دائرة المعارف الاسلامية الايرانية تأليف عبد العزيز الجواهري .

بشؤون الدنيا وتقدم العلم وما اصابت اوروبا منه من نصيب .

الموسوعية العربية الحديثة

وكما كان للحروب الصليبية فضل انتقال الافكار العلمية من الشرق الى الغرب فقد كان لحملة بونابرت على مصر الفضل الاول في انتقال الافكار الاوربية الحديثة الى الشرق وزاد تبشير المبشرين بالدين والرحالة الذين كانوا يطوفون بالبلدان الشرقية هذه الصلة ، ثم زادت الجامعة الاميركية ببيروت من توسيع آفاق المعرفة ونشر العلم [١] ، ثم الاكثار من فتح المدارس الجديدة والقيام بترجمة الكتب الفرنسية وانتشار الصحف السيارة حتى وجد القارىء العربي والكاتب والدارس والباحث نفسه بحاجة ماسة الى موسوعة تأخذ بيده وتساعده على فهم الكليات العامة في حياة العلم والثقافة والمعرفة ، ومن هنا ، من هذا الاحساس بالحاجة الماسة تيقظت فكرة الموسوعية في الاذهان من جديد ، وفي هذه المرة كان التفكير في سد الحاجة من الثقافة العامة بأي وجه من وجوهها العلمية او التأريخية او الفنية ، وحتى اللغوية من اشق الامور واصعبها ، على رغم توفر كل الوسائل المطلوبة من الكتب بمختلف اصنافها واغراضها وسهولة السفر والانتقال ومقابلة الرجال التي لم تكن متيسرة في القرون الاولى لمؤلفي الموسوعات ، ذلك لان ميدان العلم والتأريخ والفن والاكتشاف قد اصبح من السعة بحيث يصعب كل الصعوبة على فرد واحد او افراد قليلين دخوله والاحاطة بطرف من اطرافه فكيف اذا اراد الاحاطة بجميع إطرافه وحدوده ومع ذلك فقد كان بطرس البستاني المتوفى سنة (١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م) اول من فكر باصدار دائرة معارف حديثة شاملة وقد

---

١ ـ القصة العراقية قديماً وحديثاً ـ لجعفر الخليلي ص ١٣٣ .

شرع بها فعلاً وانجز منهـــا ستة اجزاء وبدأ بالسابع وتوفي فاكمله ابنه سليم واردفه بالثامن وتعاون ابناء له آخرون مع ابن عمهم سليمان خطار البستاني المتوفى سنة (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م) فاصدروا الجزء التاسع والعاشر ، والحادي عشر ، وشرعوا في الثاني عشر وتوقف العمل [١] امـا طبع الجزء الاول من دائرة معارف البستاني فقد تم في سنة ١٨٧٦ م اي قبل وفاة المعـلم بطرس بسبع سنـين .

وتصدى في السنوات العشر الاخيرة فواد افرام البستاني رئيس الجـامعة اللبنانية الى اعادة النظر في دائرة معارف البستاني والشروع بتكملة اجزائها على نفقة اميل البستاني وقد صدر منها لحد الآن خمسة مجلدات ، ويوشك ان يصدر المجلد السادس قريباً

وصدرت بعد ذلك كتب كثيرة فيهـا شيء من صفة الموسوعية كما صدر عدد من معاجم اللغة ولكن معجماً عـاماً ودائرة معارف شاملة لم تصدر بعد دائرة معارف البستاني غير دائرة معـــارف محمد فريد وجدي المتوفى سنة (١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م) وقد صدرت في عشرة اجزاء كاملة باسم (دائرة معارف القرن الرابع عشر – العشرين) وتم طبع الجزء الاول منها سنة ١٩٢٣ ، ثم (دائرة المعارف الاسلامية) التي نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي واحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، وقد طبع منها احد عشر مجلداً بمصر بين سنة ١٩٣٣ - ١٩٥٧ .

موسوعات عربية أخرى

وكلما خطا العالم العربي في ميدان الحضارة الحديثة خطوة أحس بالحـاجة

١ ـ الاعلام ـ لخير الدين الزركلي ، حرف الباء (البستاني)

الماسة الى سد النقص الهائل في عـالم التأليف ففي الخزانة العربية فراغ وفي انفس قرائها حاجة ، وللعصر اقتضاء يعوز الخزانة العربية كتاب يضم شتات ما فيها من علم ومعرفة من القديم والجديث ، ويقتضي العصر الذي نعيش فيه ان تكون لنا كتب يجتزي بها المعجل منا عن مطولات السير وضخام اسفارها كما يقول الزركلي في مقدمة الاعلام .

ولكن النهوض بهذا الحمل ليس شاقاً من حيث تضافر العلمـاء والادباء والبحث والتتبع والاستقصاء فقط وانما النهوض به من حيث التمويل والانفاق قد لا يقل صعوبة ان لم يكن اكثر صعوبة من التأليف وجمع المواد ، ومع ذلك فقد بذلت جهود فردية نجح بعضهـا نجاحاً منقطع النظير ، وجانب بعضها التوفيق كله او بعضه لمـا لحق به من نقص في الشمول والاحاطة او التحقيق العلمي والتثبت من صحة الوقائع ، ومع ذلك فلم تخرج تلك الجهود وان كانت مختصرة ومحدودة وضيقة عن حدود المحاولات المفيدة في عالم الموسوعية .

وكثير اولئك الذين تناولوا التراجم والمواضيع بمختلف اغراضهـا باسم (الاعلام) او اسم (المعـاجم) او الاسماء الاخرى الدالة على الموسوعية ، ولكن الغالب في تلك الموسوعات كان في منتهى الايجاز والاختصار وقلة عدد المترجم لهم او قلة المواضيع التي تحدثوا عنها . وقد كان للمؤلفين العراقيين نصيب مذكور في هـذه الموسوعات ، واذا استثنينا معـاجم اللغة فمن اهم (الاعلام) و (المعاجم) التي صدرت في الثلث الاول من هذا القرن هي :

(اعلام العراق) لمحمد بهجة الاثري المطبوع سنة ١٣٤٥ هجرية ،و(اعلام العرب في السياسة والادب) لفائز سلامة المطبوع سنة ١٩٣٥م ، و (الاعلام الشرقية في المـائة الرابعة عشرة الهجرية) لزكي محمد مجـاهد طبعت بين سنة ١٣٦٨ - ١٣٧٤ هجرية . و (اعلام النساء) لعمر رضا كحالة وهو في ثلاثة

مجلدات طبعت في ١٣٥٩ هجرية . و (اعلام المقتطف) و (اعلام من الشرق والغرب) و (اعلام الادب والفن) وغيرها .

ومن اشهر المعاجم الحديثة (معجم المطبوعات العربية والمعربة) ليوسف اليان سركيس في احد عشر جزءا بمجلدين طبع سنة ١٩٢٨ ، ومعجم (ادباء الاطباء) لمحمد الخليلي في ثلاثة اجزاء طبع الجزء الاول سنة ١٩٤٩ والجزء الثالث هو تحت الطبع اليوم ، و (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) لعمر رضا كحالة طبع سنة ١٩٤٩ ، و (معجم الانساب والاسر الحاكمة في التأريخ الاسلامي) للمستشرق زامباور وقد اخرجه جماعة برئاسة زكي محمد حسن طبع في سنة ١٩٥١ ، و (المعجم) وهو موسوعة لغوية علمية فنية لعبد الله العلايلي طبع المجلد الاول سنة ١٩٥٤ و (معجم العراق) لعبد الرزاق الهلالي صدر منه جزءآن ينتهي الجزء الثاني بحرف الصاد وقد طبع الجزء الأول سنة ١٩٥٣ [١] وغيرها .

أما الكتب التي اتصفت بالموسوعية واطلقت عليها اسماء عامة مختلفة فهي كثيرة ومن أشهرها :

(المسك الاذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر) و (بلوغ الأرب في أحوال العرب) والكتابان لمحمود شكري الألوسي المتوفى سنة (١٣٣٢هـ ١٩١٤م) ويقع بلوغ الأرب فيثلاثة أجزاء طبع الجزء الاول منه سنة ١٩٢٤، و (الروائع) وهي سلسلة صدر منها ما يقرب الستين جزءاً لحد الآن ألفها فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية ، وقد طبع الجزء الأول منها

---

١ ـ الاعلام لخير الدين الزركلي ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ـ الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي ـ دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ـ الروائع لفؤاد افرام البستاني .

سنة ١٩٣٢ مبتدئاً بعلي ابن ابي طالب ، وتعتبر (الروائع) أروع خلاصة لتاريخ الأدب العربي وكنوزه القديمة والحديثة ، (ومناهل الادب العربي) سلسلة أصدرتها مكتبة صادر ببيروت على غرار (الروائع) و (تاريخ العراق بين احتلالين) وهو في ثمانية مجلدات لعباس العزاوي المحامي وقد طبع المجلد الاول سنة ١٩٣٥ و (عشائر العراق) للعزاوي نفسه وهو في أربعة مجلدات ، طبع المجلد الاول منها سنة ١٩٣٧ و (الكنى والألقاب) للشيخ عباس القمي في ثلاثة أجزاء وقد تم طبعها سنة ١٩٣٩ بمطبعة العرفان و (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) للشيخ عبد الحسين الأميني صدر منه أحد عشر مجلداً وقد طبع المجلد الاول في سنة (١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م) و (أدب المقالة الصحفية) للدكتور عبد اللطيف حمزة وقد صدرت منه ثمانية مجلدات لحد الآن وقد تم طبع المجلد الأول سنة ١٩٥٠ .

و (البابليات) للشيخ محمد علي اليعقوبي وهي ثلاثة مجلدات وقد طبع المجلد الأول سنة (١٣٧٠هـ ١٩٥١م) و (نفائس المخطوطات) لجامعها ومحققها الشيخ محمد حسن آل ياسين صدر الجزء الاول منها سنة ١٧٣١هـ ١٩٥١م ، وعدد آخر مما اتصف بالموسوعية (كمعارف الرجال في تراجم العلماء والادباء) للشيخ محمد حرز الدين وقد صدرت منه ثلاثة اجزاء ، و (كشعراء الغرى) و (شعراء الحلة) لعلي الخاقاني وطائفة أخرى من الكتب ذات الصبغة الموسوعية التي اكتفينا بايراد الأمثلة عليها نظراً لصعوبة التوسع فيها .

الموسوعة الكاملة

أما الكتب الحديثة التي صدرت في النصف الأول من القرن الاخير واتصفت بالموسوعية اتصافاً كاملاً والتي قاربت اكثر من غيرها حدودالموسوعية الكاملة فهي كثيرة منها (المنجد في اللغة والادب والعلوم) تأليف الأب

لويس معلوف اليسوعي وقد صدرت الطبعة الاولى منه سنة ١٩٠٨ مقتصرة على اللغة ثم خرج اخيراً بمساعي الأب فُردينان توتل كموسوعة جامعة للغة والأدب والعلوم ..

و (الأعلام) لخير الدين الزركلي الذي قضى في جمع موسوعته وتأليفها أربعين سنة متواصلة بدأها منذ سنة (١٣٣٠هـ ١٩١٢م) وطبع الأجزاء الثلاثة الأولى لأول مرة سنة ١٩٢٧ ثم نقحها وزاد عليها وطبعها في عشرة أجزاء وهي اليوم من أهم بل أهم المصادر لتراجم الرجال المتقدمين والمتأخرين على الاطلاق وينتظر ان يصدر الجزء الحادى عشر من (الأعلام) في المستقبل القريب .

وكتاب (تنقيح المقال في أحوال الرجال) للشيخ عبدالله المامقاني المتوفى سنة (١٣٥١) هـ وهو في ثلاثة أجزاء ويحتوي على ١٣،٣٦٥ ترجمة لرجال الأخبار ورواة الحديث وأرباب السند ويعتبر (تنقيح المقال) من أوسع علوم الرجال وتراجمهم احاطة وبحثاً ، وقد تم تأليف الجزء الاول سنة (١٣٤٨هـ ١٩٣٠م) .

وكتاب (تأريخ الوزارات العراقية) للسيد عبد الرزاق الحسني وقد صدر منه عشرة مجلدات وتم طبع الجزء الاول سنة ١٩٣٤ وهو في موضوعه موسوعة تامة كاملة .

وكتاب (اعيان الشيعة) للسيد محسن الامين العاملي المتوفى سنة (١٣٧١هـ ١٩٥٢ م) وهو في ٥٢ مجلداً يحتوي على ما يقرب من ١٢،٠٠٠ ترجمة للعلماء والادباء من رجال الشيعة ويعتبر اكبر موسوعة صدرت في تأريخ الموسوعة العربية في موضوعها وقد تم طبع الجزء الاول منها في سنة ١٩٣٥ وبوشر اليوم باعادة طبع هذه الموسوعة واضافة طائفة من التراجم المستدركة عليها.

وكتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة) وهي موسوعة كاملة في بابها لمؤلفها الشيخ آغا بزرك وقد طبع منها سبعة عشر مجلداً وتم طبع المجلد الاول سنة (١٣٥٥ هـ ١٩٤٦ م) .

وكتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) للدكتور جواد علي وهو في عشرة اجزاء وقد طبع المجلد الاول منه سنة ١٩٥٠ م وهو الآخر اوسع مجموعة صدرت عن العرب وتأريخهم قبل الاسلام . وغير ذلك مما اكتفينا بضرب المثل عنه .

وعلى كثرة المواضيع والنواحي التي تفتقر الثقافة العربية الى وجود موسوعة ضافية لها فان حركة الموسوعية الجماعية منها والفردية لا تزال ضيقة وقليلة بل واقل من القليل اذا أجاز هذا التعبير .

موسوعة العتبات المقدسة

والعتبات المقدسة جمع، مفردها العتبة محركة ، والعتبة لغة : هي اسكفة الباب ، والاسكفّة : هي خشبة الباب التي يوطأ عليها كما تعرفها كتب اللغة وقد تشمل العتبة خشبة الباب العليا والسفلى ، من محل موطء القدم ثم ما لبث العرف ان منح هذه العتبة من ابواب قصور الملوك ومداخل بيوتهم شيئا من الاحترام ازدادت اهميته بمرور الزمان ولم يزل للآن البعض من قبائل العراق حين يريد ان يلوذ لاجئا بزعيم او كبير من رجال القوم يعمد الى باب مضيفه او داره فيشد نفسه اليه ويقبل عتبته .

ويذهب التاريخ الى ان تقبيل العتبة قد جرى لاول مرة على (باب النوبي) ببغداد وباب النوبي هذا من ابواب دار الخلافة العباسية منذ سنة ٤٤٧ هـ ١٠٥٥م فقد جاء في اخبار الخليفة القائم بامر الله العباسي: «وفي ايامه انقرضت دولة الديلم ببغداد بعد طول مدتها وقامت دولة السلجوقيين ، وكان آخرهم

الملك الرحيم من ولد عضد الدولة دخل عليه بغداد طغرلبك السلجوقي ، وهو اول السلجوقية فقبض عليه وقيده ، فقال له الملك الرحيم :

ارحمني ايها السلطان .

فقال له .. لا يرحمك من نازعته في اسمه المختص به — مشيراً لله تعالى

فبلغ ذلك القائم فقال : قد كنت نهيته عن هذا الاسم فابى الالجاجا اورده عاقبة سوء اختياره ، وخلصه من بين يدي طغرلبك [١] الى ان وصل عتبة (باب النوبي) فقبلها شكراً لله وصارت سنة بعده » [٢] .

وقال ياقوت الحموي في تعريف (الحريم) وابوابه من دار الخلافة العباسية « ثم باب البدرية ثم (باب النوبي) وعنده باب العتبة التي تقبلها الرسل والملوك اذا قدموا بغداد » [٣] وقال ياقوت في كتابه المشترك « ثم باب البدرية ، ثم باب النوبة وفيه العتبة التي تقبلها الرسل والملوك وغيرهم اذا قدموا بغداد وهي قطعة من رخام ابيض مطروحة امام هذا الباب طولاً » [٤] .

ولما كانت أضرحة الائمة مقدسة وهم أنوار الله ، ورسل الخير ، وصفوة الخلق طهارة ، وعفة ، وعلماً ، وتقى ، كانت أبوابهم وعتباتهم أحق بمثل هذه المراسيم التي اعتبرت فيما بعد كطقوس مقدسة فأقبل عليها الموالون والعارفون بقدسيتها على ما نعتقد وأولوها عناية أكبر وقدسية انبعثت من أعماق نفوسهم وايمانهم ثم توسّعوا في عرفهم فسمّوا الاضرحة كلها باسم العتبات واصبح اسم العتبة اكثر شمولاً وأعم بمقتضى ما جرى عليه الاصطلاح

١ ـ يقول الدكتور مصطفى جوادان الاصل كان بهذا النص «وخلصه طغرلبك من بين يديه» وهو من سبق القلم .

٢ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي في ترجمة القائم بامر الله .

٣ ـ مادة حريم من معجم البلدان .

٤ ـ المشترك وضعاً المختلف صقعاً ص ١٣٠ « اخرجه الدكتور مصطفى جواد ».

والعرف .

والعتبات المقدسة من المواضيع الخطيرة والنواحي ذات العلاقة بالاسلام والمسلمين ، والعرب والعروبة ، والثقافة العامة التي كان يجب ان يعنى بها العلماء ، والادباء ، عناية كبيرة فيخصوها بموسوعة شاملة وذلك لما لكل عتبة من هذه العتبات من الاثر الكبير في تأريخ الاسلام والعرب ، والفن ، والعلوم ، والادب ، فهي منذ صدر الاسلام ومنذ ان اصبحت (عتبة) في عرف المسلمين واصطلاحهم لم تزل مصدراً من مصادر التأريخ الاسلامي والعربي الواسع اذ بفضلها وفضل مدارستها توسعت دائرة الفقه الاسلامي ، وبفضلها كثرت الشروح والتفاسير للقرآن الكريم ، والنصوص الدينية ، وتركزت الفلسفة اكثر واكثر في صلب الأسس القويمة حتى صار للعقل شأن كبير في استنباط الأحكام وفهم المغازي من قواعد الشريعة الاسلامية ومراميها .

وبفضل هذه المدارسات والمباحثات والتتبع – الذي كان للعتبات المقدسة منه النصيب الأكبر في تأريخ الأسلام والعرب واحياء العلوم والمعارف طوال هذه القرون – حفظ الأدب العربي في العصور المظلمة الراكدة روعته ، وجدله ، وأصول لغته ، وحفظ التأريخ العربي والثقافة الاسلامية العربية كنوزه من المخطوطات ، والكتب التي احتفظت بها مدارس العتبات المقدسة وحرصت عليها في خزائنها خوفاً مما قد يصيبها مثلما أصاب الكتب الاسلامية والعربية في غزوة المغول وفي الثورات والغزوات التي كانت تجتاح البلدان الاسلامية والبلدان العربية في العصور المظلمة ، فضلاً عما كان ينصب في هذه العتبات من عصارة مختلف الثمرات والثقافات التي يحملها المسلمون من جميع اقطار الارض وهم يحجون مكة المكرمة ، ويطوفون بالمدينة المنورة ، ويزورون النجف الاشرف ، وكربلاء ، وسائر العتبات ، بل ويقيم الكثير

منهم في هذه العتبات دارساً ، وباحثاً ، او مجاوراً ليقضي بقية عمره هناك .

ويقول علي الشرقي عن احدى هذه العتبات وهي النجف [١] .

« ولأجل التلمذة على منبر النجف هاجر ولا يزال يهاجر الجمع الغفير من سائر الأقطار الشيعية بالادب ، ومواعين الادب ، أجل لقد هاجروا باذواقهم وميولهم ، وعقولهم ، واساليبهم الفكري ، فأوجدوا في النجف حركة فكرية تمتاز عن الحركة الفكرية في امهات المدن العراقية مثل البصرة ، والموصل ، وبغداد ، وهذه الفكرة نفعت النجف وانعشتها بأمور عدة : أدبية ، واجتماعية ، وأوجدت لها مكانة عالمية مرموقة ، فالحركة الفكرية القديمة ، والنهضة الحديثة بما فيها من جهاد علمي ، وعناد سياسي ، وتجديد أدبي واتجاه اصلاحي ، كلها كانت بنافخ من تلك الهجرة ، فلقد كان لذلك الاحتكاك أثر أدبي في الحركة الذهنية وقد أعان على نشاط الحركة الفكرية في صفوف النجفيين ما كان للشيعة من مصادر ثرية للمعرفة ، تزودهم بزاد للفضيلة من أدب النفس ، وأدب اللسان ، وصقال الذهن ، ولطف الذوق ، والغور في التفكير والتحليق في التصور » .

ومن كل تلك العوامل من الهجرة الى مواصلة المدارسة والبحث والتحقيق ، أخذت كل عتبة من العتبات المقدسة نصيباً ان اختلفت ألوانه وأغراضه في كل (عتبة) فلم تختلف في كثير من جواهره التي دلت عليها التآليف والدواوين ، والتراجم ، والبناء ، والريازة ، والخط ، وفن النقش ، بالاضافة الى ما انبعث من العتبات من قواعد للفلسفة الروحية ، والعلوم الاخلاقية ، وما اختص بها من مكارم الاخلاق ، والحث على الكمال فيما أثر عنها من أدعية غاية في الروعة والسحر ، وأدب في غاية السمو والرفعة .

---

١ ـ الاحلام للشيخ علي الشرقي ص ٤٠ .

وان هذه الكنوز التي احتواها تاريخ العتبات المقدسة من علم ، وفن ، وادب ، لم تكن جديرة باتخاذها اساساً لموسوعة كبيرة فحسب ، وانما كانت في منتهى الضرورة للعالم الاسلامي والعالم العربي خاصة وللعلم المشاع ، والادب العام ، والفن الواسع عموماً ، ويبـدو لي ان عدة محاولات قد بذلت في هذا السبيل بمنـاهج مختلفة على طريقة المعاجم ، او التأريخ الواسع فيما مر من التأريخ القديم والتأريخ الحديث فطبع البعض من تلك الموسوعات وبقي البعض مخطوطاً ولكن التوفيق كثيراً ما جانب تلك المحاولات سواء من حيث كثرة الاغلاط وعدم الدقة او من حيث ضيق المجال والاختصار ، هذا مضـافاً الى ان جل من كتب عن العتبات المقدسة وعن الشيعـة والتشيع ومعتقداتهم وتواريخهم وفنونهم وآدابهم كانت كتاباتهم محفوفة بالعواطف امـا حباً للشيعة لانهم شيعة منهم ، واما كرها لهم لانهم ليسوا منهم ، لذلك تبعثرت المصادر الصحيحة وتشوهت الحقيقة هنا وهنـاك ، وصار استخلاص الواقع لتأريخ الشيعة العام وتأريخ العتبات المقدسة ، لايخلو من الصعوبة والعسر .

يقول الدكتور طه حسين في كتابه (علي وبنوه) ص ١٨٩ «وخصوم الشيعة واقفون لهم بالمرصاد يحصون عليهم كل ما يقولون ويفعلون ، ويضيفون اليهم اكثر مما قالوا وفعلوا . ويحملون عليهم الاعاجيب من الاقوال والافعال ثم يتقدم الزمان وتكثر المقالات ويذهب اصحاب المقالات في الجدال كل مذهب فيزيدون الامر تعقيداً واشكالاً » .

كل هذا هو الذي حمل جمعاً من افاضل رجـالات العلم عندنا على ان يولوا هذا المشروع اهتماماً وان يعنوا به عناية خاصة ، ولقد قيل من قبل ان ليس هنالك من امر عظيم الا وكان مبعثه فكرة صغيرة لا تلبث ان تنشط كما تنشط النبتة حين تشق الارض وتواجـه نور الشمس ، وكان مشروع (موسوعة العتبات المقدسة) مجرد فكرة انبعثت من ذهن احد رواد (دار التعارف)

الذين اعتادوا ان يسمروا في مساء كل احد بدار التعارف ببغداد وجلهم من رجال العلم واساتذة الجـامعة ، واهل الادب ، وما كادت الفكرة تنطلق من الذهن عن طريق اللسان حتى تداولها الحاضرون وقلّبوها على جميع وجوهها فاذا بهـا بين عشية وضحاها تخرج الى حيز العمل باسم (موسوعة العتبات المقدسة) .

وحصرت المواضيع ، وقسمت الى اجزاء ، وتناول كل عضو مـا يلائم اختصاصه منها على ان يستعين برهط آخر من ارباب الخبرة والاختصاص اذا اقتضى ما يستوجب ذلك ، فكثر عدد اعضاء المتصدين للتأليف وكثر عدد من يعاونهم ، وجرى تقسيم الموسوعة الى اقســام ، خصت كل عتبة بقسم من البحوث فالقسم الذي يخص (المدينة المنوّرة) مثلاً سيستقل باجزائه عن اي قسم آخر لاية عتبة اخرى ، وقد يصدر جزء او اجزاء من القسم الخـاص (بسامراء) مثلاً في الوقت الذي يصدر جزء واحد او اكثر من القسم الخاص بالمدينة المنورة ، او كربلاء ، او النجف، او مكة . فقد جعلنا (الاقسام) غير خاضعة لترتيب اجزاء الموسوعة العامة ، فكل قسم من هذه الاقسام سيكون موسوعة مستقلة قائمة بنفسها ضمن الموسوعة الكبرى ، وستكون (موسوعة العتبات المقدسة) بناء على هذا عبارة عن مجموعة من الموسوعات .

وتشرفت انا بالقيام بتأليفها وتقسيم مواضيعهـا ، وربط بعضهـا ببعض والتعليق عليها بالحرفين (ج . خ) واسهمت في التأليف مع المؤلفين على قدر الامكان ، وسيكون هذا الجزء بمثابة مقدمة الموسوعة العامة جهدنا ان نجعلها تحيط بما ينبغي الاحاطة به عن العتبات بصورة مجملة على ان يأتي تفصيل هذا المجمل في اقسامه الخاصة به ، وفي اجزائه المتتابعة ، وننتظر ان يكون هذا الجزء او هذا المدخل بمثابة الفهرست المجمل لكل الموسوعة ممـا لا غنى عن ضمه للقسم الخاص باحدى العتبات او للمجموعة العامة من اقسام جميع العتبات

فهو المقدمة الاولى لموسوعة العتبات المقدسة جمعاء .

أما الى اي مدى سيحالفنا التوفيق ، وكم هي (الاقسام) التي نستطيع ان نخرجها وكم هي أجزاء كل قسم مما نستطيع أن نجمعه وندفع بـه الى المطبعة فان علم ذلك عند الله تعالى ، وحسبنا أننا أقدمنا على مشروع خطير ، مهيب ، ليس من الهين النهوض به من حيث البحث والتأليف والانفاق ، وان (دار التعارف) لتحس بثقل هذه المسؤولية ، وتتهيب المشروع ، وليس لها ما يبعث فيها الامل ويدفعها الى تحمّل المسؤولية غير الايمان بأن المرأ كثير بأعوانه ، وان أي عجز وأي إخفاق يعترضها في هذا السبيل ، لا يمكن ان يفسر بغير الفوز والنجاح الذي كان أقله أنها قد وضعت - او حاولت أن تضع لبنة في بناء هذا الصرح ، والاعمال بالنيات كما يقولون ، ومن الله التوفيق .

دار التعارف – بغداد جعفر الخليلي

لمحة تاريخية مجملة

عن مدن العتبات المقدسة

كتبها

الدكتور حسين أمـين

من أساتذة جامعة بغداد الحائز على درجة دكتـوراه الشرف
الأولى من جامعة الاسكندرية ، والسكرتير لقسم التأريـخ
في كلية التربية – والمقرر بدائرة التأريخ والآثار بجامعة بغداد

مكة المكرمة

تعتبر مدينة مكة من أقدم المدن في الجزيرة العربية وقد ورد ذكرها في المصادر اليونانية والآثار اليانية وكثيراً ما يشار اليها باسم (مكرابا) ومعناه بيت الله الحرام ، وأقدم ذكر لهذه المدينة المقدسة ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً [1] » .

موقعها :

وتقع مكة في تهامة وهي بلدة كبيرة ومستطيلة [2] وليس حولها أرض زراعية ، فهي في واد غير ذي زرع ، وتبعد أربعين ميلاً عن الساحل، ٣٠٠ ميل غن المدينة ونحو ٢٠ ميلاً عن الطائف ، وواديها يمتد من الشمال الى الجنوب ، وهذا الوادي يتسع قليلاً في نهايته ، فيبلغ عرضه نحو كيلومتر

---

١ - القران الكريم : سورة ال عمران ٩٦ ، ٩٧

٢ - قطب الدين : كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٠

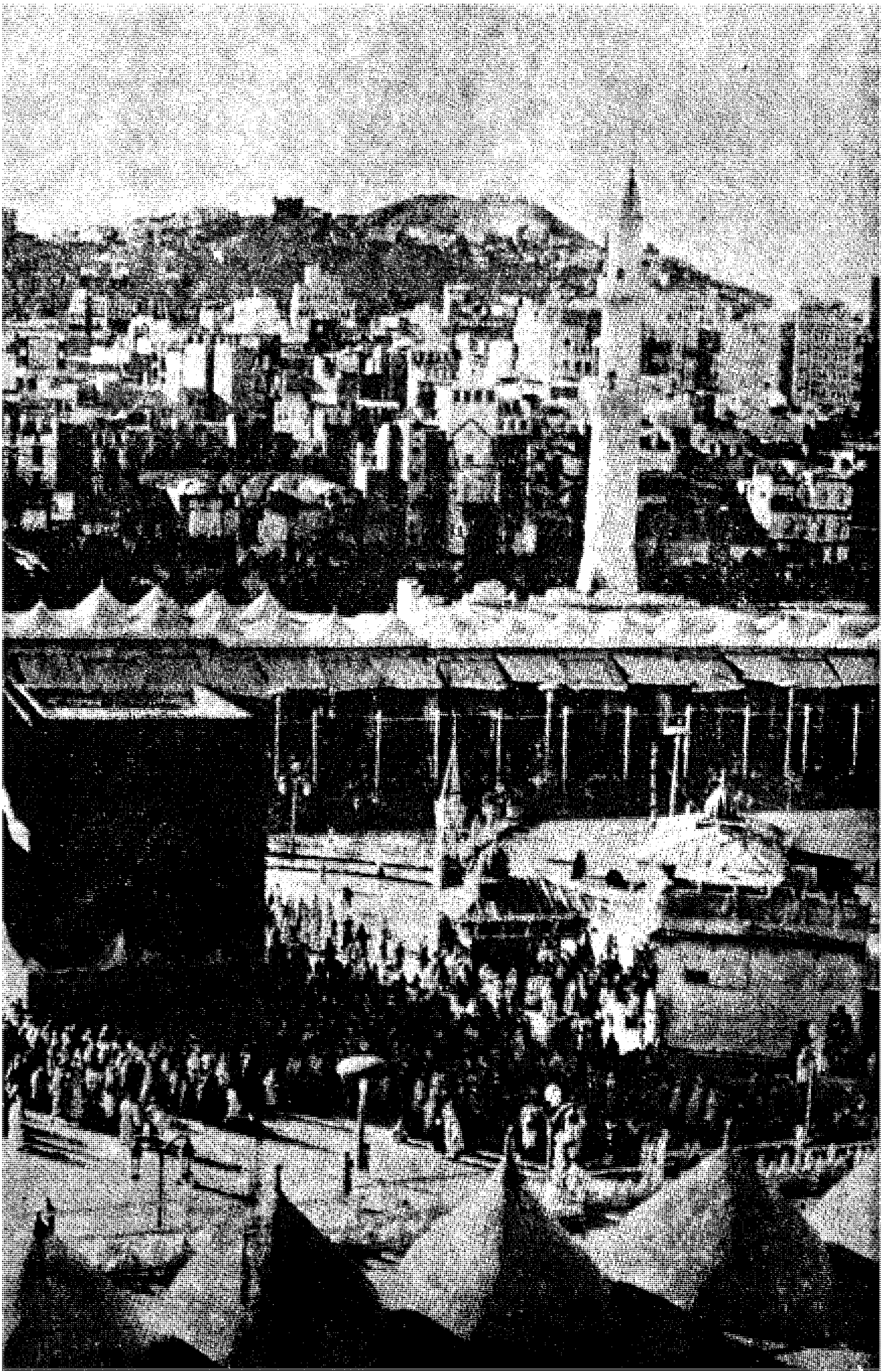
وطول هذا الجزء المتسع نحو كيلومترين ، وتقسع في هذه الفسحة منه مكة المكرمة ، وفي جنوبها يضيق الوادي مرة أخرى ، ويتفرع منـه وادٍ آخـر يتجه نحو الشمال الغربي وبذلك تصبح لمكة ثلاثة مخـارج ، مخرج شمـالي الى عرفة ومنهـا الى الطائف ونجـد ويسمى شعب مَعَبْدَه ، وجنوبي ، ويسمى المسفلة وهو يفضي الى طريق اليمن ، وفي الجنوبي الغربي حرَّة البـاب ، الى طريق جدة والمدينة وتحيط الجبـال العالية بوادي مكة ، ففي الشمال جبل قضا ، وفي الغرب جبل لآلىء وجيفان ، والقنا ، وبينها شارع المدينة الكبير ، وفي وسـط الوادي ترتفع الارض ، وهذه المرتفعات في الوسط دون الجبـال المحيطة بالوادي ، ومن مرتفعات الوسط جبل جياد وكانت عليه قلعة ، وجبل أبي قبيس المطل على الحرم وكان عليه مسجد بلال ، ويقابل جبل أبي قبيس جبل هندي وعليه قلعة ، والحرم الشريف في السهل بين أبي قبيس وهندي ، ووادي مكة لا ماء فيه إلا ماء زمزم وبالرغم من أن مكة في مكان جدب فقد انتعشت بسبب وقوعهـا في طريق القوافل التجـارية وقربها من مينـاء جدة (١) ويبدو ان سكانها انصرف معظمهم الى الاستفادة من ذلك الموقـع واتخذوا من التجارة حرفة أعادت عليهم الأرباح الكثيرة وقد نجحت قريش نجاحاً كبيراً في توجيه نشاط المدينة توجيهاً تجارياً ، وبذلك تكونت في مكة قبيل ظهور محمد (ص) جمهورية تجارية تشبهها الجمهوريات التجارية التي ظهرت في القرون الوسطى في ايطاليـا كالبندقية وجنوا وبيزا وغيرها من جمهوريات المدن التجارية .

---

١ — Gibbon Secline ond fall of Roman Empire 5,P. 213

←

الجانب الاعلى من مدينة مكة المكرما



القبائل التي سكنت مكة

وسكنت مكة قبائل عديدة من أشهرها العماليق ، وجرهم ، وكنانة وخزاعة ، ودخلتها قريش وأول من عرف من رجالها المشهورين قصي بن كلاب بن مرّة والذي تمكن بما أوتي من القوة والكفاية من الاستحواذ على مفاتيح البيت الحرام وانتزاعهـا من بني خزاعة وكان ذلك بعد سنة ٤٠٠ م وقد اشتهرت قريش بالتجارة ، وقد ورد في القرآن الكريم ان لقريش رحلتين « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف» [١] وكانت رحلة الشتاء الى اليمن وبلاد الحبشة ، والثانية كانت الى الشام ، وكانت قوافلهم التجارية اشبه بالحملات تكون بالاف الابل [٢] واتخذت قريش حرساً خاصاً لحماية قوافلها ، وقد اصطلح على ذلك النفر اسم الاحابيش [٣] ، وقد اشتهرت في مكة عوائل احترفت التجارة وكسبت منها ارباحاً طائلة مثل بني أمية وبني مخزوم وبني نوفل وبني هاشم [٤] .

وكانت قريش تتألف من عدة قبائل وتنقسم الى مجموعتين كبيرتين : قريش الظواهر ، قريش البطاح ، فاما قريش الظواهر فهم الدين اقاموا في ظاهر مكة ، ومنهم بنو بغيض وبنو الادوم وبنو محارب وكانت هذه القبائل كثيرة الغارات والغزوات ، اما الذين سكنوا حول البيت في داخل مكة ، فقد عرفوا بقريش البطاح وكان لرجالها الادارة والتجارة والثروة وهم بنو

١ ـ القرآن الكريم سورة قريش

٢ ـ ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٣٧

٣ ـ راجع ابن هشام ج ٢ ص ٧٤٣ ، العبادي صور من التاريخ الاسلامي ص ١٣ ـ ٢١

٤ ـ ابن سعد . الطبقات ج ١ ص ٤٠

عبد مناف ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد قصي ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو مخزوم ، وبنو جمح ، وبنو عدي .

اهمية مكة

ولمكة قدسية عظيمة في نفوس المسلمين ، لوجود الكعبة الشريفة فيها ، والكعبة اي البيت الحرام الذي كان محجاً للعرب قبل الاسلام وصارت كذلك لجميع المسلمين بعد البعثة المحمدية ، وسميت الكعبة بهذا الاسم لشكلها المكعب ، وكان في الكعبة قبل الاسلام معظم اصنام القبائل العربية ، وجاء في الاخبار التاريخية ان الرسول (ص) عند دخوله الكعبة يوم الفتح رأى فيها ستين وثلاثمائة صنم ، فامر فكسرت [١] ولعل من اشهر اصنام الكعبة ، (العزى) وكانت قريش تتعبد للعزى وتزورها وتهدي اليها وتتقرب اليها بالذبائح [٢] ، ومن مشاهير اصنام مكة اللات ومناة وهبل ويذكر المؤرخون ان هبل هو اول صنم اقيم في جوف الكعبة ، وانه من عقيق احمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى ، ادركته قريش فجعلت له يداً من ذهب [٣] ، وأول من وضع الكسوة في البيت الحرام كان ملك اليمن اسعد ابو كرب [٤] وأصبح هذا العمل عادة في كسوة البيت كل عام ، وقد بذلت قريش عنايتها تنظيم الحج اليها لتقديس العرب فيها وترتب على ذلك ظهور بعض الانظمة والتي لها مساس بحرمة هذا المكان وقدسيته ، ومن تلك الانظمة الملأ ، وهو

---

١ ـ ابن الاثير الكامل ج ٢ ص ١٠٥

٢ ـ جواد علي تاريخ العرب ج ٥ ص ٩٦

٣ ـ ابن الكلبي الاصنام ص ٢٨

٤ ـ الازرقي اخبار مكة ج١ ص ١٦٥ يذكره باسم اسعد الحميري

مجلس قريش ، ويتكون من رؤساء القبائل ، والسدانة ، وهي وظيفة العناية ببناء الكعبة وبذل الخدمة لها ، والسقاية [١] وهي توفير المـــاء للحجاج والرفادة [٢] وهو مال تخرجه قريش لاطعـــام الحجاج الفقراء والحجابة [٣] وعمل رئيس هذه الوظيفة حفظ مفـــاتيح الكعبة ، واللواء [٤] وهي راية قريش وكانت من اختصاص بني مخزوم، والسفارة ، وكانت لبني عدي وهى وظيفة مهمة يقوم صاحبهـــا باجراء الاتصالات باسم قريش من النواحي السياسية والتجـــارية والعسكرية ، وكان العرب يحجون البيت الحرام في الجاهلية في كل شهر ذي الحجة طبقاً لمناسك [٥] ترجع الى وقت بنائهـــا [٦] وكانوا يطوفون بالبيت الحرام وعليهم الا يجزّوا شعرهم ولا اظفـــارهم ولا يدهنوا ولا يتطيبوا ولا يمسوا النساء ولا يحملوا السلاح ولا يأكلوا اللحم [٧] وهم في حالة طوافهم كانوا يتشابكون بالايدي ويصفقون ويصفرون وهم عراة الاجسام، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذه الحالة في قوله تعالى :

« وما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية [٨] » وعند دخـــول العرب الحجـــاج البيت الحرام يقبلون اولا الاله « آساف » وكذلك عند خروجهم وبعد ذلك يتجمهرون لاستلام الحجر الاسود الذي يعتبر اقـــدم

١ ـ الطبقات لابن سعد ص ٤١
٢ ـ ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٨٣
٣ ـ ابن سعد : ج١ ص ٤٤
٤ ـ المرجع السابق
٥ ـ النويري ج ١ ص ٣٠٦
٦ ـ ابن هشام : ج ١ ص ٥١
٧ ـ اليعقوبي ج١ ص ٢٩٧
٨ ـ القران الكريم : سورة ٨ اية ٣٥

الاحجار المقدسة [١] وبعد زيارة الكعبة يسعى الحجاج الى الصفا والمروة وهما مرتفعان صخريان عليهما صنمان [٢] الاول يسمى مجاور الريح ، والآخر مطعم الطير، وبعدها يتفرق الحجاج في الاماكن المجـــاورة مثل عرفه والمزدلفة للنحر [٣] وكانت قريش تنصب لها في ذلك الموسم قباباً حمراً [٤] من الادم اظهاراً لزعامتها على العرب ، بينما كانت قباب القبائل الاخرى من الشعر .

بنـاء البيت

ان القرآن الكريم أشار الى بنـاء ابراهيم (ع) للكعبة الشريفة في قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منـــا انك انت السميع العليم » وقد بنى الكعبة بعد ابراهيم العمالقة وجرهم ، ثم بناها بعد ذلك قصي بن كلاب وقد سقفها بخشب الدوم الجيد وبجريد النخل .

ويبدو ان الكعبة الشريفة في عهد ابراهيم [٥] طولها ٩ أذرع وطولها في الارض ٣٠ ذراعاً وعرضها في الارض ٢٢ ذراعاً [٦] ، وكانت بلا سقف [٧]، ثم بنتها قريش في الجاهلية [٨] . وللكعبة الشريفة باب ارتفـــاعه ٦ أذرع وعشرة أصابع وعرض ما بين جداريه ٣ أذرع وثمـانية عشر اصبعاً [٩] ،

---

١ ـ اليعقوبي : ج١ ص ٢٩٧
٢ ـ النويري : ج١ ص ٣١٤
٣ ـ ابن هشام ج ١ ص ٥١
٤ ـ ابن سعد ج١ ص ٤١
٥ ـ ابن رسته ص ٢٩ الازرقي : اخبار مكة ج١ ص ٢٧
٦ ـ الازرقي : اخبار مكه ج١ ص ٢٥ و٢٨
٧ ـ ابن رسته : ص٢٩
٨ ـ ابن رسته : ص ٢٩
٩ ـ الازرقي ج١ ص ٢٠٧

وكانت عتبة الباب ملبسة بصفائح من الذهب المنقوش ، وفي كل جانب من عضادتي البـــاب اربع عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة متفرقة في كل جانب سبع حلق يشد بها جوف الباب من استار الكعبة [١] وتلاصق الكعبة بعض الاحجار تعرف بشذروان الكعبة [٢] وعدد حجـــارة الشذروان التي حـــول الكعبة ٦٨ حجراً [٣] في جوانب الكعبة الثلاثة : الشرق والغرب واليماني ، وبعض حجارة الجانب الشرقي لا بناء عليه ويبدو ان الكعبة كانت محلات في الجاهلية ويذكر ان عبد المطلب كان أول من زينها بالغزالين الذهبيين اللذين وجدهما في زمزم حين حفرها [٤] ، وان عبد الملك بن مروان كان اول حـــاكم اسلامي ذهّب البيت الحرام في العصـــور الاسلامية [٥] ، وهناك اخبار تاريخية تشير الى ان عبد الله بن الزبير اول من حلى الكعبة في الاسلام ، وانه جعل على الكعبة واساطينها صفائح الذهب كما جعل مفاتيحها من الذهب [٦].

وابرز بناء للكعبة ما تم زمن قريش فقد حضر ذلك النبي محمد (ص) وكان النبي في الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان السبب الذي دفع قريش الى تجديد بناء الكعبة ، ان حريقاً اصاب ستورها واخشابها فاوهن ذلك من بنيانها واعقب ذلك الحريق سيل اوهى البنـــاء وصدع الجدران فاجمعت قريش امرها على تجديدها ، ووصلت الى القوم انباء وجود سفينة عند ساحل جدة ، فخرج اليها الوليد بن المغيرة ليبتاع خشبها ، وكانت السفينة لتاجر

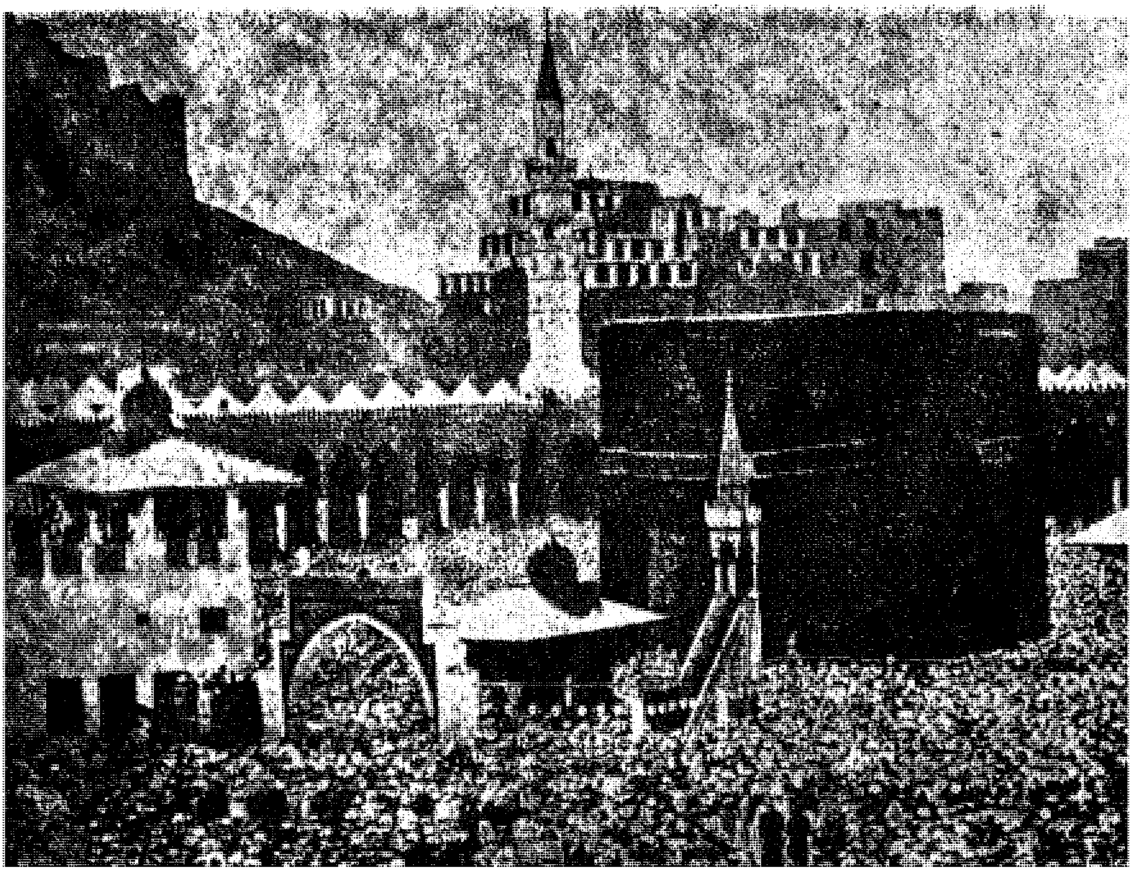
---

١ ـ المرجع السابق ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
٢ ـ الازرقي ج١ ص ٢٠٩ ، شفاء الغرام ص ١١٢.
٣ ـ الازرقي ج١ ص ٢٠٨
٤ ـ شفاء الغرام ج١ ص ١١٣.
٥ ـ شفاء الغرام ج١ ص ١١٣ الاعلام ص ٥٧ .
٦ ـ شفاء الغرام ج١ ص ١١٤ الاعلام ص ٥٧ .

رومي يدعى « باقوم » ، واخبره الوليد بما اعتزم عليه القوم، فأنبأه «باقوم» انه بناء نجار فاستصحبه الوليد ليقوم بالبناء ، واول من بدأ في هدمها الوليد بن المغيرة ، وقد ساهمت جميع القبائل في بناء الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى وكادت ان تقع بينهم الحرب ، فضرب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤي على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم فسمي ذلك الحلف « لعقة الدم » . ثم اجتمعت قريش في المسجدالحرام تتشاور وكان ابو أمية بن المغيرة بن عبد الله اكبر الحاضرين سناً فتقدم باقتراح وقال : « يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه هو اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه » ففعلوا ، فكان اول داخل رسول الله (ص) ، فلما رأوه قالوا : هذا الامين رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال (ص) : هلم اليّ ثوباً فأتي به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الشريفة ثم بنى عليه .

وجاءت عمارة قريش تلك زيادة تسعة أذرع على ارتفاعها في بناء الخليل (ع) ، واقتصوا من عرضها أذرعاً جعلوها في الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارتها عن ادخال ذلك ، ورفعوا باب الكعبة عن سطح الارض حوالي المترين ، وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين في كل صف ثلاث من الشمال الى الجنوب وجعلوا في ركنها العراقي من الداخل سلماً يصعد الىسطحها وجعلوا فيه ميزابا يصب في الحجر . وفي ٦٤ ه أصاب الكعبة وهن من جراء اصابتها بحجارة المنجنيق حين حاصر مكة الحصين بن نمير من قواد يزيد بن معاوية ومن الحريق الذي أصابها من نار أوقدها نفر من أصحاب ابن الزبير

في خيمة لهم ، فحملت الرياح بلهب تلك النار الى الكعبة فاحرقت كسوتها وما فيها من خشب الساج، فادى ذلك الى ان ينقض بناؤها وتتأثر حجارتها، فلما ارتحل عن مكة الجيش الأموي أثر وفاة يزيد بن معاوية رأى ابن الزبير ان يهدم الكعبة ويبنيها ، وبناها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها ما أخرجته قريش منها من الحجر وزاد في طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش في طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع ، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً ، وجعل لها بابين لاصقين بالارض احدهما بابها الموجود اليوم والآخر مقابل له مسدود ، وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وجعل لها مدرجاً في زاويتها العراقية من الداخل يصعد اليه الى ظهرها ، وجعل لها ميزاباً على سطحها يصب في الحجر ، وجعل فيها روازن توضع فيها المصابيح ، ولما فرغ من بنائها خلقها بالطيب ظاهراً وباطناً وكان يجمرها كل يوم برطل من العود



وفي يوم الجمعة برطلين .

وفي ٧٤ هـ وبعد ان انتهى الحجاج الثقفي من محاصرة مكة وقتله عبد الله بن الزبير ، كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها باباً آخر واستأذنه في رد ذلك الى ما كان عليه في الجاهلية ، وكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي ويهدم ما زاده ابن الزبير من الحجر ويكبسها على ما كانت عليه ، ففعل ذلك الحجاج .

اركان الكعبة

ويقوم الحجر الاسود في الركن الجنوبي الشرقي ، وهو مبدأ الطواف عند المسلمين في موسم الحج ، وارتفاعه عن الارض متر ونصف المتر والحجر هو أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب وحدث فيه بمرور الزمن تشقق ، وفي سنة ١٨٩ هـ اعتمر هرون الرشيد وأمر بالحجارة التي يليها الحجر الاسود فثقبت بالماس من فوقها وتحتها ثم أفرغ فيها الفضة [١] . وفي سنة ١٢٩٠ هـ عمل للحجر الاسود غطاء من الفضة في وسطه فتحة مستديرة قطرها ٣٧ سم ليرى منها الحجر .

والركن الذى فيه الحجر الاسود يعرف بركن الحجر ويواجه هذا الجزء الجنوبي من بلاد الحجاز الى عدن والحبشة ومدغسكر واستراليا وجنوب الهند والصين واندنيسيا .

اما الركن العراقي ويعرف بالشامي أيضاً وهو الجزء الشمالي الشرقي من

١ ـ ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٣٩

←

الحجاج في أثناء الطواف بالكعبة

الكعبة الشريفة ويواجه هذا الركن الجزء الاكبر من بلاد الحجاز والعراق وبلاد ايران وشمال الهند وشمال الصين وسيبيريا .

اما ركن الكعبة الشمالي الغربي ويسمى بالركن الغربي فيواجه هذا الجزء جميع اوربا وتركيا والجمهورية العربية المتحدة الى منطقة الشلال .

اما الركن اليماني فهو الواقع في الجنوب الغربي من بناء الكعبة ويواجه الجزء الجنوبي من افريقيا وفي هذا الركن أحاديث عن اهميته وقدسيته ، ففي حديث عن مجـــاهد قال : كان رسول الله (ص) يستلم الركن اليماني ويضع خده عليه [1] ، وقد بنيت الكعبة من الحجارة الصم ذات الحجم الكبير واللون الازرق ، وبداخـل البيت ثلاثة اعمدة من خشب العـود الماوردي الجيد قطر الواحد منها ربع المتر وهي على صف واحد من الشمال الى الجنوب وعلى يمين الداخـــل للكعبة في زاوية الركن الشمالي الشرقي باب يصعد منه على مدرج الى اعلى الكعبة يقال له : باب التوبة ، مسدولة عليه ستائر من الحرير المزركش ، وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية الجميلة ومعلق به هدايا ثمينة اهداها اليها الملوك والامراء في عصور مختلفة ، وفي سنة ١٢٩٥ هـ فرش السطح بالواح المرمر ، وفي اعلى منتصف الجدار الشمالي وضع الميزاب لتصريف مياه الامطار ، وهو من الذهب ، هدية من السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠ هـ .

الحطيم :

والى شمال الكعبة بقـايا الحطيم ، وهو بنـاء مستدير على شكل نصف دائرة ارتفاعه ١،٣١ من الامتـار وعرض جـداره من الاعلى ١،٥٢ م ومن اسفل ١،٤٤ وهذا البناء موزر بالرخام وأحد طرفيه محـاذ للركن الشامي والآخر محاذ للركن العربي ، وقيل سمي بالحطيم لان العرب كانت تطرح فيه

ما طاقت فيه من الثياب فيبقى حتى يتحطم من طول الزمن، وقيل انما سمي بالحطيم لأنه المكان الذى فيه الميزاب[1] ، والمكان الذى بين باب الكعبة والحجر الأسود يعرف بالملتزم ، وهو المكان الذي يقف عنده المسلمون يطلبون الرحمة والمغفرة من الله عز وجل ، ويعرف المكان الواقع ما بين الركن اليماني الى الباب المسدود بالمستجار وفي هذا المكان يستنجد المسلمون في دعائهم من ذنوبهم .

المسجد الحرام :

والكعبة الشريفة وسط المسجد الحرام والمسجد الحرام يقوم في وسط مكة وشكله على العموم مستطيل ، ضلعه الشمالي ١٦٤ م والضلع المقابل له ١٦٦م وضلعه الشرقي ١٠٨م والغربي ١٠٩م ومن الجدير بالذكر أن المسجد الحرام لم يكن له جدار يحيط به إنما كانت البيوت محدقة به من كل جانب ، وكانت بين تلك البيوت أبواب يدخل منها الناس، وأول من بدأ بوضع جدار للكعبة هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فانه اشترى دوراً فهدّمها وهدّم الدور القريبة من المسجد ، ورفض القوم أخذ اثمانها من البيع ، فوضعت اثمانها في خزانة الكعبة حتى أخذوها من بعد وكان الجدار الذي شيده عمر بن الخطاب قصيراً دون القامة فكانت المصابيح توضع عليه[2] فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع المنازل ووسع المسجد بها وأخذ منازل أقوام ووضع الأثمان فضجوا به عند البيت فقال انما جرأكم علي حلمي عنكم وليني لكم لقد فعل بكم عمر مثل هذا فأمرتم ورضيتم ثم أمر بهم الى الحبس حتى كلمه فيهم

---

١ شفاء الغرام ص ١٩٧ .

٢ - اليعقوبي ص ٥٣ .

عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فخلى سبيلهم[١] ، وعثمان بن عفان هو أول من أحدث رواقاً مسقفاً في المسجد الحرام وكان ذلك في السنة السادسة والعشرين للهجرة [٢] .

ويحيط بالمسجد الحرام من جهاته الاربع ثلاثة أروقة ، يفصل بين كل رواق وآخر صف من الاعمدة مواز لجدار المسجد ، ووصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين وأقيمت على كل أربعة أعمدة قبّة ، وبذلك تكونت قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الاروقة ، وعدد العقود في الجهة الشمالية من الجدار الشرقي الى الغربي ٤٢ عقداً في كل صف على استقامة واحدة، أما العقود العرضية في هذه الجهة فثلاثة ثلاثة إلا في الطرفين فان العرض عقدان ، وعدد العقود طولاً في الجهة الجنوبية ٤٠ في أطول صف من الجدار الشرقي الى الغربي ، وعددها عرضاً ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة في الوسط وفي الطرف اثنان وواحد وعددها من الجهة الشرقية طولاً بطول الصحن فقط ٢٤ عقداً في كل صف ، والعرضية ثلاثة ثلاثة الا في الطرف الجنوبي فاثنان لانحراف الجدار ، وفي الجهة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولاً في كل صف، والعقود العرضية أربعة أربعة وقيل ثلاثة ثلاثة ، وهناك عروض أخرى من الجهة الشمالية في مدخل باب الزيارة وكذلك في الجهة الغربية في مدخل باب ابراهيم وجملة الاعمدة المقامة عليها تلك العقود (٥٤٥) عموداً منها ٣٠١ من الرخام ومنها ٢٤٤ من الحجر الاحمر ، ومعلق بين كل عمودين خمسة قناديل كبار توضع فيها المصابيح ، وفي صرة كل قبة قنديل [٣] وفي المسجد الحرام

---

١ – اليعقوبي ص ٥٣ .

٢ – الطبري : حوادث سنة ٢٦ ٨ .

٣ ابراهيم رفعت باشا : مراة الحرمين ص ٢٢٨ .

منبر جميل بعث به السلطان سليمان القانوني العثماني سنة ٩٦٦هـ وهو من الرخام ويمتاز هذا المنبر بزخارفه الاسلاميه الجميلة ورونقه الرائع وبضاعته البديعة الدقيقة ، هذا ومن الجدير بالذكر ان معاوية بن ابي سفيان كان أول من عمل منبراً للمسجد الحرام سنة ٤٤هـ وكان بثلاث درجات ثم أهدى عامل هرون الرشيد على مصر موسى بن عيسى منبراً للمسجد الحرام ذا درجات تسع وعليه نقش بديع ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر جديد للمسجد الحرام وأمر لمنى وثالث لعرفة كذلك عمل المنتصر بن المتوكل منبراً للمسجد وهكذا تعددت المنابر في عصور تاريخية مختلفة وكان آخرها المنبر القائم حالياً الذي أهداه السلطان سليمان القانوني كما عرضنا سابقاً والى جنوب مقام ابراهيم وعلى بعد ١٨م من الحجر الاسود تقع بئر زمزم وبئر زمزم ذكرت كثيراً في الاخبار التاريخية ويرقى تاريخها الى عهد طفولة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

أبواب المسجد الحرام :

وللمسجد الحرام تسعة عشر باباً [١] ، هي باب السلام ويُعرف بباب بني شيبه[٢] وهو باب بني عبد شمس وبهم كان يعرف من الجاهلية ، وباب الجنائز ، وقد سُمي بهذا الاسم لان الجنائز تخرج منه الى مقربة المعلّى ويعرف ايضاً بباب النبي لان الرسول (ص) كان يخرج منه ويدخل الى منزله دار خديجه عليها السلام[٣] ، وباب العباس بن عبد المطلب وباب علي ويعرف بباب بني هاشم وباب بازان سمي بذلك الاسم لان عين مكة المعروفة ببازان كانت بالقرب منه ، وباب البغلة وباب الصفا وسمي بذلك لانه يلي الصفا ويقال له

١ المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٣ ، المكي : شفاء الغرام ص ٢٣٧ .
٢ – ابن رسته : ص ٤٨ .
٣ – مراة الحرمين ص ٢٣٠ .

ايضاً باب بني مخزوم وباب جياد الصغير وباب المجاهدية لأن عنده مدرسة الملك المؤيد المجاهد صاحب اليمن ويقال له باب الرحمة وباب مدرسة الشريف عجلان وباب أم هانىء بنت أبي طالب وباب الحزورة والحزورة اسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في المسجد الحرام عند توسيعه ويقال له بباب بني حكيم بن خزام والغالب عليه باب الخزامية [١] ويقال له باب الوداع لان الناس يخرجون منه عند سفرهم[٢] ، وباب ابراهيم[٣] وهو منسوب الى أحد الخياطين وكان يجلس عنده [٤] وباب العمرة ، ويسمى بهذا الاسم لان المعتمرين يخرجون ويدخلون منه في الغالب [٥] وباب عمرو بن العاص ويقال له باب السدة لانه سد ثم فتح [٦] وباب العجلة وباب القطبي وباب سويقه وباب المدرسة [٧] وقد أضيف باب حديث بالتوسيعات الحديثة سمي بباب الملك سعود . وللمسجد الحرام سبع مآذن هي مأذنة باب العمرة في ركن المسجد الشمالي وقد بناها المنصور العباسي سنة ١٣٩هـ [٨] ، ومأذنة باب السلام وقد عمرها المهدي ابنه سنة ١٦٨هـ [٩] ومأذنة باب علي وعمرها المهدي أيضاً في السنة نفسها ومأذنة باب الحزورة التي تعرف بباب الوداع وعمرها المهدى ايضاً ثم عمرت زمن الملك الاشرف صاحب مصر وكانت قد سقطت سنة ٧٧١هـ فعمرت في السنة التالية . ومأذنة باب الزيارة عمرها المعتضد العباسي لما بنى الزيارة سنة ٢٨٤هـ ثم جددها الاشرف برسباس في سنة ٨٢٦هـ ومأذنة قاتيباي بالمدرسة المعروفة باسمه وهي مجاورة لباب السلام

١ – ابن رسته : ص٥١ ، شفاء الغرام ص ٢٣٨
٢ – مراة الحرمين ص ٢٣٣ .
٣ – أحسن التقاسيم ص ٧٣ .
٤ – شفاء الغرام ص ٢٣٨ .
٥ – شفاء الغرام ص ٢٣٩ .
٦ – مراة الحرمين ص ٢٣٤ .
٧ – شفاء الغرام ص ٢٣٩ .
٨ – شفاء الغرام ص ٢٤٠ .
٩ – المرجع السابق .

ومأذنة السليمانية في المدرسة المعروفة باسمها .

التطورات التي طرأت على المسجد الحرام :

ان المسجد الحرام مرّ في عهود تاريخية مختلفة وكان عرضة للزيادة في المساحة والعمران ، ونحن نحاول بيان ذلك فيما يلي :

(١) التوسع الذي حصل زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عام ١٧هـ ففي هذا العام قدم الخليفة الى مكة في غير موسم الحج لما بلغه ان سيلاً عظيماً اقتحم المسجد الحرام من جهة المدعي ورأى حاجة المسجد الى التوسعة ، فأمر بشراء دور وهدمها وادخال أرضها فيه ، كما حوّط المسجد بجدار قصير جعل فيه ابواباً وأمر بوضع المصابيح فوقه للاضاءة .

(٢) ولازدياد عدد المسلمين ، ضاق المسجد بهم ، فرأى عثمان بن عفان ضرورة اجراء توسيع في المسجد ، فأمر سنة ٢٦هـ بشراء بعض الدور القريبة وهدمها واضافتها الى المسجد ، وأحدث رواقاً مسقفاً كما أوضحنا سابقاً .

(٣) وفي سنة ٢٦هـ رأى عبدالله بن الزبير ضرورة توسيع المسجد الحرام فاشترى بعض الدور فهدمها وادخلها ضمن المسجد .

(٤) وفي سنة ٩١هـ زاد الوليد بن عبد الملك في مساحة المسجد كما أنه جدد عمارته فبناه بناية محكمة وسقف أروقته بالساج المزخرف ، ويعد الوليد اول من جعل أعمدة المسجد من الرخام .

(٥) وفي سنة ١٣٩هـ أمر المنصور بإجراء توسيع في المسجد الحرام كما أمر بأن يضاف رواق جديد ، وقد شيّل ذلك الرواق على أعمدة رخام وزيّن بالنقوش .

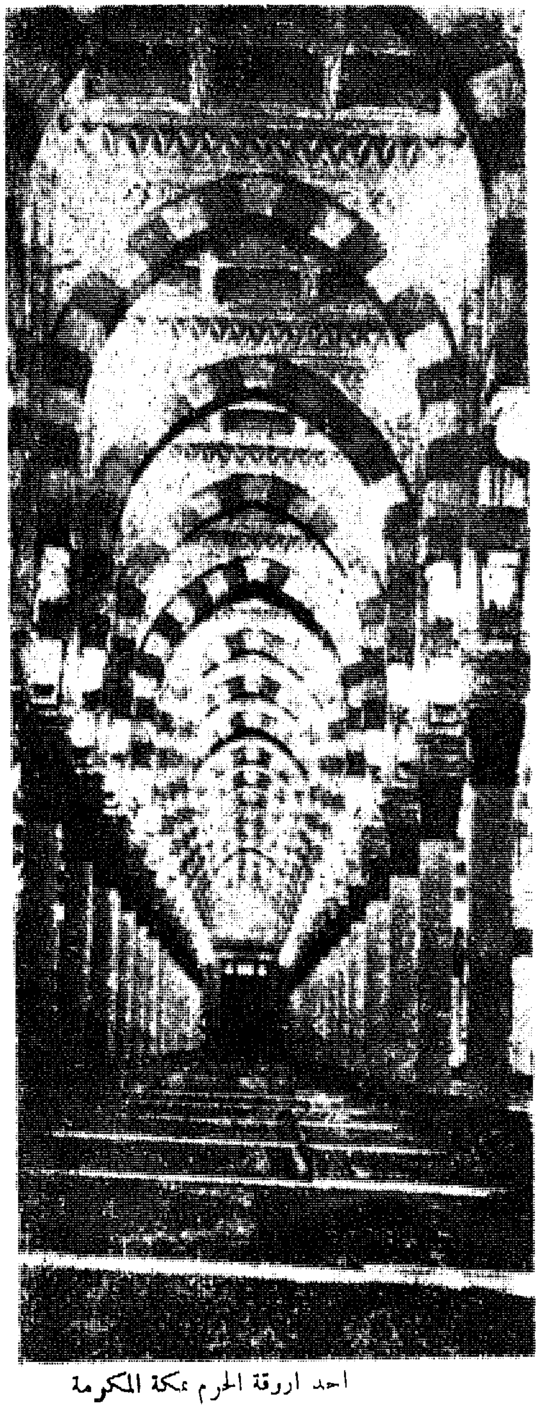
(٦) وفي سنة ١٦١هـ أمر المهدي بن المنصور بتوسيع المسجد الحرام كذلك

فأضاف توسيعاً آخر سنة ١٦٤ هـ وتعتبر الزيادات التي تمت في عصر المهدي مهمة اذ وصلت مساحة المسجد في عمارته القديمة الى ما هي عليه حتى الآن.

(٧) وفي سنة ٢٨٤هـ كانت هناك بقية من دار الندوة خارج المسجد الحرام فأمر المعتضد العباسي وزيره بإضافة ذلك القسم واجراء ما ينبغي للحرم من الاصلاح والترميم.

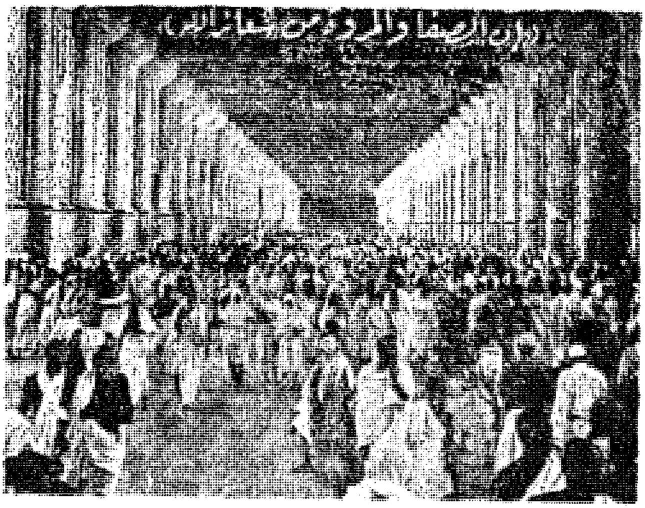
(٨) في سنة ٣٠٦ هـ أمر المقتدر العباسي بزيادة مساحة المسجد الحرام المكان الذي يُعرف الآن بباب ابراهيم وبهذا تكامل البناء القديم.

أما العمران في المسجد الحرام خلال العصور التاريخية فان أهم تعميرين كانا ما تمّ سنة ٨٠٣هـ في عهد السلطان ناصر فرج بن برقوق من سلاطين المماليك الشراكسة المصرية فقد أجرى تجديد بناء



احد اروقة الحرم بمكة المكرمة

جانب المسجد الغربي كله من الجانب الشمالي على أثر حريق شب في السنة المذكورة في أحد الاربطة المتصلة بالمسجد فيما بين باب الوداع وباب ابراهيم فامتدت النار منه الى جانب المسجد الغربي فأتت على سقوفه وتساقطت مبانيه ثم وصلت النار الى الجانب الشمالي فالتهمت رواقين منه ، وفي سنة ٩٧٩هـ جدد



السلطان سليم الثاني عمارة المسجد الحرام تجديداً كاملاً فهدمت بعض الاروقة واعيد بناؤها ولكنها لم تسقف بالخشب بل جعلت سقوفها قبابا وهي الموجودة الآن وقد أتمّ عمارة المسجد بعد وفاة السلطان سليم ولده السلطان مراد ، وقد كمّل البناء سنة ٩٨٤هـ .

المدينة المنورة

مدينة مهمة من مدن الحجاز ، اصبحت لها أهميـة كبيرة بعد هجرة الرسول (ص) اليها واتخاذها سكناً ومقـراً له . وكانت المدينـة قبل دخول الرسول (ص) اليها تُعرف بـاسم يثرب وقد سمّاهـا بطليموس وستيفان البيزنطي (يثربا) Yathrippa كما ظهر اسمهـا في بعض النقوش القديمة باسم (إثرب) Ithrib ، ويذكر ان يثرب كانت ناحية من المدينة ثم أطلق على المدينة كلها (من اطلاق البعض على الكل) .

ولما هاجر النبي (ص) اليها كره ان تسمى باسمها وسماها طيبة وطابـة ، وكانت لها اسماء أخرى مختلفة مثل المسكينة وجـابرة والمجبورة والمرجومـة والعذراء والحبة والمحبوبة والقاحمه [1] ، وقد أورد السمهوري أربعة وتسعين اسماً للمدينة [2] . وتقع المدينة الى شمال مكة ، وأرضها مستوية والى شمالها جبل أحـد وفي جنوبها جبل عَير على مقربة من ذي الحليفـة ، وهو جبل مستقيم شامخ ، والى غرب المدينة سهل فسيح خصب ، يعرف بحرة واقم ،

١ ـ شفاء الغرام ج ٢ ص ٣٢٣ .

٢ ـ وفاء الوفاء ج١ ص ٨ ـ ٢٧ .

وعندها وقعت موقعة الحرة سنة ٦٣هـ ، وفيها قال الشاعر عبدالله بن قيس الرقيات :

تذكّر من قتلى بحرة واقم أصبن وأرحاماً قطعن شوابكا

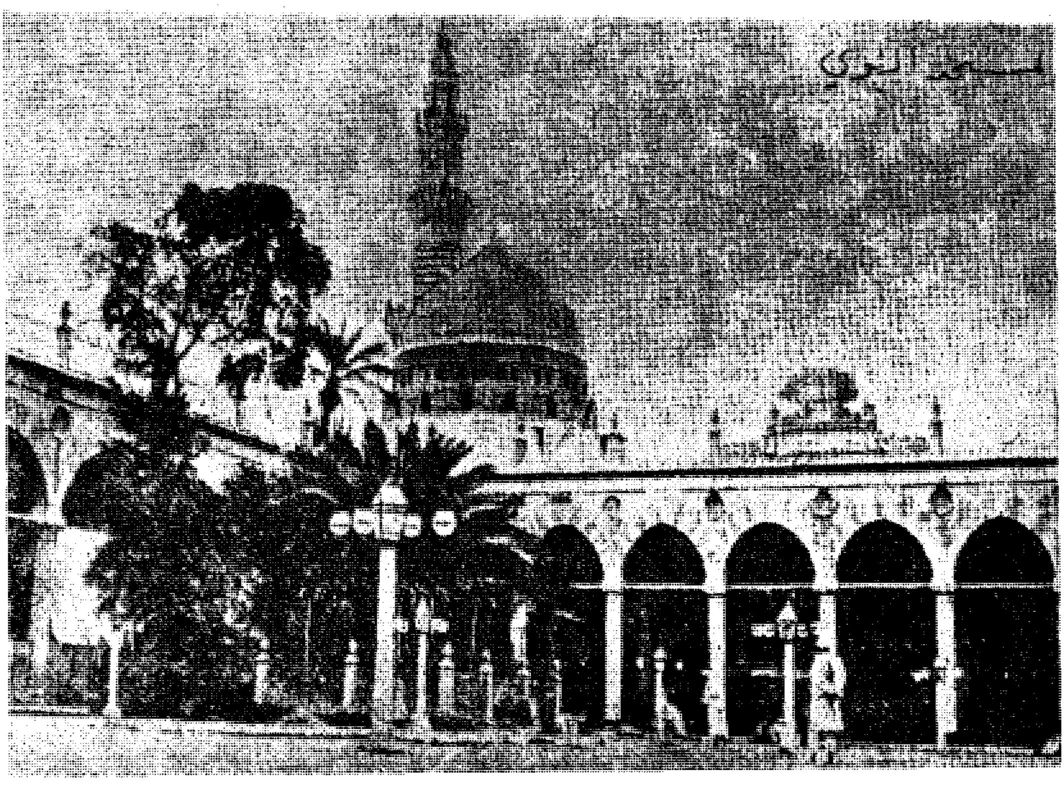
والى شمال المدينة يقع جبل سلع ، قال الشاعر البغدادي متشوقاً الى سلع:

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة بسلع ولم تغلق عليّ دروب

وفي سهل المدينة أودية كثيرة تجتمع فيها السيول ومن اشهر تلك الاودية : قناة ومهروز والعقيق وبطحان ورانون ومذينيب ، ومن أهم هذه الاودية وادي العقيق ، وللرسول الكريم (ص) أحاديث كثيرة في بركته وطيبه ، وهو يقع الى غرب المدينة ، ويبدو ان قصور أغنياء المدينة كانت تقوم في العقيق وقد ابتنى قوم من الصحابة بالعقيق ونزلوه [1]. ومن الذين شيدوا قصورهم بالعقيق عروة بن الزبير [2] وقصر عاصم بن عمرو وقصر المغيرة بن ابي العاص وقصر

١ ـ الدرة الثمينة ص ٣٣٩ (مع شفاء الغرام) .

٢ ـ » » » » » »



عنبسة بن عمرو (١) .

والعقيق فيه عيون ونخل (٢) ، وماؤه عذب (٣) ، وكان لجماله الرائع وطبيعته الاخاذة وطيب هوائه ، ما جعل الشعراء يتغنون بهذا الوادي الخصيب البديع ، فقد تشوق اليه من بغداد سعيد بن سليمان فقال :

وبعد المصلى والعقيق وأهله وبعد البلاط حيث يحلو التزاور
اذا أعشبت قرياته وتزينت عراض بها نبت أنيق وزاهر
وغنى بها التربان تغزو بناتها كما واقعت أيدي القيان المزاهر

وقالت اعرابية من العقيق تزوجت في نجد :

اذا الريح من نحو العقيق تنسمت تجدد لي شوقاً يضاعفن من وجدي
اذا رحلوا بي نحو نجد وأهله فحسبي من الدنيا رجوعي الى نجدي

وقال البحتري في وادي العقيق :

وقفة بالعقيق تطرح ثقلاً من دموع بوقفة في العقيق

ومن أجمل ما وصف به وادي العقيق ما كتبه سعيد بن العاص الى عبد الأعلى بن عبدان ومحمد بن صفوان الجمحي وهما ببغداد يذكرهما بطيب العقيق في أيام الربيع :

ألا قل لعبدالله إما لقيته وقل لابن صفوان على القرب والبعد
ألم تعلما ان المصلى(٤) مكانه وان العقيق ذو الاراك وذو المرد (٥)
وان رياض العرصتين(٦) تزينت بنوارها المصفر والا شكل الفرد (٧)

١ ـ مراة الحرمين ص ٤٣٧ .
٢ ـ مراصد الاطلاع ج٢ ص ٩٥٢ .
٣ ـ احسن الشفايح ص ٨٢ .
٤ ـ المصلى : موضع مصلى النبي في الاعياد خارج المدينة (مراصد الاطلاع ج٣ ص ٢٨٠).
٥ ـ الاراك : نبات والمرد ثمره .
٦ ـ العرصتين : من افضل بقاع المدينة. وهي من العقيق .
٧ ـ الاشكل: المختلف الالوان والفرد ، النادر ، الذي لا نظير له) .

وان بها لو تعلمان اصائلا — وليلاً رقيقاً مثل حاشية البرد
فهل منكما مستأنس فمسلم — على وطن أو زائر لذوى الود

فأجابه عبد الأعلى :

أتاني كتاب من سعيد فشاقني — وزاد غرام القلب جهداً على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنها — بها رمد عنه المراود لا تجدي
فان رياض العرصتين تزينت — وان المصلى والبلاط[1] على العهد
وان غدير اللابتين[2] ونبته — له أرج كالمسك أو عنبر الهند
فكدت بما أضمرت من لاعج الهوى — ووجد بما قد قال أقضي من الوجد[3]

القبائل التي نزلت المدينة :

تذكر المصادر العربية ان أول من نزل يثرب بعد الطوفان قبيلة عبيل ثم أخرجوا منها فنزلوا الجحفة فجاءهم سيل أجحفهم فيه فلهذا سميت جحفة [4] وقال ابو القاسم الزجاجي أول من سكن المدينة عند التفرق يثرب بن ثانية ابن مهلائيل بن ارم بن عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وبه سميت يثرب [5]، وذكر ياقوت أن أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمر بها الدور العماليق[6] وجاء في شفاء الغرام انه قد نزل المدينة قبل الاوس والخزرج أحياء من العرب[7] .

ونزلت المدينة اقوام من القبائل اليهودية مثل بني القينقاع وبني النضير وبني قريظه ، وابتنوا المنازل قبل نزول الاوس والخزرج [8] ، وقد

---

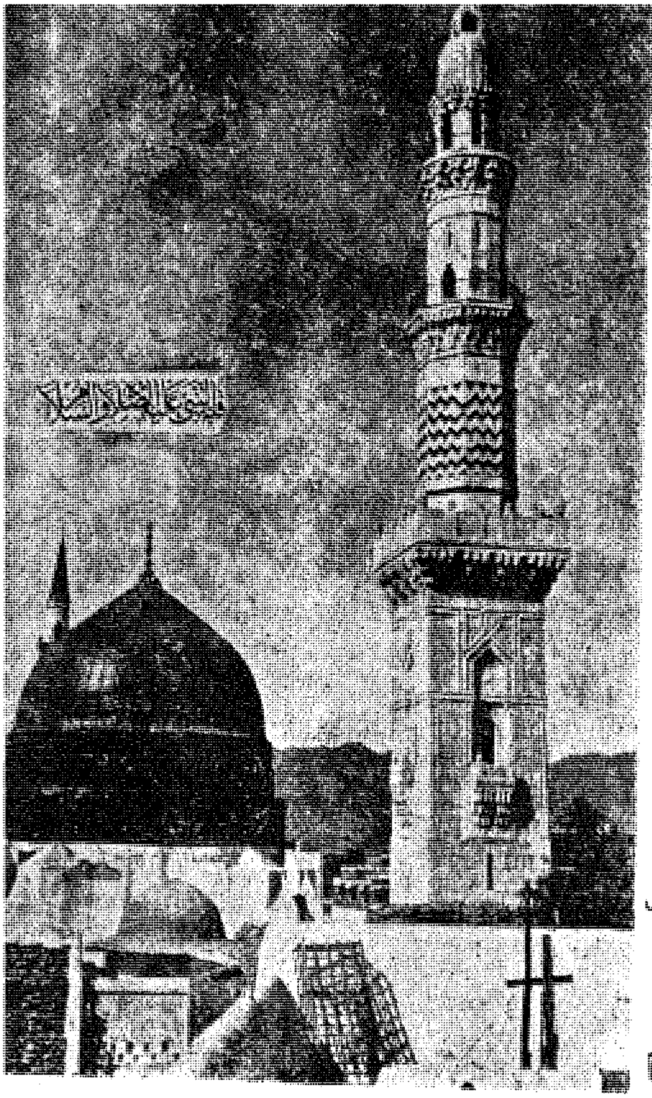
١ ـ البلاط : موضع بالمدينة بين مسجد الرسول وسوق المدينة .
٢ ـ اللابتين : اللابة تعني الحرة ، وتقع المدينة بين حريتين شرقيه وغربية .
٣ ـ مراة الحرمين ص ٤٣٦ .
٤ ـ وفاء الوفاء ج١ ص ١٥٦ .
٥ ـ المرجع السابق ج١ ص ١٥٦ .
٦ ـ نفس المرجع ه ص ١٥٧ .
٧ ـ شفاء الغرام ج٢ ص ٣٢٥ .
٨ ـ المرجع السابق ج٢ ص ٣٢٥ .

اختلف في الوقت الذي نزل فيه اليهود مدينة يثرب ، فيقـول ناس انهم نزلوا المدينة في عهد موسى عليه السلام[١] ، ويقول آخرون انهم من بقايا العمالين[٢] ، وتدل الأبحاث التاريخية ان اليهود كانوا أسبق من القبائل العربية في يثرب [٣] وبسبب عوامل جغرافية وطبيعية من أهمها انهيار سد مأرب ووقوع أزمـة اقتصادية كبيرة في بـلاد اليمن اضطرت بسببها اقـوام القبائل اليمانيـة الى ترك اليمن والهجرة الى اراضي أخرى حيث الخصب ووفرة الميـــاه ، وقد انتشرت تلك القبائل في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية ومن تلك المناطق التي اتجهت اليها القبائل المهاجرة مدينة يثرب فقدمت الاوس والخزرج اليهـا واستقروا فيها مع القبائل اليهودية الساكنة في يثرب وكانت الثروة في بـــني اسرائيل وكانوا ينيفون على عشرين قبيلة ، ولهم قرى اعدوا بهـــا الاطام فنزلت الاوس والخزرج بينهم وحواليهم [٤] .

ويبدو ان الاوس والخزرج بعد سكناهم مع القبائل اليهودية ، سألوهم ان يعقدوا معهم جواراً وحلفاً يأمن به بعضهم من بعض ويمتنعون ممن سواهم ، فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا [٥] ولكن اليهود بعد ان وجـــدوا الأوس والخزرج قـد استقرت بهم الاحوال وصارت عندهم الأمـوال انقلبوا عليهم ، وقطعت القبـائل اليهودية الحلف الذي عقد بينهـا وبين القبـــائل العربية وجرت بين الاوس والخزرج من جهـة وبين القبائل اليهودية منازعات ووقائع ، انتهت بانتصار الاوس والخزرج وسيادتهم المدينة ، ثم اخذت المنافسة

---

١ ـ السمهوري ج١ ص ١٦٢ .
٢ ـ شفاء الغرام ج٢ ص ٣٢٥ .
٣ ـ يراجع بن النجار ، الدرة الثمينة في تاريخ المدينـة ص ٣٢٥ مع كتاب شفاء الغرام ج٢ وفاء الوفاء ج١ ص ١٥٦ ـ ١٦٥ .
٤ ـ وفاء الوفاء ج١ ص١٧٧ .
٥ ـ الدرة الثمينة ج٢ص٣٢٦ .



مأخذها بين القبيلتين العربيتين، وجرت بينهما الحروب وكان آخرها يوم بعاث الذي اقتتل الطرفان قتالاً عنيفاً وفقدت الاوس والخزرج نفوساً كثيرة ، وبعدها حاول كبار رجال القبيلتين توحيد جهودهما وتنظيم حياة القبيلتين سياسياً واقترحوا على تحكيم احد زعماء الخزرج من الذين عرفوا بتقدم السن ورجاحة العقل والخبرة والدراية، ولكن تباشير الحياة الجديدة التي انتظمت ببعث الاسلام وصلت الى المدينة فأيدت الدعوة الاسلامية وآمنت بمبادئها ، فكان الاسلام منقذاً لجموع العرب في يثرب وتخليصهم من سيادة اليهودية .

الاسلام في يثرب :

وكانت بيعة العقبة الأولى ٦٢١م حيث حج مكة اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب جرت مقابلتهم للرسول عند العقبة ، وبايعوه على ان لا يشرك أحدهم بالله شيئاً ولا يسرق ولا يزني ولا يقتل اولاده ولايأتي ببهتان يفتريه بين يديه ورجليه ولايعصيه في معروف . وفي سنة ٦٢٢ م كانت بيعة العقبة الثانية ، وقد زار مكة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان وبايعوا الرسول على مناصرته وتأييده ، ومحاربة الأسود والاحمر في سبيله [1] . وفي سنة

---

١ - ابن الاثير ج٢ ص ٧٠

٦٢٢ م كانت هجرة الرسول (ص) الى يثرب وبدأت حياة جديدة للمسلمين فيها كما اصبحت المدينة مركزاً للدعوة الاسلامية وعاصمة لحكومتها وبذلك تكون مكة قد فقدت نفوذها ومكانتها خاصة بعد الغلبات الرائعة التي أحرزها الرسول والمسلمون في المواقع الاسلامية التي تكللت بالنصر المؤزر في يوم الفتح ٢٠ رمضان سنة ٨ هـ ، وفتحت مكة وحطمت أصنامها وأوثانها وانتشر الاسلام في ربوعها واضحت مصراً من أمصار المسلمين المهمة ومراكزهم المقدسة .

البقيع

يقع البقيع شرقي المدينة [1] ، والبقيع في اللغة ، الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى[2] ، وقد عُرف البقيع ببقيع الغرقد ، والغرقد : كبار العوسجة [3]، والبقيع مقبرة أهل المدينة ، وقد رويت عن النبي الكريم(ص) أحاديث في فضل البقيع ، ومن تلك الاحاديث المشهورة قوله (ص) « يحشر من هذه المقبرة سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب وكأن وجوههم القمر ليلة البدر » [4] .

والبقيع مكان مقدس مبجل عند المسلمين منذ اتخذ الرسول (ص) المدينة مركزا للدعوة الاسلامية ، وفي هذا المكان الطيب الكريم ، دفن من الأئمة الأطهار والصحابة الأبرار والسادة الاجلاء اولئك الذين كانوا الطليعة الاولى في بناء صرح الاسلام والباذلين ارواحهم في سبيل اعلاء كلمة الله ونشر مبادىء القرآن .

وأول من دُفن في البقيع من الصحابة الكرام عثمان بن مضعون ، ومما

---

١ - احسن التقاسيم ص ٨٢.

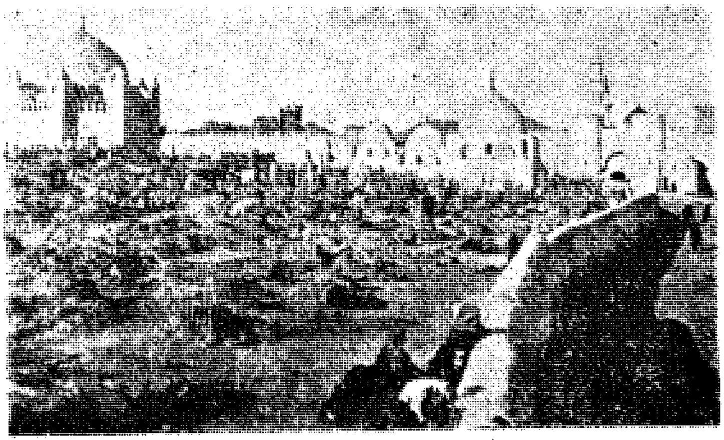
٢ - مراصد الاطلاع ج١ ص ٢١٣ .

٣ - مراصد الاطلاع ج١ ص ٢١٣.

٤ - وفاء الوفا ج٣ ص ٨٨٦ .

يذكر ان البقيع كان غرقداً ، فلما دفن عثمان بالبقيع ، قطع الغرقد عنه [١] ، ولما توفي ابراهيم بن رسول الله(ص)أمر (ص) ان يدفن عند عثمان بن مضعون ، فرغب الناس في البقيع ، وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها [٢] .

وتدل الأخبار التاريخية ان قبر عثمان بن مضعون في وسط البقيع في المنطقة التي اطلق عليها الرسول اسم الروحاء ، روى ابن شبة : كان البقيع غرقداً ،



منظر البقيع في سنة ١٣٢١ هـ

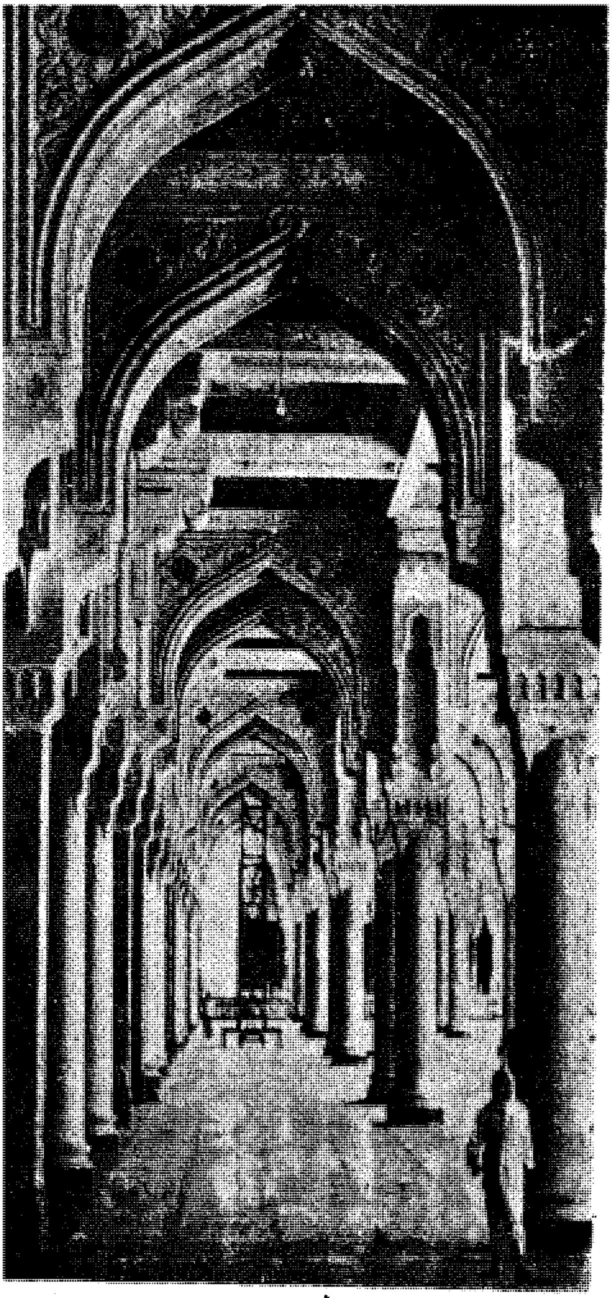
فلما هلك عثمان بن مضعون دفن في البقيع وقطع الغرقد عنه . وقال رسول الله (ص) للموضع الذي دفن فيه عثمان : هذه الروحاء وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد الى زاوية دار عقيل اليمانية ، ثم قال النبي (ص) : هذه الروحاء ، للناحية الأخرى ، فذلك ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد الى أقصى البقيع يومئذ [٣] .

والبقيع في الوقت الحاضر يقع شرق المدينة المنورة وهو على شكل مستطيل

١- وفاء الوفا ج٣ ص ٨٩٢ ومعجم ما استعجم ج١ ص ٢٦٥ .

٢- وفاء الوفاء ج٣ ص ٧٩٢ .

٣- المرجع السابق .



طوله ١٥٠م وعرضه ١٠٠م، وفي هـذا المكان دفـن ناس من الأئمـة وكبار الصحابة (ع)، فمن الذين دفنوا في البقيع السيدة فاطمة الزهراء (ع) وابراهيم ورقية من أولاد الرسول (ص)، وفاطمة بنت أسد أم الامـام علي بن ابي طالب (ع) والامام الحسن بن علي وعلي بن الحسين زين العابدين (ع) وابو جعفر محمد البـاقر (ع) وجعفر الصادق (ع) والعبـاس بن عبد المطلب، وجميع زوجات الرسول (ص) إلا السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد (ع) فمدفنها بمكة. ومن الصحابة المشهورين المدفونين في البقيع عبد الله بن مسعود، وسعد بن معاذ، وابو سعيد الخدري، وعـثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، كذلك دفن في البقيع مالك بن أنس الاصبحي.

ومن الجدير بالذكر ان تلك القبور جميعاً مندرسة وقـد ضرب حولها سياج وقد جرت محاولات لبناء مشاهد الائمة وآل البيت الكرام ولحد كتابة هذه السطور لم يجد شيء جديد.

الكوفة

ذكر اصحاب المعاجم اللغوية في معنى الكوفة انه : كل رملة تخالطها حصباء، وانها سميت بهذا الاسم لاستدارتها ، وفي سنة ١٧ هـ وبعد انتصار المسلمين بقيادة سعد ابن ابي وقاص في موقعة القادسية المشهورة فتح سواد العراق ، وباشر بناء مدينة يتخذها معسكراً لجنده فاختار مكان الكوفة الحالية ، وقام بتخطيط المدينة ابو الهياج الاسدي عمرو بن مالك بن جنادة [1] ويصف البلاذري مبدأ التخطيط فيقول : ان عبد المسيح بن بقيلة اتى سعداً وقال له ادلك على ارض انحدرت من الفلاة وارتفعت عن المباق ، فدله على موضع الكوفة اليوم وكان يقال له سورستان ، فلما انتهى الى موضع مسجدها امر رجلاً فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ثم علا بهم اخر قبل مهب الشمال واعلم على مواقعه ثم علا بهم قبل مهب الجنوب واعلم على موقعه ثم علا بهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعه ، ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العال وما حوله واسهم لنزار واهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه اولاً فله الجانب الايسر وهو خيرهما

---

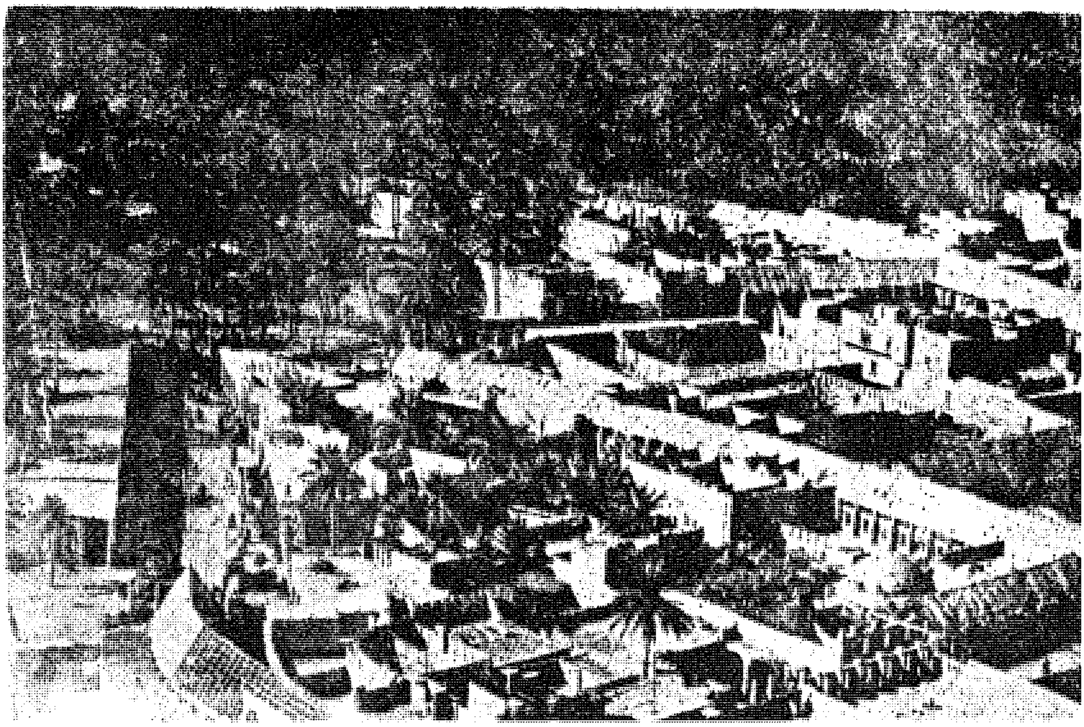
١ فتوح البلدان ص ٢٨٤

فخرج سهم اهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي ، ومن وراء تلك العلامات ، وترك ما دونها فناء للمسجد ودار الامارة (١) .

وقد حرص المسلمون في بدء الفتوحات الاسلامية ، ان يشيدوا معسكراتهم ومدنهم في امكنة تتصل بمركز الدولة الاسلامية في الحجاز ، وان تكون الصحراء العربية طريقهم المباشر بذلك المركز ، ولا يجعلوا بحراً او نهراً اوجبلا حاجزاً بين ما يشيدون وبين مركز انتشارهم وتحركهم ، ولا يبتعدوا مسافة عن المدينة التي كانت مشيدة قبل دخولهم البلاد المفتوحة ، فلم يتخذوا الحيرة سكناً بل ابتنوا الكوفة التي تبعد حوالي ثمانية كيلومترات عن مسجد الكوفة الى الجنوب ، وينطبق هذا التعليل على بنا المسلمين لمدينة البصرة القريبة من مدينة الأيلة وبنائهم لمدينة الفسطاط القريبة من عين شمس ، ونعتقد ان المسلمين كانوا يريدون الابتعاد قدر الامكان عن السكان الاصليين وعدم الاختلاط بهم كي لا

١ - فتوح البلدان ص ٢٨٥ .

مدينة الكوفة مصورة من الطائرة



يتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم وافكارهم وحتى يبقى الجندي الاسلامي بعيداً عن كل ما تحوي تلك المدن من لهو ومشاغل نفسية وفكرية ويظل دائماً وابداً تحت السلاح كي يؤدي واجبه بشكل صحيح .

وارض الكوفة سهلة ، عالية فوق مستوى الفيضان ، ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ٢٢ م ، وانها بعيدة عن مناطق الاهوار والمستنقعات ، ومن الجدير بالذكر ان ضفة النهر الغربية اعلى من الضفة الشرقية بمقدار ٥ - ٦ م ، وفي بعض الاقسام الجنوبية يقل ذلك الارتفاع ، والاراضى القريبة من النهر تكون رسوبية خصبة صالحة للزراعة اما ما دون ذلك فارض رملية حصباء تنحدر انحداراً تدريجياً من جهة الغرب فتؤلف ضفة كلسية غير مستنقعية هي النجف ، ترتفع بمقدار ٦٠ م عن مستوى سطح البحر ثم تنخفض من جهة الغرب والجنوب فتؤلف بحيرة ضحلة مالحة هي بحر النجف [1] ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ١٠ م .

وقد شيدت الكوفة على ضفاف نهر الفرات وترك المسلمون صحراءهم العربية الى جانبهم ، فكان الفرات الى شرق المدينة والصحراء من جبهتها الغربية وتقع الحيرة الى جبهتها الجنوبية الغربية والكفل من جهتها الشمالية الشرقية . وتحسن هنا الملاحظة ان الكوفة كانت اقرب الى الفرات من مدينة الحيرة ، وهذا الامر ساعد في سيطرة الكوفة على الجسر القائم على نهر الفرات الذي كان الرابط التجاري المهم الذي يربط العراق وما يجاوره بالطريق التجاري الذي كانت تتبعه القوافل التجارية نحو الحجاز وجنوبي الجزيرة العربية . ذكر المسعودي : ذكر عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة النسائي حين خاطب خالد بن الوليد ايام ابي

---

١ — اليعقوبي : البلدان

قليل العمق ، وان اثنين من تلك الاواوين ينفذان الى دهليزين ، وهذان يفضيان بكر بن قحافة (ر) حين قال له : ما تذكر ؟ قال : اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون (يقصد وراء الحيرة) فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر براً. فصارمن البحر في هذا الوقت على مسافة ايام كثيرة ، ومن اشرف من وراء النجف عليه تبين له ما وصفنا (١) .

ومن اهم النقاط الدالة على مدينة الكوفة التاريخية ، مسجد الكوفة وقصر الامارة ومسجد السهلة والاكام المتناثرة بين المسجد والطريق المؤدي الى مدينة النجف .

ومسجد الكوفة مربع الشكل تقريباً ، ذلك لان اضلاعه الاربعة مختلفة الطول اختلافاً قليلاً فهي على التوالي ١١٠ ، ١١٦ ، ١٠٩ ، ١١٦ . ومن اهم مظاهر المسجد مشهد الامام علي (ع) الذي يقع في رواق الضلع الجنوبي ، وهناك محاريب منتشرة في المسجد وقد تداولت بين الناس باسم المقامات ، ومنها باسم مقام الخضر وباسم مقام زين العابدين وباسم مقام جبرائيل وباسم مقام ابراهيم (ع) . (٢) .

ومن مظاهر المسجد السفينة او التنوّر ويكاد يكون في وسط المسجد ، وينزل الى السفينة بدرج منظم تعلوه عقادة مائلة ، يفضي هذا الدرج الى ساحة مكشوفة مثمنة الاضلاع تعلو جدرانها الى ما فوق ارض المسجد قليلاً ، فتظهر من الخارج على هيئة حوض مثمن وفي كل ضلع من اضلاع هذا الصحن المثمن ايوان

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٨٥ طبعة دار الرجاء .

٢ .. وقد علّم على هذه المقامات وعين مواضعها السيد مهدي بحر العلوم في القرن الثالث عشر الهجري مستوحياً هذا التعيين من الاخبار الدينية ومن الروايات وما كانت قد تبانت عليه الاحاديث وهى فصول تختلف مع مجرى التأريخ فى مكان وتتفق معه فى مكان آخر ،

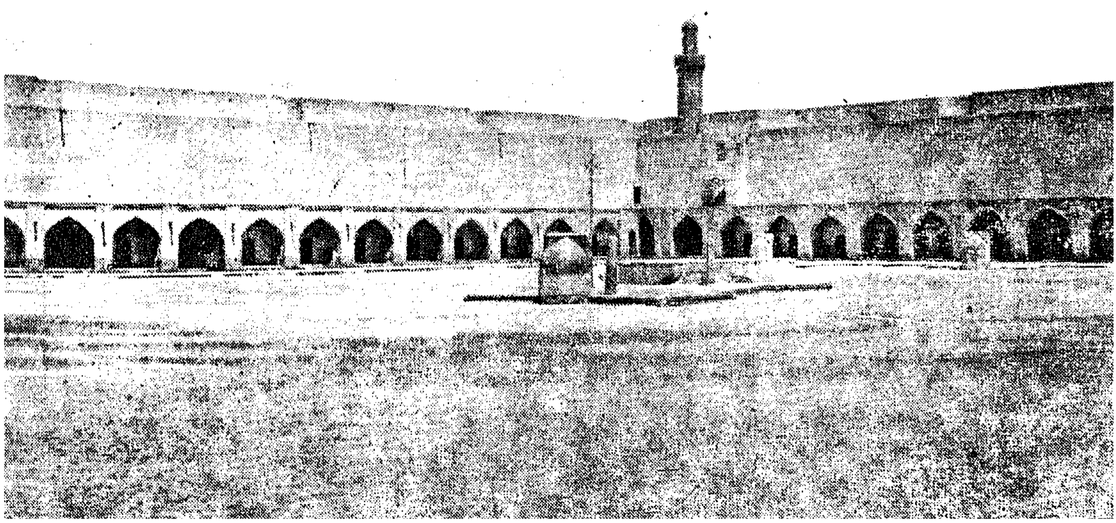
الى سردابين مسقوفين ويبدو ان لهذا المبنى الذي عرف بالسفينة فروعاً داخلية اخرى ، وواضح الجدار الذي سدت به ، وان هـــذا الجدار على ما يبدو قد استحدث حديثاً . اما سبب تسميته بالسفينة ، فالناس يعتقدون ان سفينة نوح (ع) كان رسوها في هذا المكان بعد الطوفان .

ومن مظاهر المسجد ايضاً بيت (الطشت) الذي يتكون من سرداب يمتد تحت الارض وينتهي من طرفيه بدرجين يؤديان الى مدخل ومخرج . ومن الجدير بالذكر ان مسجد الكوفة في بنائه الحالي يختلف عما انشيء في بادىء الامر ، وقد طرأت على بنائه توسيعات وترميمات في عصور تاريخية مختلفة .

اما قصر الامارة ، فانه شيد بمحاذاة الضلع الجنوبي لمسجد الكوفة ، ومن الثابت تاريخياً ان سعد بن ابي وقاص اول من شرع في بناء هذا القصر ، وقد ظهر من التنقيبات الاثرية التي اجرتها مديرية الاثار العراقية ، ان المسجد كان يتصل بالقصر من باب مفتوح في الجدار الجنوبي للمسجد ، وان طول ضلع القصر نحو ١٧٧ م وان معدل سمك الجدران ٣،٦٠ ومعدل قطر الابراج ٣،٣٠ م .

والى جهة المسجد الجنوبية الغربية بحدود ٨٥ م بناية صغيرة تعرف بين

مدينة الكوفة مصورة من الطائرة



الناس باسم بيت الامام علي (ع) ويذكرون ان الامـــام كان يسكنه وانه كان غسل فيه بعد استشهاده [١] .

ويقوم قبر مسلم بن عقيل (ر) وقبر هاني بن عروة في مشهدين في مكان قريب ملاصق لجدار مسجد الكوفه الشرقي ويفضى اليهما من باب كبيرة في ذلك الجدار ، كما ان للمشهدين باباً من جبهة البناء الشمالية ، والى مكان قريب من مشهد مسلم بن عقيل (ر) يقوم قبر المختار بن ابي عبيد الثقفي زعيم التوابين .

وفي خارج مسجد الكوفة والى القرب من بيت الامام علي (ع) يقوم قبر ميثم التمّار وهو من انصار الامام علي (ع) الخلصاء .

وفي الكوفة مساجد ، لها مكانة كريمة عند الشيعة ، تلك المساجد هي مسجد السهلة ومسجد غني ، ومسجد بني ظفر ، ومسجد الحمراء ، ومسجد جعفي ، روى المجلسي عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام انه قال : بالكوفة مساجد ملعونة ومساجد مباركة فاما المباركة فمسجد غني والله انّ قبلته لقاسطة ، وان طينته لطيبــة ولقد بنـاه رجل مؤمن ولا تذهب الدنيا حتى تنفجر عنده عينان ويكون فيهما جنتان واهله ملعونون وهو مسلوب منهـــم ومسجد بني ظفر ومسجد السهلة ومسجد الحمراء ومسجد جعفي .

واشهر هذه المساجد هو مسجد السهلة ، وهو البقية الباقية من المساجد التي اختطتها القبائل بعد مسجد الجامع ، ويقع المسجد اليوم في ظاهر الكوفة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الجامع على نحو كيلومترين

---

١ – ابن الفقيه : البلدان ص١٧٤ – وهناك خبر آخـر يشير الى ان هذا البيت كان بيت عبدالله بن هبيرة وقـد نزل الامام علي فيه كضيف عند أول دخـوله الكوفة فعرف البيت باسمه .

ج ٠ خ

في ارض خالية من العمران والسكن .

ويرجح ان هـذا المسجد شيد قبل مجيء الامام علي الى الكوفة ، ويذكر ابن الفقيه ان الامام علياً (ع) قال : ان بالكوفة اربع بقاع قدس مقدسة فيها اربعة مساجد قيل سمّها يا امير المؤمنين قال : احدها مسجد ظفر وهو مسجد السهلة [1] .

مساحة المسجد ١٤٠ × ١٢٥ م٢ وترتفع جدرانه نحو ٢٢ م وكل ضلع من اضلاعه الاربعة تدعمه ابراج نصف دائرية من الخارج على ابعاد متساوية وارضية بيت الصلاة مفروشة بالاجر ٢٤ × ٢٤ سم٢ على طراز هندي مقسم بهيئة مستطيلات متساوية الابعاد ، اما المحراب فيقع في وسط بيت الصلاة وهو يخلو من آثار الزخرفة او الكتابة .

ومن اشهر محلات الكوفة (الكناسة) الواقعة الى غرب مسجد الكوفة وهذه المحلة التي اصبحت مركزاً مهماً في المدينة تركزت فيها التجارة خاصة تجارة بيع وشراء الجمال والبغال والحمير كما كانت فيها سوق لبيع وشراء العبيد وسميت بهذا الاسم لانها كانت مكاناً لرمي الانقاض لبني اسد ، ومن اشهر من سكنتها من القبائل العربية ، قبيلة عبس وضبة وتميم كما سكنتها بنو رباح وبنو دارم وبنو حمام وبنو الشيطان وبنو عوف وبنو حرام وبنو هالك وبنو الكاهل .

ان اهم القبائل التي سكنت الكوفة هي قبيلة كندة ، وبجيلة ، وهمدان ، وثقيف ، ومذحج ، وتميم ، واسد ، وبكر ، والازد ، وطي ، وقد اقطعت هذه القبائل الاماكن التي اتخذتها مستقراً وسكناً .

وكان اول الوافدين اليها بعد العرب الفرس وكان عددهم اربعة الاف

---

١ – والمظنون ان الثلاث الاخرى هي بيت عبدالله بن هبيرة وهو أول بيت نزله الامام علي (ع) حين ورد الكوفة .

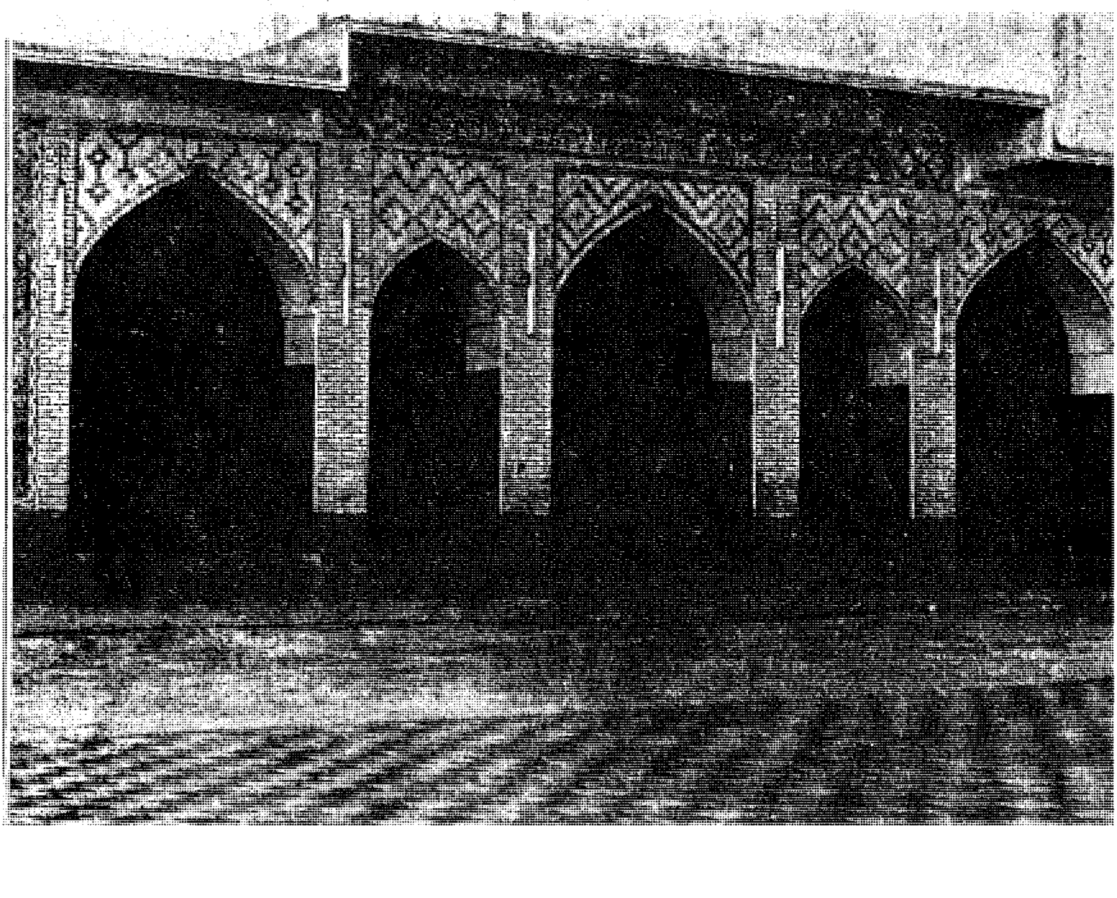
ممن كانوا يعملون في الجيش الفارسي وشهدوا القادسية على رستم ، وقد فاوضوا سعداً على ان ينزلوا الكوفة حيث احبوا ويحالفوا من احبوا ، ويفرض لهم في العطاء ، فاعطوا الذي سألوه وانزلهم سعد بحيث اختاروا وفرض لهم في الف الف وكان لهم نقيب منهم يقال له (ديلم) فاطلق عليهم حمراء ديلم ، لان العرب كانت تسمى العجم الحمراء [١] .

ثم سكن الكوفة بعد تمصيرها السريان الذين كانوا يسكنون الديارات القائمة في أطراف الحيرة والنجف ، وكان في الكوفة اسقفان احدهما نسطوري والآخر يعقوبي ، وكان نصارى الكوفة طائفتين (نساطرة) وهم الحضر و (يعاقبة) وهم البدو [٢] .

---

١ — الطبري ج ١ ص ٢٤٨٦ ٢ — ماسينون : خطط الكوفة ص ٢٥

محراب مصلى الامام علي وقد قيل انه قتل هنا وقيل انه قتل على باب المسجد



وقدم الكوفة وافدين من نجران اليمن اليهود والنصارى وكان معظمهم صيارفة قاموا بالكوفة في محلة عرفت بالنجرانية [١] ، ثم نمت الكوفة وازدهرت وصارت قبلة انظار العرب ، ووصلت أوج عظمتها وتوسعها في العصر الأموي ، وبلغت مساحتها ستة عشر ميلاً وثلثي الميل [٢] ، وقال عنها الاصطخري : انها اصبحت تضاهي البصرة من حيث السعة والعمران [٣] . وكان فيها خمسون الف دار للعرب من ربيعة ومضر واربعة وعشرون الف دار لسائر العرب وستة آلاف دار لليمن [٤] .

وفي سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠م أعلنت الخلافة العباسية في الكوفة ونودي بأبي العباس السفاح أول خليفة عباسي ، وقد تحول السفاح عنها الى مدينة الهاشمية القريبة من الكوفة ، ولما تولى ابو جعفر المنصور الحكم بعد وفاة ابي العباس السفاح سنة ١٣٦هـ ٧٥٤م بنى في الكوفة (الرصافة) وأمر أبا الخصيب مرزوقاً مولاه فبنى له القصر المعروف بأبي الخصيب على أساس قديم ويقال ان أبا الخصيب بناه لنفسه فكان المنصور يزوره فيه [٥] .

ويقع بالقرب من الكوفة خندق يعرف بخندق (كري سعده) ويعرف ايضاً بخندق سابور ، ويعتقد ان الفرس الساسانيين هم الذين انشأوا هذا المشروع الكبير ، ويبدأ من جنوب مدينة هيت على الفرات بمسافة ١٧كم ويخترق البادية على طول الحدود العراقية لاراضي العراق السهلة وينتهي البحر قرب مصب (بوبيان) على بعد ٢٠ ميلاً من شط العرب

---

١ – البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٦ .
٢ – ياقوت: معجم البلدان ج ٤ ص٣٣٤ طبعة المثنى .
٣ – الاصطخري : المسالك والممالك ص ٥٨ .
٤ - البلدان ص ٣٦١ — ٣٦٢ .
٥ - ابن خرداذبه : ١٤٥–١٤٦ .

غرباً ويعرج هذا الخندق بعد ان يمر من غرب الجبانية ماراً بجبل سعدة ثم وادي (ابو فروج) ثم الى الجنوب الشرقي باتجاه (غدير المالح) ويسلك وادى (الفضاوي) ثم هور ابي دبس الى بحر النجف ملازماً الضفة الغربية قرب الكوفة ثم يقطع المسافة الى هور الحمار حيث ينتهي بالقرب من جبل سنام (١) .

وترتبط الكوفة مع البلدان المختلفة بطرق متعددة ، فالطريق الموصل من الكوفة الى مكة كان يسير متجهاً نحو القادسية ثم المغيثية ثم القرعاء ثم واقصة ثم زبالة ثم الشقوق ثم بيطان والاماكن الاربعة هي ديار بني اسد والثعلبية وهي مدينة عليها سور وزرود والاجفر منازل طي ثم مدينة فَيْد وهى التي ينزلها عمال طريق مكة واهلها من طي . وتوز وسميراء والحاجر واهلها قيس واكثرهم بنو عبس والنقرة ومنها يعطف الطريق من اراد المدينة او اراد مكة (٢) ومن اراد الاتجاه نحو البصرة فيسلك طريق بارق ثم القلع ثم سلمان ثم الى أقر ثم الى الاخاديد ثم الى عين صيد ثم الى عين جمل ثم الى البصرة (٣).

ومن اراد التوجه الى واسط فيسلك طريق البطائح وتقدر المسافة بست مراحل (٤) .

واول ولاة الكوفة هو سعد بن ابي وقاص الزهري ، الذي كان يقود حملة فتح العراق وتولاها بعده عمار بن ياسر ثم ابو موسى الاشعري ، ثم تعاقب الولاة عليها حتى سنة ٣٦ هـ ، فقد نزل بها الامام علي (ع) بعد انتصاره في معركة الجمل ، واقـام فيها وقتل واصبحت مركزاً للخلافة الاسلامية ، وبعد اغتيال الامام علي (ع) انتخب فيها الامام

---

١ - الاصطخري: المسالك والممالك ص ٦٥ .
٢ - البلدان : ص ٣٦١ - ٣٦٢ .
٣ - ابن خرداذبه : ص ١٤٥ - ١٤٦ .
٤ - الاصطخري : المسالك والممالك ص٥٦

الحسن (ع) خليفة للمسلمين ، وبقي كذلك نحو ستة اشهر ، ثم صار الامر لمعاوية بن ابي سفيان فانتقلت حاضرة الدولة الاسلامية الى دمشق ، وظلت هكذا حتى سنة ١٣٢ هـ ففيها سقطت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية ، واصبحت الكوفة عاصمة الدولة الجديدة وظلت عاصمة حتى انتقل منها السفاح الى الهاشمية فالانبار

ان الكوفة تعتبر من اهم مراكز الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى ، امتازت بعراقتها في الثقافة العربية ، وانها بفخر حاملة لواء الدراسات اللغوية ومدرستها في النحو غنية عن التعريف [1] ، وقد ساهمت هذه المدينة اسهاماً كبيراً في الحفاظ على التراث العربي من ادب وشعر ولغة ، كما كانت ميداناً واسعاً لنمو الحركات الفكرية الجبارة في الاسلام [2] .

---

١ – وعلى الرغم من ان ائمة النحو انبعثوا من الكوفة ، وعلى الرغم من ان الكوفة كانت لها الصدارة في وضع قواعد النحو وضبط أصوله فقد اخذ العرب بعد ذلك بنحو البصرة الذي يختلف عن نحو الكوفة في كثير من المواضع والمباني العربية .
ج ٠ خ

٢ – وانجبت عدداً كبيراً من فطاحل رجال العلم والفلسفه كالكندي ومن ائمة الشعر وانبيائه كالمتنبي .

النجف الاشرف

مدينة تقع في طرف الصحراء ، بينها وبين الكوفة زهاء ستة أميال ، ومناخها صحراوي ، حار وجاف صيفاً وبارد قارص شتاء ، وترتفع المدينة عن سطح البحر بزهاء ٢٣٠ قدماً ، ومعدل سقوط المطر في المدينة سنوياً ١ – ٥ قطرة في كل بوصة ، ومدينة النجف عرضة لرياح السموم بسبب وقوعها في طرف الصحراء واختلاف درجة الحرارة فيها ، وقد تبلغ درجة الحرارة في المدينة صيفاً ٤٨ درجة مئوية . واكثر احياناً وتقع النجف غربي بغداد وعلى بعد حوالي ١٨٠ كم .

والنجف قريبة من الحيرة ، عاصمة المناذرة بل انها ضاحية من ضواحيها الجميلة ، وقد انتشرت الاديرة المسيحية في منطقة النجف ، ومن اشهرها دير فاثيون وهو في اعلا النجف ودير ابن مزعوق في جنوبها ، قال الشاعر محمد بن عبد الرحمن الثرواني :

قلت له والنجوم طالعة   في ليلة النصح اول السحر
هل لك في مار فاثيون وفي   دير ابن مزعوق غير مختصر
يفيض هذا النسيم من طرف الشام   ودرّ الندى على الشجر

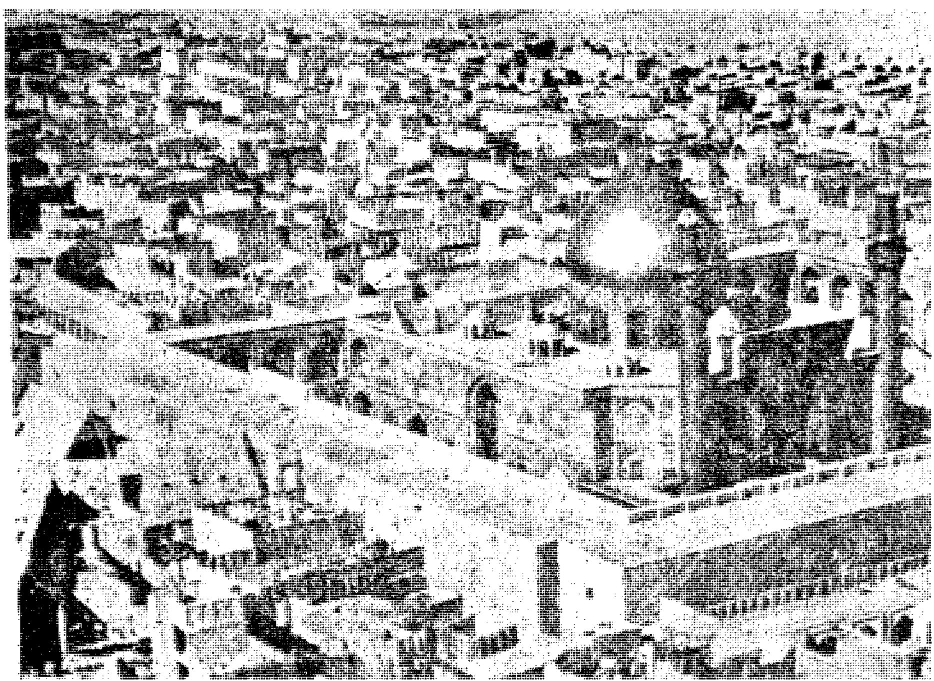
ومن الأديرة المشهورة ، ديارات الاساقف ، وهذه الديارات بالنجف ، بظاهر الكوفة ، وهو اول الحيرة ، وهي قباب وقصور تسمى ديارات الاساقف وبحضرتها نهر يعرف بالغدير ، عن يمينه قصر أبي الخصيب مولى أبي جعفر ، وعن شماله السدير ، وفيه يقول علي بن محمد جعفر العلوي الحماني :

كم وقفة لك بالخورنق ما توازى بالمواقف
بين الغدير الى السدير الى ديارات الاساقف (١)

وقصر أبي الخصيب ، هو احد المتنزهات يشرف على النجف وعلى ذلك الظهر كله ، يصعد من اسفله في خمسين درجة الى سطح آخر ، أفيح في غاية الحسن وهو عجيب الصنعة ، وفي قصر أبي الخصيب

١ — ياقوت : ج ٢ ص ٦٤٢ وقد وردت القصيدة كاملة في الجزء الاول من (قسم النجف) من الموسوعة .

مدينة النجف مصورة من الطائرة



يقول بعضهم : [١]

يا دار غيَّرَ رسمها مَرُّ الشمال مع الجنوب

بين الخورنق والسدير فبطن قصر أبي الخصيب

فالدير فالنجف الأشم جبال ارباب الصليب

ومن الأديرة المشرفة على النجف ، دير مارت مريم ، دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب ، وفيه يقول الثرواني : [٢]

بمارت مريم الكبرى وظل فنائها فقِف

فقصر أبي الخصيب المشرف الموفي على النجف *

ويبدو ان النجف كانت مسرحاً للوقائع الحربية في اثناء الفتوحات الاسلامية ، وقد نزل فيها القائد خالد بن الوليد وقواده الذين شاركوا في فتح منطقة الحيرة ، وبالقرب من النجف الاشرف دارت المعركة الفاصلة في تاريخ الفتوحات الاسلامية ، تلك هي معركة القادسية ، في آخر سنة ١٦ هـ [٣] . والقادسية بين الكوفة والعذيب ، وقد انتصر المسلمون في تلك الوقعة المشهورة ، انتصاراً عظيماً ، وفتحوا السواد ، وفي ذكر تلك الوقعة الحاسمة ، قال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي :

ألم خيال من اميمة موهناً وقد جعلت أولى النجوم تغور

ونحن بصحراء العذيب ودارها حجازية ان المحل شطير

---

١ – ياقوت : ج ٤ ص ١٠٧ ويذكر الشابشتي في الديارات ص ١٥٢ (وقصر ابي الخصيب هذا احد متنزهات الدنيا وهو مشرف على النجف).

٢ – ياقوت ج ٢ ص ٦٩٢ .

* في بحث (النجف قديماً) . بحث مفصل عن هذه الديارات من قسم النجف وفي فصل (النجف في الشعر) ابيات اخرى . ج ٠ خ

٣ – البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦٥ .

فزارت غريباً نازحاً جل ماله   جـــواد ومفتوق الغرار طريرُ
وحَلـَّت بباب القادسية ناقتي   وسعد بن وقاص عـلـيّ أمـير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا   ببـاب ُقدَيْس والمـكـرّ ضرير
عشية وَدّ القوم لو ان بعضهم   يعـار جَناحَيْ طائر فيطير (١)

ويصف القعقاع بن عمرو التميمي المعارك الطاحنة كما يذكر القتلى في قوله :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة
وأخرى باثباج النجاف الكوانف (٢)
فنحن وطئنـا بالكواظم هرمزاً
وبالثنى قرني قارن بالجوارف (٣)

والنجف في اللغة ، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ويكون في بطن الوادي وقد يكون ببطن من الارض ، جمعه « نجاف » والنجف محركة ، التَلُّ وقشور الصليان ، (٤) وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة ومقابرها (٥).

إن اهم القبـائل التي كانت ُتحوّل في اطراف الحيرة والنجف هي قبيلة تغلب التي هاجرت بعد حرب البسوس في ايام عمرو بن هند (٦) ،

---

١ – ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٨٠٧ .
٢ – وقد وردت المقطوعة كلها في الجزء الاول من (قسم النجف) من الموسوعة .
٣ – الطبري : ج ٤ ص ١٢ .
ابن الاثير : ج ٢ ص ١٦٧ .
هناك قصائد كثيرة في ذكر القادسية وما وقع قبلها من المواقع الحربية في تاريخ فتوح البلدان والطبري وابن الاثير وغيرها من الكتب التاريخية .
٤ – القاموس المحيط : ج ٣ ص ٢٠٤
وقد ورد تفصيل اسم النجف لغة في الجزء الاول من (قسم النجف) للموسوعة .
٥ – ياقوت : ج ٤ ص ٧٦٠
القاموس المحيط : ج ٣ ص ٢٠٤ .
٦ – الكامل : ج ١ ص ٢٩٩ .

وكذلك قبيلة بكر ومن اشهر فروعها قبيلة شيبان ، وكانت لهذه القبيلة الاخيرة مواقف مشهورة وقد انتصرت مع حليفاتها القبائل العربية على الجيوش الساسانية في موقعة ذي قار (١)

وقد اصبحت منطقة النجف ضمن الاراضي التي تم فتحها بأيدي المسلمين ، وبنيت الكوفة سنة سبع عشرة للهجرة ، كما مر بنا سابقاً ، واستمرت هذه المدينة ولاية مهمة من ولايات الدولة الاسلامية حتى سنة ٣٦ هـ ، ففي هذه السنة قدم اليها الامام علي بن ابي طالب (ع) بعد فراغه من موقعة الجمل ، واقام فيها ، واضحت الكوفة عاصمة للخلافة الاسلامية مدة اربع سنوات .

وفي الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ ٦٦١ م توفي الامام علي (ع) متأثراً من جرحه أثر الضربة التي اصابه بها احد الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، وقام بدفنه اولاده واعضاء اسرته المقربون سراً في النجف ، وطوال الحكم الاموي لم يشيد لمدفنه الشريف ضريح ، وانما كان التقاء وزيارة العلويين لقبره هو الذي شخص مدفنه حتى زال الحكم الاموي . (٢)

ونتيجة للاخبار التاريخية تعتبر عمارة هرون الرشيد العباسي اول عمارة للقبر الشريف ، وبداية الدفن في منطقة النجف ، ونزول الناس ذلك المكان تبركاً بالراقد الكريم .

---

١ — الطبري : ج ٢ ص ١٤٧ .
ابن الأثير : ١ ص ٢٨٥ .

٢ — يراجع بخصوص زيارة الائمة وكبار رجال العلويين للمرقد الشريف كتاب : الارشاد للشيخ المفيد وفرحة الغري لابن طاووس .

وعقبت عمارة الرشيد ، عمارة محمد بن زيد بن محمد بن الحسن العلوي الحسني ، صاحب طبرستان والديلم الذي ولي الامرة بعد وفاة اخيه الحسن بن زيد سنة ٢٧٠ هـ . (١) فقد بنى على قبره الشريف قبة . (٢)

وممن اشتهر أنه عني في بناء قبة على القبر الشريف وجعلها مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر السامان ، ابو الهيجاء عبد الله ابن حمدان بن حمدون التغلبي (٣) المقتول سنة ٣١٧ هـ ٩٢٩ م (٤)

ولعل أجل العمارات واهمها تلك التي قام بها الملك البويهي عضد الدولة ، وانه صرف اموالاً طائلة وعمر المشهد عمارة جليلة (٥)، والتي ظلت حتى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش ، فاحترقت تلك العمارة ، وجددت عمارة المشهد على ما هي الآن (٦) .

وتمصرت النجف واتسع نطاقها بعد ذلك وحين زارها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٦ م قال عنها : انها مدينة حسنة في ارض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق واكثرها ناساً واتقنها بناء ، ولها اسواق حسنة نظيفة (٧) . ومما جاء في وصفه للروضة الطاهرة قوله : « ويدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة ايام من الخبز واللحم والتمر

---

١ — الطبري : ج ١١ ص ٣٧٠ .

٢ — ابن ابي الحديد : شرح النهج ج ٢ ص ٤٥ .
ابن طاروس : فرحة الغرى ص ١١٠ .

٣ — ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٤٠ .

٤ — ابن الاثير : حوادث سنة ٣١٧ هـ . ابن الاثير : ج ٦ ص ٥٥ .

٥ — الديلمي : ارشاد القلوب ج ٢ ص ١٤٨ .

٦ — ابن عنبة : عمدة الطالب ص ٦٣ .

٧ — رحلة ابن بطوطة : ج ١ ص ١٠٩ .

مرتين في اليوم ، ومن تلك المدرسة يدخل الى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية فعندما يصل الزائر يقوم اليه احدهم او جميعهم وذلك على قدر الزائر ، فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون : عن امركم يا امير المؤمنين ، هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية فان اذنتم وإلا رجع وان لم يكن اهلاً لذلك ، فأنتم اهل المكارم والستر ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة وكذلك العضادتان ثم يدخل القبة وهي مفروشة بانواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة » . [1]

ومما جاء في وصف ابن بطوطة لأهلها قوله : « وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وانما يحكم عليهم نقيب الاشراف واهلها تجار يسافرون في الاقطار وهم اهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم ، صحبتهم في الاسفار فحمدت صحبتهم » [2] .

والروضة المقدسة التي في وسطها القبر الشريف ، مربعة الشكل ، طول ضلعها ثلاثة عشر متراً وارضيتها مفروشة بالرخام الإيطالي المصقول والجدران الى علو حوالي المترين ، مغطاة بالرخام ذي اللون البديع ، وبما يعلو تلك الصخور فقد كسيت الجدران جميعاً بالمرائى الملونة والزخارف الهندسية البديعة وبالفسيفساء ذات الاشكال الجميلة ، ومن الجدير بالذكر ان شاه ايران الحالي محمد رضا بهلوي ، هو الذي امر

---

١ - رحلة ابن بطوطة : ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠ .

٢ - المرجع السابق : ص ١١٠ .

بوضع المرايا وتزجيج الروضة الحيدرية على نفقته الخاصة ، وقد بلغت كلفتها ١٢،٠٠٠ دينار ، والذي قام برسم وتنظيم هذه المرايا الفنان الايراني « حسين كيانفر » بمعمارية الحاج سعيد المعمار [١] .

وفي وسط الحضرة القبر الشريف الذي ضم البدن الطاهر وقد وضع عليه صندوق من الخشب الساج المرصع بالعاج المنقوش عليه بعض الآيات القرآنية ، محاط بشباكين ، الاول مما يلي الصندوق الخشبي من الحديد الفولاذ والثاني من الفضة وقد كتبت في اعلاه ابيات من قصيدة ابن ابي الحديد ، التي يقول في اولها :

يا رسم لا رسمتك ريح زعزع
وسرت بليل في عراصك خروع

وابيات من قصيدة السيد الحميري والتي مطلعها :

لأم عمرو باللوى مربع طامسة اعلامه بلقع

وتعلو القبر الشريف قبة جميلة واسعة مرتفعة من قاعدة الروضة المقدسة الى ٣٥ متراً ومحيط قاعدتها ٥٠ متراً وقطرها حوالى ١٦ متراً ، وللقبة ١٢

---

(١) وقد كتب في جانب من زخارف التزجيج هذان البيتان باللغة الفارسية وبتوقيع الشاه محمد رضا بهلوي :

کردر حرمت آینه کاري کردم — کاري نه سزاي شهر ياري کردم
تاجلوه، حق ببينم از طلعت تو — دربيش زحت آينه داري كردم

وقد نقلها جعفر الخليلي الى العربية بالشعر على هذه الصورة :

انا ان زينت هذا المرقد – الـ — طاهر الشامخ قدراً – بالمرايا
لم تكن هذي هداياي فمن — انا كي اهدي لعلياك الهدايا
انما زججتها مصقولة — تعكس الضوء وتستجلي الخفايا
كي ارى طلعتك الغراء بها — من بعيد وتري الحق البرايا

شباكاً ، وهي مزينـــة بالقاشاني وما تحت الشبابيك بحوالي المتر ، زينت الجدران باشكال مختلفة من المرايا البديعة . (٢)

وللروضة المطهرة ستة ابواب والباب الاول يقع في وسط الايوان الذهبي وقد نصب في حدود سنة ١٢١٩ هـ وهو من آثار الحاج محمد حسين خان الاصفهاني الصدر الاعظم ، وقد استبدلت هذه الباب ، بباب ذهبية مطعمة بالمنياء والاحجار الكريمـــة ، متقنة الصنـــع ، رائعة المنظر ، قسام بعملها وصياغتها امهر الصاغة في ايران ، وفي اعلى الباب الرئيس كتابة نصهـــا : قـــال الرسول صلى الله عليه وسلم : (علي مع الحق ولن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

والباب الثـــاني والثالث اللذان يدخل منهما الى الرواق الى الحرم المطهر فالذي يكون على يمين الداخل الى الحرم نصب سنة ١٢٨٣ هـ في زمن السلطان عبد العزيز ، وكان الباذل لنفقته لطف علي خان الايراني ، والباب الذي على يسار الداخل الى المرقد الشريف نصب سنة ١٢٨٧ هـ ايام زيارة ناصر الدين

ومن خلف الرواق على جهة (الساباط) تقع الخزانة التي تضم انفس الاحجار الكريمة وما ندر من الهدايا الفنية الثمينة من سيوف وخناجر انفردت في الدنيا من حيث قيمتها وقد بنيت هذه الخزانة باحكام وسدت ابوابها خشية امتداد الايدي اليها ، وعند زيارة ناصر الدين شاه في الربع الاخير من القرن الثالث عشر الهجري للنجف رأت الحكومة العثمانية ان تجعل فتح هذه الخزانة له من باب التكريم والحفاوة ففتحت ثم اغلقت بعد ذلك وبنيت ،وفي الوزارة الهاشمية اقترح صالح جبر وقد كان متصرفاً للواء كربلاء على الحكومة فتحها وتعيين لجنة لاحصاء كنوزها ففتحت وسجلت جميع محتوياتهـــا ، وفي سنة ١٩٣٤ زار آغا اوغلو استاذ التأريخ الاسلامي بجامعة مشيغن النجف واقترح على العلماء الموافقة بفتح الخزانة وجعلها متحفاً عاماً وتعهد بان يحمل جامعة مشيغن على التبرع بارسال خبراء يصنفون هذه التحف ويثمنونها لعرضها على الناس فعارض السيد ابو الحسن الاصفهاني وكان المرجع الاكبر يوم ذاك تخوفاً من العبث وامتداد الايدي.

ج ٠ خ

القاجاري ، وفي سنة ١٣٧٦ هـ قلعا وابدلا ببابين ذهبيين جميلين رائعين ، امتازا ببديع الصنعة والاتقان وكان الباذل لنفقتها المحسن الحاج محمد تقي الاتفاق الطهراني وبمسعى السيد محمد كلانتر .

وفي اعلا الباب كتابات هذا نصها :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : انا مدينة العلم وعلي بابها — الحق مع علي وعلي مع الحق . علي حبه جنة . قسيم النار والجنة . وصي المصطفى حقاً ، يا علي ، امام الانس والجنة .

وفي داخل الحرم بابان فضيان عند الرأس الشريف ، احدهما من جهة الشمال نصب سنة ١٣١٦ هـ وكانت الباذلة لنفقته بنت أمين الدولة زوجة علي شاه ، ونصب الآخر سنة ١٣١٨ هـ وكان البـاذل لنفقته الحـاج غلام علي

منظر داخلي لأحد أروقة الحرم المزينة بالمرايـا



المسقطي ، ونصب في الرواق باب سادس محلى بالذهب سنة ١٣٤١ هـ وموقعه قبال باب الصحن الشريف القبلي ، بذلت مصروفاته والدة الحاج عبد الواحد الحاج سكر زعيم آل فتلة [١] .

اما الصحن الشريف فيبلغ طول ضلعيه الشرقي والغربي ٨٤ م وطول ضلعه الشمالي ٧٤ م والجنوبي ٧٥ م وفي كل ضلع من ضلعيه الشمالي والشرقي خمسة عشر إيواناً وفي كل من ضلعيه الغربي والجنوبي اربعة عشر إيواناً وفي كل ايوان حجرة هي مقبرة احد المشاهير وقد شيدت هذه الحجرات لتكون مأوى لطلاب العلم ، اما الآن فقد اشغلت من قبل قراء القرآن الكريم على المدفونين في تلك الحجر .

وللصحن الشريف خمسة ابواب ، البـــاب الكبير وهو من جهة الشرق ويعتبر الباب الرئيسي للروضة الحيدرية ، وهو قبالة سوق النجف المشهور بالسوق الكبير ، والباب الثاني من جهة الشمال ويعرف بباب الطوسي نسبة إلى شيخ الطائفة ابي جعفر محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وهذا الباب يؤدي الى شارع الطوسي وفيه مسجد الطوسي الذي يضم قبر الشيخ الطوسي رحمه الله . والباب الثالث المعروف بباب القبلة ، وقد عرف بهذا الاسم لوقوعه باتجاه القبلة في الجهة الجنوبية من الصحن ، والباب الرابع يقع في جهة الغرب، فتح في ايام السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٢٧٩هـ ويعرف بالباب السلطاني [٢] ،

١ ـ جعفر محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٨٢ .
محمد علي التميمي : مشهد الامام ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٢ ـ فتح هذا الباب على يد شبلي باشا وهو درزي عربي من لبنان وقد بلغ منصب الولاية وله في العراق تاريخ حافل فارخ الشيخ محسن الخضري فتح هذا الباب بقوله :

« لقد فتح الشبلي لحيدرة بابا » وارخ غيره بقوله : «اثر الشبلي هل باب الاسد» وارخ الشيخ عباس الشيخ حسن بقوله « جلتت علت باب سلطان السلاطين » وقدخطىء هذا التأريخ لتأنيثه الباب خلافاً للقاعدة ؛ ومع ذلك فهنالك بين جميع هذه التواريخ اختلاف في حساب السنة لعل مرجعه عدم ضبط النصوص التاريخية في النقل .

والباب الخامس وهو باب على مقربة من الباب الكبير .

وفي مشهد الامــام علي (ع) دفن الكثير من الشخصيات الاسلامية البارزة من علماء وسلاطين وملوك ووزراء ، تبركاً بالمكان المقدس وتقرباً من المرقد الشريف الطاهر ، ومن المشاهير الذين دفنوا بالقرب من الضريح الشريف الامير البويهي عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٣ هـ [١] ، كما دفن الامير شرف الدولة بن عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٩ هـ [٢] ، وممن دفن في (المشهد) من ولاة البويهيين بمنطقة الجبل وهمذان والدينور وبروجرد ونهاوند وأسد آباد ، بدر بن حسنويه وكان مشهوراً بالشجاعة والسياسة والعدل [٣] ، وهناك العدد الكبير من الامراء والوزراء البويهيين الذين دفنوا بالمشهد الطاهر .

ودفن في المشهد الشريف ، الشيخ حسن الكبــير الجلايري المتوفى سنة ٧٥٧ هـ والأمير قاسم ، شقيق السلطان أويس المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ودفن في جوار والده الشيخ حسن الجلايري [٤] .

ودفن الشاه عباس الاول الصفوي في الرواق تحت القبة المقدسة التي منها يدخل الداخل الى الحرم الشريف من جهة رجلي الامام علي (ع [٥] .

ونقــل الى النجف الأشرف جثمان السلطان محمد القاجاري المتوفى سنة ١٢١١ هـ ودفن في الرواق من جهة الشمال بالقرب من منبر الخاتم ، وتعرف هذه الحجرة اليوم بحجرة السلاطين ، كما نقل الى النجف جثمان الملك كيومرث ميرزا الملقب بملك آراء ابن السلطان فتح علي القاجاري المتوفى سنة ١٢٨٨هـ، كذلك نعش السلطان محمد حسن خان ونعش الملك حسين قلي خان ودفنوا في

١ – ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ١٢٠ .

٢ – المرجع السابق ج ٧ ص ١٤٩ .

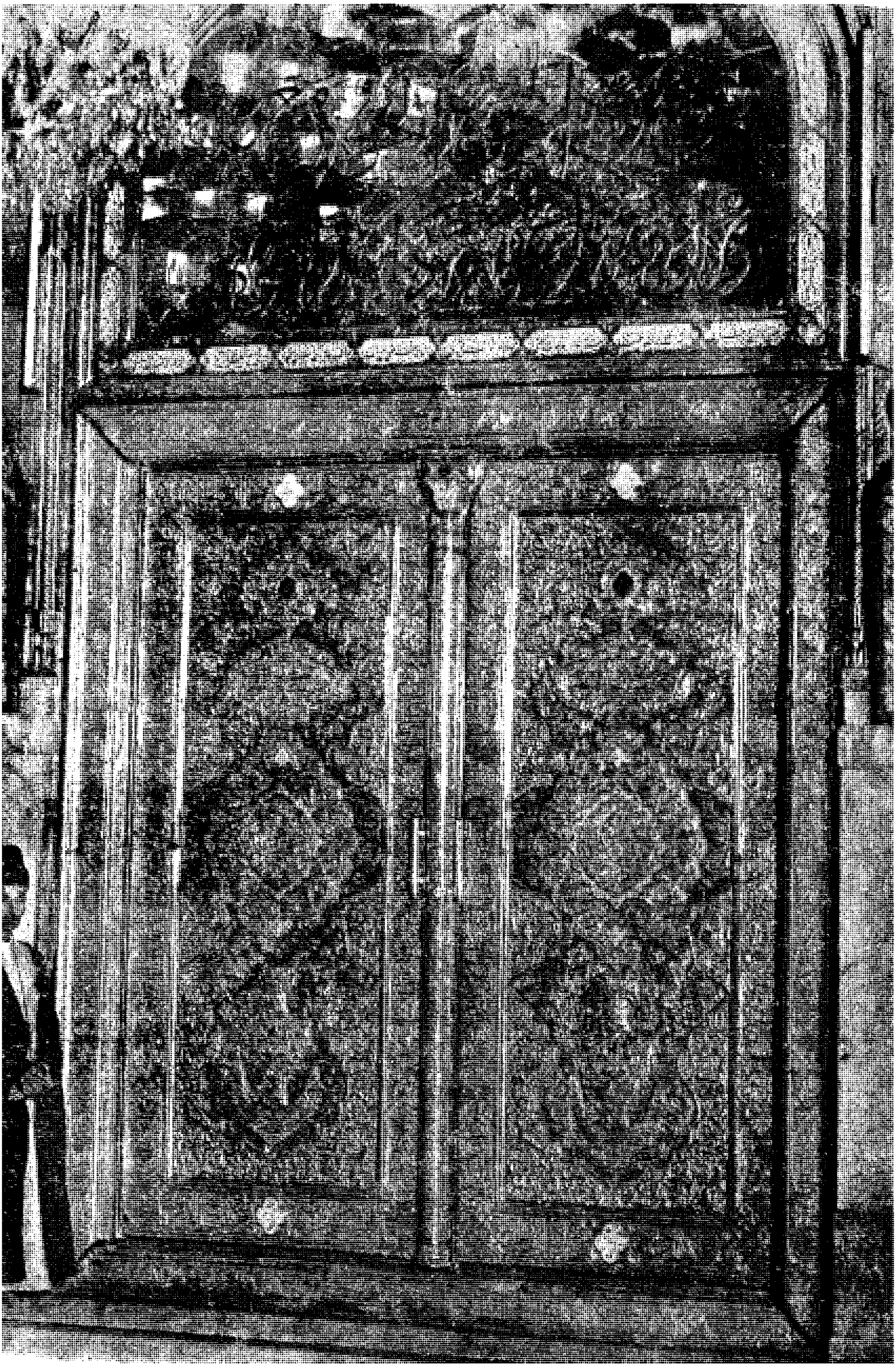
٣ – المرجع السابق ج ٧ ص ٢٧١ – ٢٧٢ .

٤ – محبوبة ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٢٤٢ نقلاً عن روضة الصفا ج ٥ ص ١٧١ .

٥ – المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٤ نقلاً من منتخب التواريخ ص ١٢٩ .

←

الباب الذهبي وهو مطعم بالمينا ومزخرف بالخطوط الذهبية



النجف الأشرف [١] .

ودفن في الإيوان الكبير ، الملاصق للرواق وفي حجر الصحن عدد كبير من كبار العلماء المسلمين منهم : المولى احمد بن محمد المقدس الاردبيلي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ والشيخ احمد بن اسماعيل بن عبد النبي الجزائري المتوفى سنة ١١٥١ هـ والشيخ محمد علي بن الحاج محمد حسن الخونساري المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ ، والسيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ والشيخ مرتضى الانصاري ، والسيد اسد الله الاصفهاني او الرشتي [٢] والملا كاظم الخراساني المعروف (بالاخوند) ، والسيد محمد سعيد الحبوبي [٣] ، والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة [٤] ، والميرزا النائيني ، والسيد ابو الحسن الاصفهاني المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ ومدفنه في الحجرة الواقعة على الجانب الايسر بالنسبة للداخل الى الصحن من الباب الكبير . وفي الحجرة الاولى التي على يسار الخارج من باب الطوسي يرقد عدد من العلماء الكبار امثال محمد باقر القمي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ ، وفي الحجرة الواقعة ما بين مدخل الساباط وباب الصحن المؤدي الى سوق العمارة ، يرقد الشيخ ضياء الدين العراقي المتوفى سنة ١٣٦١ هـ .

ومن مشاهير من دفن في النجف شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن بن

---

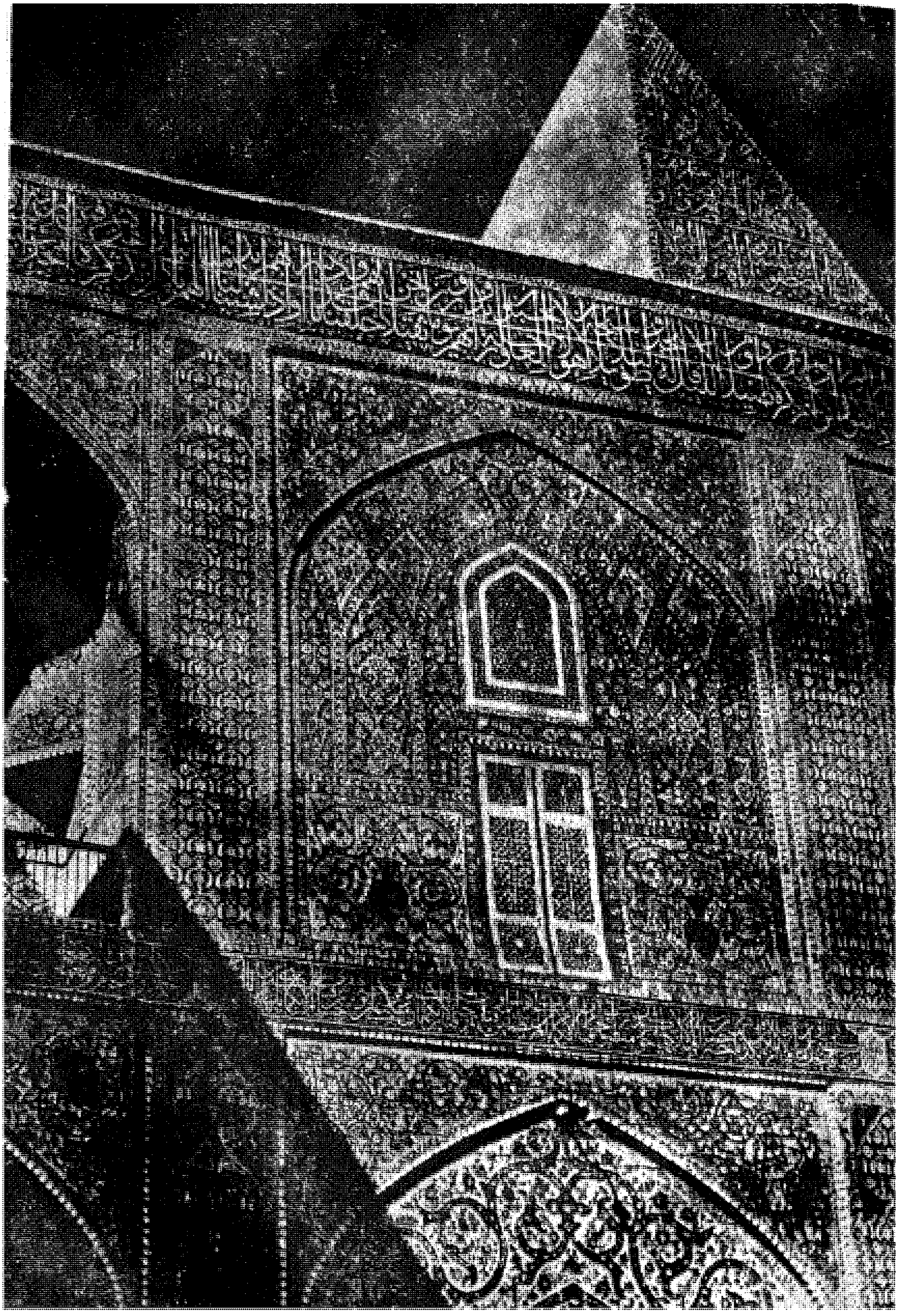
١ ـ محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ج١ ص ٢٤٤.

٢ ـ والسيد اسد الله هو الذي انفق على مد النجف بمياه الشرب عن طريق القناة ثم تغلبت المواد المعدنية على عذوبة الماء فصار مالحاً بعد ذلك .
ج . خ

٣ ـ والحبوبي اول عالم روحاني حمل السيف في وجه الانكليز في الحرب العظمى الاولى وافتى بالجهاد ووجوب الحيلولة دون احتلال الانكليز العراق ، وهو المعروف بذلك الطراز الفني من الشعر الذي انفرد به في عصره .
ج . خ

٤ ـ وشيخ الشريعة هو الذي خلف الميرزا محمد تقي الشيرازي بطل الثورة العراقية والذي افتى بوجوب المطالبة بحق العراق من الحرية والاستقلال.
ج . خ

←
جهة من جدار الصحن الشريف المبني بالكاشاني القديم



علي بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ودفن في داره بوصية منه

اما عـــدد الملوك والامراء والراجات الذين دفنوا في الرواق والصحن الشريف والغرف المحيطة بالصحن فانه كبير جداً .

وفي المدينة عدد غير قليل من مقابر المشاهير من الروحانيين والوجهـــاء وكبار رجال الادب ، كمقبرة الشيخ جعفر الكبير ، ومقبرة صاحب الجواهر ، ومقبرة الشيخ خضر شلال ، ومقبرة الحاج ميرزا حسين الخليلي ، ومقبرة آل القزويني ، وآل بحر العلوم ومقبرة المامقاني ، ومدفن الشيخ احمد كاشف الغطاء ، وال الشيخ راضي ، والشيخ عبد الكريم الجزائري (٢)

وتعتبر مقبرة النجف المعروفة (بوادي السلام) من اوسع المقابر في العالم ، وتأريخ هذه المقبرة قديم قدم التعرف على مرقد الامام علي بن ابي طالب (ع) . وتعتبر من أقدس وأطهر الأماكن لدفن المسلم في نظر المسلمين عامة والشيعة منهم بشكل خاص (٣) ، وتقع هذه المقبرة الواسعة في شمال مدينة النجف ، وتمتـــاز تربتها بانها رملية ناعمة نقية ، وتحتها بحوالي ٢٠ — ٢٥ سم طبقة صخرية متكونة من صخور رملية قوية تسمح لحفر اللحود فيها بصورة عمودية ، وتمتـــاز ارض المقبرة بالجفاف التام باعتبارها جزءاً من الهضبة

---

١ - ويعتبر الشيخ الطوسي المؤسس الاول لمدرسة النجف العلمية واليه يعزى تنظيم اول الحلقات الدراسية للعلوم الدينية وسائر العلوم التي كان يعنى بها طلاب الدين كثيرا . ج . خ

٢ - سيخصص لمقابر النجف والمدفونين بها جزء مستقل خاص من (قسم النجف) من الموسوعة يضم اوسع تأريخ عرف عن هذه المقابر . ج . خ

٣ — وعلى هذا الاساس يجري نقل الجنائز من مختلف انحاء البلدان الشيعية ودفنها في النجف بقصد المثوبة ، وقد وقعت اختلافات بين علماء الدين في نقل هذه الجنـائز من الاماكن البعيدة واعتبر بعضهم مثل هذا النقل محرمـــاً بداعي انتهاك حرمة الميت فاحدث هذا الاختلاف ضجة كبيرة وقـــاد الحملة على هذا النقل السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني ، وهو من كبـــار المجتهدين وجمع فتاوى العلماء الذين ايدوه في تحريم النقل في كتاب مستقل ، امـــا النقل الذي لا يطرأ بسببه ما يخل بحرمة الميت من تعفن الجثة والتفسخ فلم يقل احد بتحريمه . ج . خ

←

جهة من جدار الصحن الشريف المبني بالكاشاني القديم

الصحراوية الجافة ، ولنقاوتها وجفافها ، فهي تكون خالية تماماً من العفونة ومن أي رائحة غير طيبه — قال اسحق بن ابراهيم الموصلي يمدح الواثق العباسي ويذكر النجف وتربتها التي يصفها بالمسك او العنبر ، في قصيدته التي مطلعها : —

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف [١]

والذين هـاج (وادي السلام) — مقبرة النجف الكبرى ، شاعريتهم كثيرون وقد يكون من الصعب الاحاطة باسمائهم سواء من المتقدمين او المتأخرين ومن هؤلاء المتأخرين الشيخ علي الشرقي ، ومحمد علي الحوماني ، وعبد المنعم الفرطوسي ، ومحمد الخليلي ، وحميد فرج الله وغيرهم [٢] .

وفي النجف الأشرف مسـاجد مشهورة كثيرة ، ففي محلة العمارة خمسـة وعشرون مسجداً وفي محلة الحويش واحد وعشرون مسجداً وفي محلة البراق أربعة عشر مسجداً وفي محلة المشراق ثمانية عشر مسجداً وفي محلة الجـديدة ثمانية مساجد [٣].

ومن المساجد المعروفة بقدسيتها ، مسجد الحنانة ، يقصده الناس للتبرك ، وموقعه في شمال مدينة النجف على يسار الذاهب الى مدينة الكوفة ، وبالقرب منه « الثوية » وهي مدفن لكثير من خواص الامام علي (ع) [٤] .

ومن أقدم الأروقة التي بنيت في المشهد، رواق عمران بن شاهين ، وعمران

---

١ — وستمر على القارىء في (فصل النجف في الشعر) من الجزء الاول من (قسم النجف) من الموسوعة . ج. خ

٢ — ستأتي الاشارة الى بعض قائلي الشعر في (وادي السلام) في الجزء الاول من (قسم النجف) من الموسوعة . ج. خ

٣ ـ ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٩٨ .

٤ ـ ماضي النجف وحاضرها : ج ١ ص ١٠٠ .

هذا رأس الأمارة الشاهينية بالبطيحة ومؤسسها ، أصله من الجـامدة « من اعمال واسط » مجهول النسب ، سوادي المنشأ ، ينتسب الى بني سليم ، كان عليه دم وهرب الى البطائح فاحتمى بالآجام يتصيد السمك والطير ، ورافقه الصيادون والتف حولة اللصوص ، فكثر جمعه واستفحل أمره ، فأنشـأ معاقل وتمكن ، وعجزت عنه حكومة واسط ، واستولى على الجامدة وامتد سلطانه في نواحي البطائح ، فجهز له معز الدولة البويهـي جيشـاً من بغـداد سنة ٣٣٨هـ فهزمه عمران [١] ، ونشبت بينه وبين معز الدولة معـارك انتهت بالصلح على ان تكون امارة البطيحة لعمران بن شاهين ، واستمر اميراً منيع الجانب مدة اربعين سنة ، وتوفى سنة ٣٦٩هـ [٢] ، وقد بنى رواقاً في النجف الأشرف وكان هذا الرواق يقرب من الجهة الشمالية لرواق الحرم العلوي[٣] .

ومن الاماكن القديمة في النجف الأشرف « مسجد الشيخ الطوسي » وكان داراً لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وقد أوصى ان يدفن بها وان تتخذ داره مسجداً بعده ، وهو اليوم من اشهر مساجد النجف وتقام فيه الجماعة ويحضر فيه اهل العلم للدراسة والتدريس ، وموقعه في محلة المشراق ، وكانت هذه المحلة تعرف قديماً بمحلة العلا من الجهة الشمالية للصحن الشريف .

وتمتاز مدينة النجف بكثرة مدارسها العلمية ، ومن اشهرها :

---

١ ـ والمعروف ان عضد الدولة طارد عمران بن شاهين حتى اضطر للتخفي وحين دشن عضد الدولة بناء قبة الامام علي في الحفلة التاريخية المعروفة انتهزهـا عمران بن شاهين فرصة صالحة لطلب العفو من عضد الدولة والقى بنفسه هناك محتمياً بضريح الامام فعفا عضد الدولة عنه وبنى عمران هنالك المسجد الذي عرف بمسجد ابن شاهين والذي اضطرت توسعة الصحن فيما بعد ان تضم الجانب الكبير منه الى الصحن .
ج ٠ خ

٢ ـ ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ٣٣٨ .

٣ ـ مسكويه : تجارب الامم ج٢ ص ٣٩٧ .

١ ــ مدرسة الصدر وتحتوي على ٣٠ غرفة وقد بناها محمد حسين خان الاصفهاني في حدود سنة ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م ، وتعتبر هــذه المدرسة اقدم المدارس في النجف الأشرف ، وموقعها في السوق الكبير .

٢ ــ مدرسة المعتمد وتحتوي على ٢٠ غرفة ، وقد بناها معتمد الدولة عباس قلي خان في حدود سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ، وموقعها في محلة العمارة.

٣ ــ مدرسة المهدية وتحتوي على ٢٢ غرفة ، وقد بناها الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء في حدود سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م وموقعها في محلة المشراق .

٤ ــ مدرسة القوام وتحتوي على ٢٦ غرفة ، وقد بناها فتح علي خان الشيرازي في حدود سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م و وموقعها في محلة المشراق .

٥ ــ مدرسة السليمية وتحتوي على ١٢ غرفة ، وقد بناها سليم خان الشيرازي في حدود سنة ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م ، وموقعها في سوق محلة المشراق.

٦ ــ مدرسة الايرواني وتحتوي على ١٩ غرفة ، وقد بناها الحاج مهدي الايرواني سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م ، وموقعها في محلة العمارة .

٧ ــ مدرسة الشربياني وتحتوي على ١٢ غرفة ، وقد بناها الشيخ محمد الشربياني سنة ١٣٢٠ هـ / ١٨٠٥ م ، وموقعها في محلة الحويش .

٨ ــ مدرسة القزويني وتحتوي على ٣٠ غرفة ، وقد بناها الحاج محمد آغا الامين القزويني سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، وموقعها في محلة العمارة .

٩ ــ مدرسة الهندي وتحتوي على ٢٠ غرفة وقد بناها ناصر علي خان اللاهوري سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م وموقعها في محلة المشراق .

١٠ ــ مدرسة الخليلي الكبرى ، وتحتوي على ٤٦ غرفة ، وقد بناها الحاج ميرزا حسين الخليلي سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م ، وموقعها في محلة العمارة بالشارع العام المعروف « بعقد السلام » .

١١ – مدرسة الخليلي الصغرى ، وتحتوي على ٤٠ غرفة ، وقد بناها الحاج ميرزا حسين الخليلي سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ وموقعها في محلة العمارة .

١٢ – مدرسة الأخوند الكبرى وتحتوي على ٤٠ غرفة وقد بناها الشيخ ملا محمد كاظم الخراساني سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م ، وموقعها في محلة الحويش بالشارع العام .

١٣ – مدرسة الاخوند الوسطى ، وتحتوي على ٣٣ غرفة ، وقد بناها الشيخ ملا كاظم الخراساني سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، وموقعها في محلة البراق .

١٤ – مدرسة الاخوند الصغرى ، وتحتوي على ١٢ غرفة ، وقد بناها الشيخ ملا محمد كاظم الخراساني سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، وموقعها في محلة البراق .

١٥ – مدرسة السيد كاظم ، وتحتوي على ٨٠ غرفة ، وقد بناها السيد كاظم اليزدي سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م . ، وموقعها في محلة الحويش .

١٦ – مدرسة الشيرازي بجوار الصحن الشريف من جهة باب الطوسي ، وفيها قبر المرحوم المجدد الميرزا حسن الشيرازي .

١٧ – مدرسة البروجردي وتحتوي على ٦٤ غرفة ، وقد بناها السيد آغا حسين البروجردي سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م ، وموقعها بالقرب من الصحن الشريف .

١٨ – مدرسة (جامعة النجف الدينية) وتحتوي على حوالي ٢٠٠ غرفة ، قام بالانفاق عليها الحاج محمد تقي الاتفاق الطهراني ، واشرف على عملية البناء السيد محمد كلانتر ، وموقعها في حي السعد وتعتبر هذه المدرسة من اضخم المدارس العلمية في النجف .

١٩ – مدرسة عبد العزيز البغدادي .

كربلاء

من مدن العراق المقدسة ، على بعد ٦٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من بغداد ، وتقع على حافة الصحراء [١] ، في غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة [٢].

ومن المرجح ان هذه المدينة كانت احدى القرى العراقية القديمة التي يرتفع تاريخها الى العهد البابلي ، والاسم الذي تحمله يؤيد ترجيحنا ذلك ، ونحن نرى ان كلمة (كربلاء) لا تعدو غير معنى (قرب الإله) ، فالكلمة متوارثة من البابلية القديمة ، واحتمل البعض ان اسم كربلاء ربما كان ذا صلة باللغة الآرامية ، والآستورية كربلاتو Karbalatu وهو يعني نوعاً من غطاء الرأس ، ويقول ياقوت الحموي : ونزل خالد بن الوليد ، عند فتحه الحيرة ، كربلاء ، فشكا اليه عبد الله بن وشيمة البصري ، الذبّان فقال رجل من اشجع في ذلك : — [٣]

١ ـ ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٧ .
٢ ـ الاصطخري : المسالك والممالك ص ٦٠ .
٣ ـ ياقوت : ج ٤ ص ٢٥٠ .

لقد حُسِبَتْ في كربلاء مطيتي　　وفي العين حتى عاد غَثّاً سمينُها
إذا رحلت من منزل رَجعْت له　　لعمري وأيهـا انـني لأهينُها
ويمنعها من مـاء كل شريعة　　رفاقٌ من الذبان زرقٌ عيونُهـا

كما اعتقد بعض الباحثين الافاضل [١] ان كربلاء من كلمة (كور بابـل) العربية وهي عبـارة عن مجموعة قرى بابلية قديمة ، منها « نينوى » التي وجدت منذ العصور الغابرة ، والتي تمثل اليوم تلولاً اثرية بالقرب من سدة الهندية ثم « الغاضرية » وتعرف اليوم بارض الحسينية و « كربلة » بتفخيم اللام وتقع الى شرقي كربلا وجنوبها ، ثم « كربلاء » او « عقر بابل » وهي في الشمال الغربي من الغـاضرية ، ثم « النواويس » وكانت هذه المنطقة مقـبرة للنصارى قبل الفتح الاسلامي ومـكانها اليوم من اراضي ناحية الحسينية قرب نينوى ، ثم « الحير » ويعرف « بالحائر » وهو اليوم موضع قـبر الحسين عليه السلام ، الى حدود روضته الشريفه او حدود الصحن .

وياقوت الحموي اشار في معجمه الى معنى كربلاء لعـدة احتمالات منها : قوله : — كربلاء بالمـد وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن عـلي « عليه السلام » في طرف البرية عند الكوفة ، فامـا اشتقاقه ، فالكربلة رخاوة في القدمين ، يقال جاء يمشي مكربلاً ، فيجوز ، على هذا ان تكون ارض هذا الموضع رخوة ، فسميت بذلك ، ويقال ، كربلت الحنطة ، اذا هززتها ونقيتها ، وينشد في صفة الحنطة : —

يحملن حـمـراء رسوباً للثقـل　　قد غُربلت وكُرْبلت من القِصَلْ

فيجوز على هذا ان تكون هذه الارض منقاة من الحصى والدغل فسميت

---

١ — هبة الدين الشهرستاني : نهضة الحسين .
سلمان هادي الطعمة : تراث كربلاء .

بذلك ، والكربل اسم نبت الحمّاض ، وقال ابو وجرة ، يصف ظعون الهودج :

وتامر كربل وعميم دِفْـــلى عليهـــا والندى سبط يمـــور

فيجوز ان يكون هذا الصنف من النبت بكثر نبته هناك فسمي به[١]

ويتفرع من الفرات نهـــر يعرف بنهر « العلقمي » ويمر بالقرب من مثوى سيدنا العباس (ع) وينحدر الى نواحي الهندية ويقترن بنهر الفرات في شمال غربي الكفل [٢] .

ويبدو ان منطقة كربلاء لم تكن آهلة بالسكان كما كانت تفتقر الى العمران الكبير ، ومن المرجح ان هذه المنطقة الغنية بالمياه وبتربتها الخصبة ، كانت تنتشر فيها القرى والقبائل التي استقرت فيها ، او بالقرب منها ، وبعد العاشر من محرم سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م ، أي بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام ودفنه في مكانه الحالي ، اخذ الناس يتوافدون على زيارة القبر الشريف، كما أخذ الكثير يستوطنون تلك التربة المقدسة أو يوصي بدفنه هناك ، وعلى الرغم من مقاومة ومعارضة أفراد الحكام العباسيين مثل الرشيد والمتوكل للعلويين ، فان كربلاء تطورت وتوسعت بمرور الزمن .

وفي سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م ، أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ، وهدم ما حوله من المنازل والدور وامر بان يبذر ويسقى موضع قبره ، وان يمنع الناس من اتيانه [٣] ، ولما تولى ولده المنتصر سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، عدل عن سياسة ابيه في معاداة العلويين ، وأمر الناس

---

١ - ياقوت : ج ٤ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

٢ - ولم تزل للآن مقاطعة كبيرة هي الواقعة بين طويريج (الهندية) وبين الكفل من جهة الغرب تحتفظ باسم العلقمي القديم . ج . خ

٣ - ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٨٧ .

بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام ،[١] ـ واهتم بعمارة المشهد سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م محمد بن زيد بن الحسن الملقب بالراعي الصغير ، وكان قد ملك طبرستان بعد اخيه الحسن الملقب بالراعي الكبير مدة عشرين سنة [٢] ، فشيد محمد بن زيد للحائر المقدس قبة عالية لها بابأن ومن حول القبة سقيفتين . ثم عمّر السور من حول الحائر وبنى المساكن ، واجزل بالعطاء على سكان ومجاوري الروضة المقدسة ، وقد بالغ محمد بن زيد في فخامة البناء وحسن الريازة ودقة الصنعة في عمارة الحائر بما يتناسب ومنزلة مشرفة [٣] .

ويبدو ان عضد الدولة البويهي قد بذل عناية فائقة في تشييد بناء على قبر الحسين واخذت الحياة تدب الى هذه المدينة وتزهر ثقافياً وعمرانياً واقتصادياً.

وفي العهد السلجوقي عني بعض سلاطين السلاجقة بالمشهد الحسيني ، ففي سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، زار ملكشاه مدينـــة كربلاء ، بترميم سور وأم المشهد الحسيني ، والعمارة القائمة اليوم على القبر المطهر هي بالأصل تلك العمارة التي شيدها السلطان اويس الجلايري في عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ، فأتمها من بعده ولداه السلطان حسين والسلطان احمد في سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م ، كما شيد البهو الامامي للروضة المعروف بايوان الذهب . اما الرواق المعروف اليوم برواق السيد ابراهيم المجاب ، فقدشيده عمران ابن شاهين ، وفي الواجهة الامامية للروضة رواق حبيب ابن مظاهر الأسدي ، وهو أحد المجاهدين مع الامام الحسين عليه السلام في موقعة الطف ، وضريحه مصنوع من الفضة .

وقد بذل الصفويون غاية العنـــاية في اعمار المشهد الحسيني ، ففي سنة

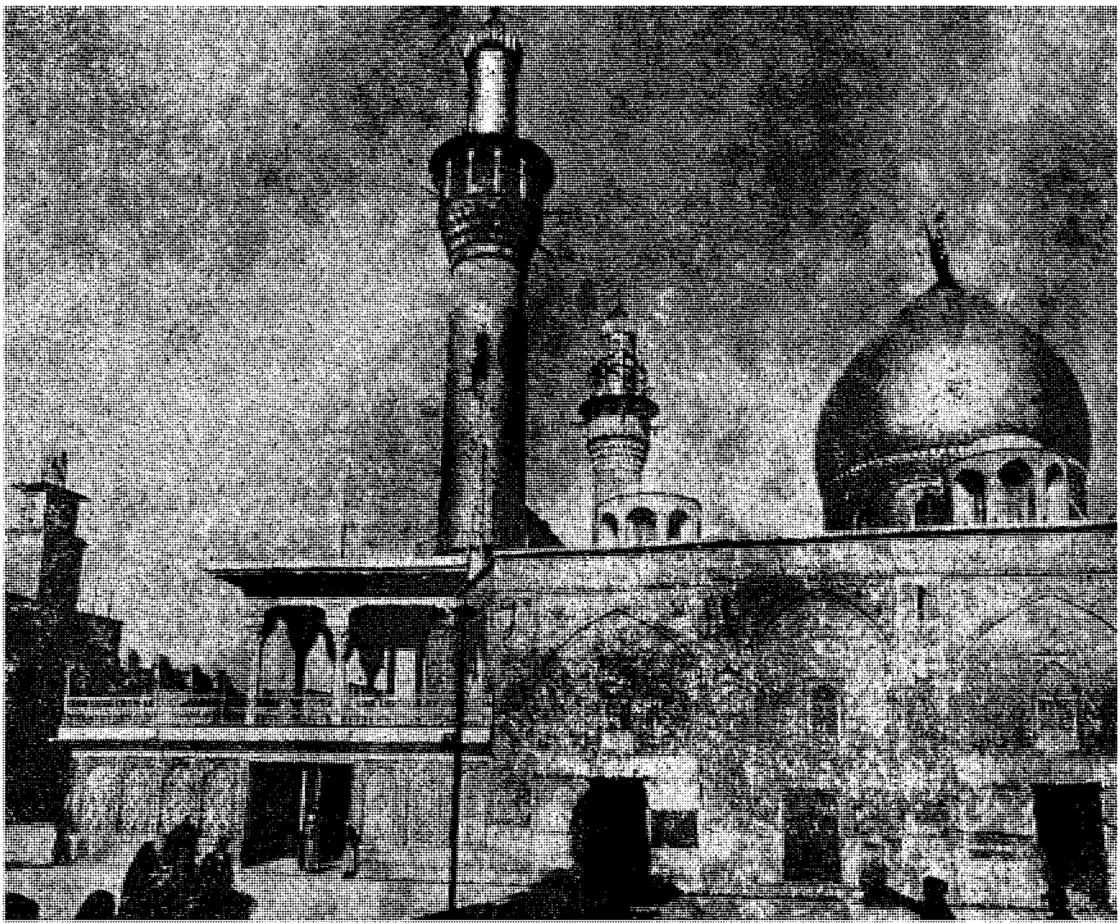
---

١ ـ ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٢٨٧ .
٢ ـ اعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٦ .
٣ ـ الشيخ محمد السماوي : مجال اللطف ص ٣٩ ـ ٤٠ .
الدكتور جواد الكليدار : تاريخ كربلاء ص ١٦٠ .

٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ، فتح اسماعيل الصفوي بغداد ثم زار كربلاء فأمر بتذهيب حواشي الحسين واهدى اثني عشر قنديلاً من الذهب ، كما اهدى شبكة فضية لتوضع على القبر وذلك سنة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م .

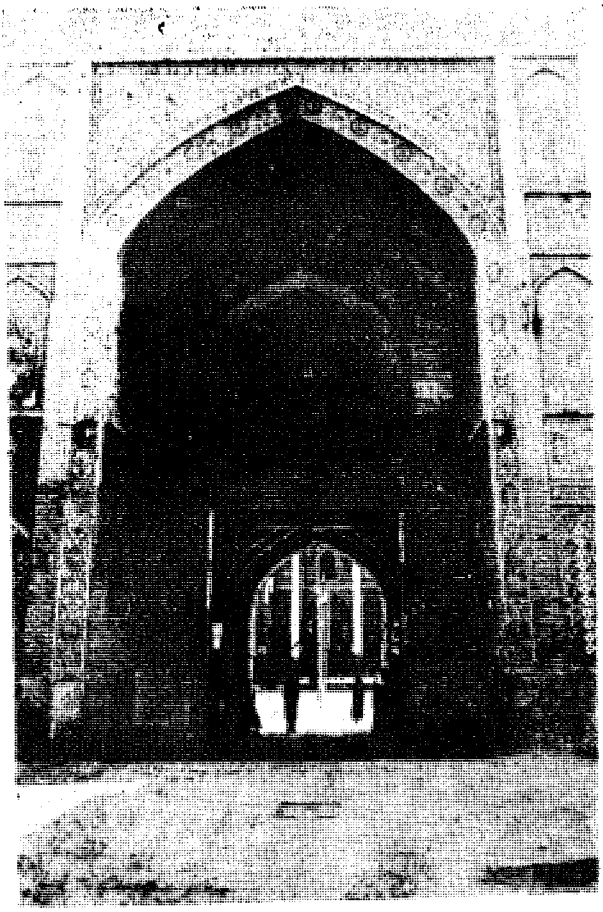
وامر السلطان مراد الرابع العثماني ببناء القبة وجصص خارجها ، وفي سنة ١٢٢٧ هـ/ ١٨١٢ م ، أمرالسلطان فتح علي القاجاري بتجديد بناء المشهد وتبديل صفائح الذهب واهدى شبكة من الفضة وضعت على القبر الشريف . كما امر سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ، ببناء قبتي الامامين الحسين والعباس عليهما السلام ، وكان يتولى الانفاق وكيله الصدر الاعظم ابراهيم خان الشيرازي . والقبة الحسينية شاهقة يبلغ ارتفاعها ٢٧ متراً وهي مغشاة من اسفلها الى اعلاها

منظر خارجي عام للروضة الحسينية



بالذهب الابريز ، ويحوطهافي الاسفل ١٢ شباكاً بين الواحد والآخر متر واحد و ٢٥ سم ، من الداخل ، ومتر واحدو ٣٠ سم من الخارج .

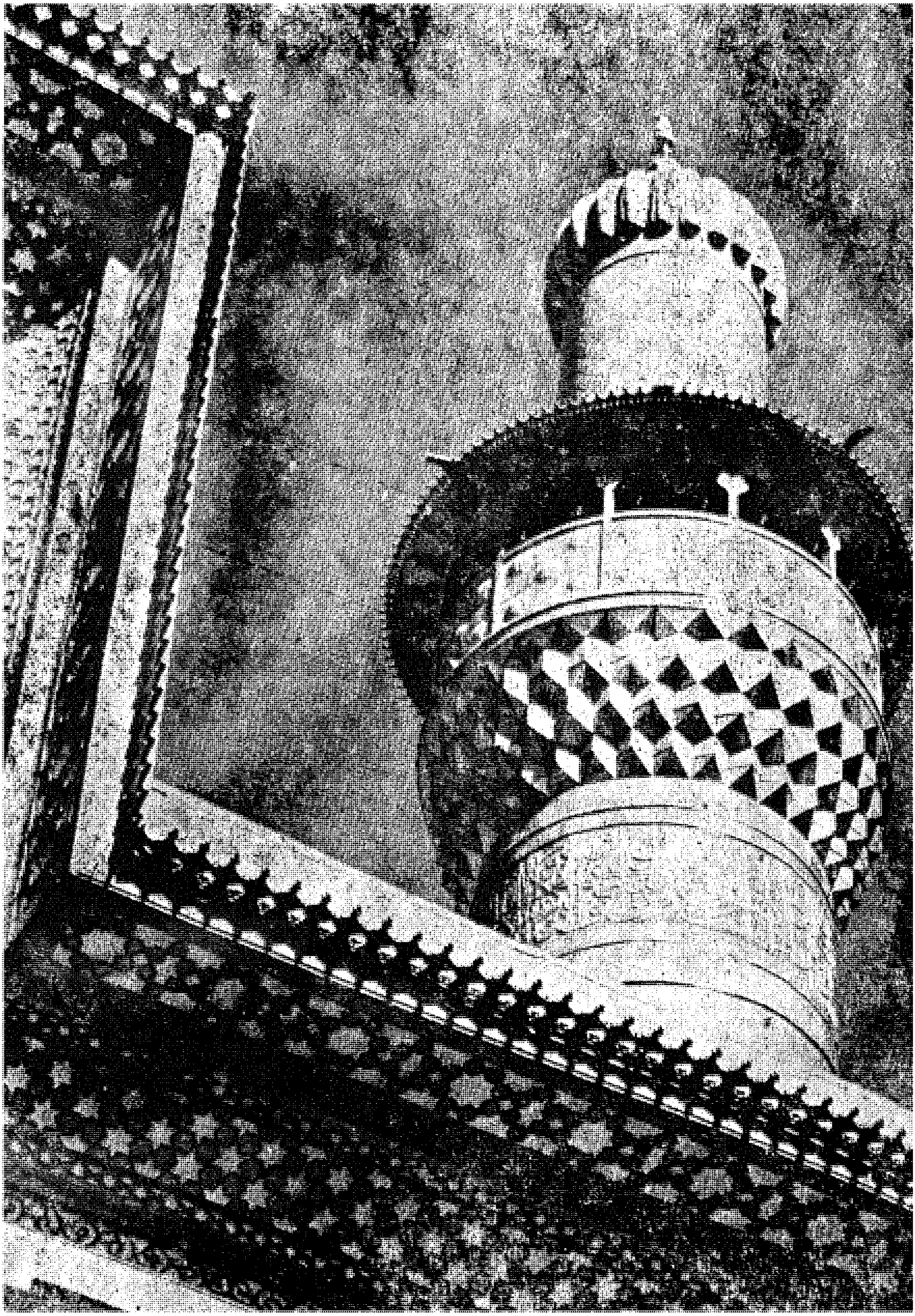
وفي سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م ، زار المشهد الحسيني الشريف ، السلطان ناصر الدين شاه وامر بتجديد المشهد وتبديل صفائح الذهب وتذهيب القبة الحسينية ، كما استملك دوراً اضافها الى الصحن من الجهة الغربية .



باب القبلة من صحن الروضة الحسينية

ويمتاز المشهد الحسيني الطاهر ، بسعة صحنه ، وكثرة اواوينه الجميلة المزخرفة والمنقوشة نقشاً بديعاً ، ويبلغ طول الصحن ٩٥ متراً في عرض ٧٥ متراً وله عشرة ابواب وقد عرفت هذه الابواب باسماء تزهو بالوان جميلة جذابة . مختلفة ، وهي : باب القبلة ، وباب العلامة الشيرازي ، وباب قاضي الحاجات ، وباب علي الاكبر ، وباب الكرامة ، وباب الناصري ، وباب السلطان ، وباب

احدى منارتي الضريح الحسيني وتتجلى فيها الريازة الاسلامية بأبدع فنونها ←



الزينبية ، وباب رأس الحسين ، ولكل باب طاق معقود بالفسيفساء البديع الصنع ، الذي يزهو بالوان جميلة جذابة

ويحيط بالمشهد المطهر ٦٥ ايواناً في كل واحد حجرة ، قد غشيت جدرانها من الداخل والخارج بالفسيفساء ، وقد اعدت هذه الحجر ليتلقى بها طلاب العلم دروسهم ، كما اعد البعض الآخر مقابر للملوك والامراء والسلاطين وكبار رجال الدين واشراف الناس .

ويتوسط بلاط المشهد الطاهر بناء الروضة الحسينية الشريفة ، وللروضة عدة ابواب من اشهرها : باب القبلة ويعرف بباب الذهب ذلك لان احجار ايوانها مغشاة بالذهب والفضة الناصعة ، عملت باتقان بالغ ومهارة فائقة .

والداخل من باب ايوان الذهب - باب القبلة - ينتهي به المطاف الى رواق يحيط بالحرم المطهر من الشرق والجنوب ويجد عن يمينه قبر الشهيد حبيب بن مظاهر الاسدي ، الذي وقف الى جانب الامام الحسين في وقعة الطف ونال الشهادة من اجل المثل العليا السامية .

وكانت تزين المشهد الحسين [مأذنة العبد] وهي التي أمر ببنائها أمين الدين مرجان سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م وبنى خلفها من الجانب الشرقي مسجداً واوقف على المسجد والمئذنة اوقافاً كثيرة ، وفي سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م أمر طهماسب بتعمير المئذنة ، وفي سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ، أمر ياسين الهاشمي رئيس الوزارة العراقية آنذاك بهدم المئذنة وذلك بسبب تقرير رفعته دائرة الاوقاف، بخطر بقاء هذه المئذنة نظراً لاعوجاجها

وخزانة الروضة الحسينية التي تحوى الذخائر الثمينة من التحف ونوادر

الهدايا من الجوهرات واللالىء من ملوك وامراء المسلمين ، ان هذه الخزانة تقع في الواجهة الشمالية من الروضة الحسينية ، والى غربي الخزانة تقوم مكتبة الروضة الحسينية .

اما مرقد الامـام العباس فكان يلقى من الرعاية والعناية ما يلقاها مرقد الامام الحسين « عليه السلام » .

وفي سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م ، امر الشاه طهماسب بتزيين قبة مرقد العباس (ع) بالكاشاني وبنى شباكاً على الصندوق ونظم الرواق والصحن كا بنى البهو امام الباب الاول . وفي سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م ، اهدى نادر شاه الى الحرم الشريف تحفـاً نادرة . وفي سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م ، امر السلطان محمد شاه بن عباس مرزا بن فتح علي ، بصنع شباك من الفضة لضريح الامام العباس (ع) .

ويذكر المتتبعون انه من المرجح ان يكون المرحوم محمد حسين صدر الاعظم الاصفهاني هو الذى قام بتشييد بناء الروضة العباسية الحالية . وقد تبرع بالضريح الفضي محمد شاه بن عباس مرزا القاجاري .

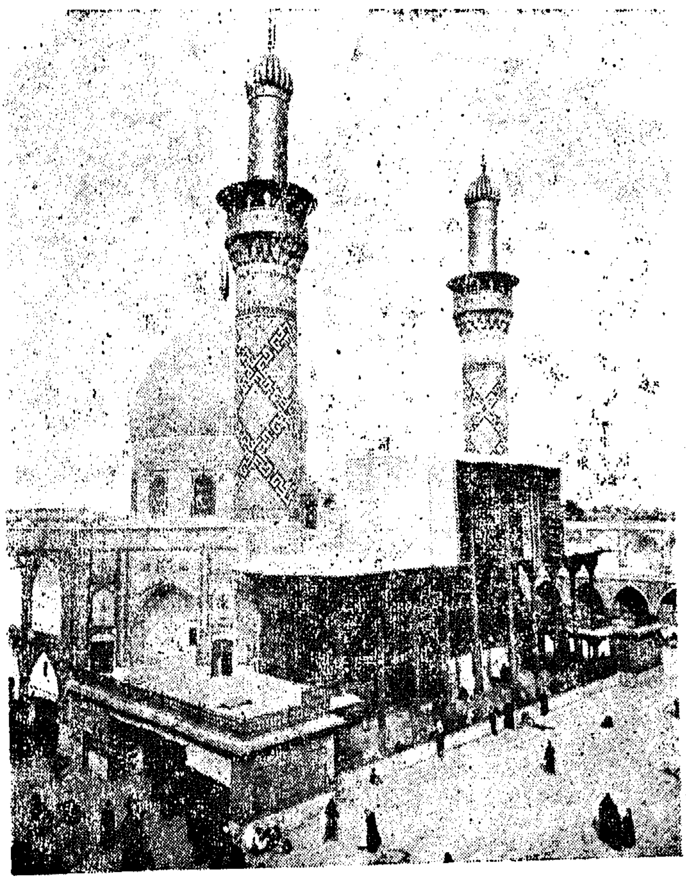
وتشمل كربلاء الى جانب مدفن ابي عبد الله الحسين ومدفن اخيه العباس بن علي بن ابي طالب جميع الشهداء الذين استشهدوا في تلك الواقعة التأريخية التي ستمر عليها (الموسوعة) في القسم الخاص (بكربلاء) بالتفصيل .

والشهداء الابرار الذين استشهدوا مع الامام الحسين في موقعة الطف من اهل بيته وهم سبعة عشر والحسين ابن علي بن ابي طالب الثامن عشر ، منهم[1] ، العباس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام ، أمهم أم المؤمنين ، وعبيد الله وابو بكر ابنا أمير المؤمنين عليه السلام ، أمهما ليلى

---

١ — المفيد : الارشاد ص ٢٤٨ .

بنت مسعود الثقفية ، وعلي وعبد الله ابنا الحسين بن علي عليهما السلام ،ومحمد وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وعبدالله وجعفر وعبد الرحمن بنو عقيل بن ابي طالب رضي اللهعنهم ، ومحمد بن سعيد



الجانب الامامي من ضريح العباس بن علي بن ابي طالب بكربلاء

بن عقيل بن ابي طالب رحمة الله عليهم اجمعين ، فهؤلاء سبعة عشر نفراً من بني هاشم ، رضوان الله عليهم اجمعين ، أخوة الحسين عليه وعليهم السلام ،

وبنو أخيه وبنو عميه جعفر وعقيل وهم كلهم مدفونون فيما يلي رجلي الحسين في مشهده ، حفر لهم بنو اسد حفيرة وقد وجدوهم جثثاً في العراء ، والقوم فيها جميعاً وسووا عليهم التراب إلا العباس بن علي عليهما السلام فانه دفن في موضع قتله على المسناة بطريق الغاضرية ، وقبره ظاهر وليس لقبور اخوته واهله الذين سميناهم أثر وانما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين « عليه السلام » ، ويومىء الى الارض التي نحو رجليه بالسلام عليهم وعلى علي بن الحسين عليهما السلام ويقال انه اقربهم دفناً الى الحسين (ع) [1] .

اما اصحاب الحسين عليه السلام الذين وقفوا الى جانبه في معاركه ضد الامويين واستشهدوا فانهم دفنوا حوله ، ومن الصعب على المحقق تعيين اجداثهم ولكن مما لا شك فيه ، ان الحائر محيط بهم جميعاً

وحول الحضره المقدسة رواق جميل ، تزينه نقوش بديعة من المرايا ، وله سبعة ابواب تؤدي الى الصحن ، باب حبيب بن مظاهر ، وباب القبلة ، وباب صاحب الزمان ، وباب علي الأكبر وباب الكرامة وباب سيد ابراهيم المجاب ، وباب رأس الحسين ، والرواق هذا له ثمانية ابواب تؤدي الى الحضرة المطهرة: باب القبلة وباب علي الأكبر وبابان يعرفان ببابي الكرامة ، وباب الناصر (ناصر الدين شاه) وباب ابراهيم المجاب ، وباب رأس الحسين ، وباب حبيب ابن مظاهر ، وفي هذا الرواق بعض المدافن لشخصيات كبيرة ، امثال الأمير محمد علي بن فتح علي شاه ، والحاج محمد حسين كاشاني ، دفن في هذا المكان الطاهر تقديراً لما بذله من هدايا سخية للعتبات المقدسة ، وهناك صندوق الى يمين باب علي الأكبر ضَمّ أجداث عدد من العلماء والمشاهير قبالة باب الكرامة ، مقبرة مرزا تقي خان الصدر الأعظم ، وقبر عماد الدولة حفيد فتح علي شاه ، ومقبرة اخرى تضم قبر مظفر الدين شاه بن ناصر الدين ومحمد

---

١ – الارشاد : ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

علي شاه القاجاري واحمد شاه القاجاري والأمير محمد حسن .

وهناك من الاخبار عن ابن عنبة ماتشير الى ان أضرحة الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم (ع) وولديه الشريف المرتضى والشريف الرضي في كربلاء وفي مشهد الامام الحسين عليه السلام ، قال ابن عنبة [١] : – « وأعيد الشريف ابو أحمد [٢] الى النقابة وتوفي سنة اربع مائة ببغداد وقد أناف على التسعين ودفن في داره ثم نقل الى مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء فدفن هناك قريباً من قبر الحسين عليه السلام وقبره معروف ظاهر » .

ونقل جثمان الشاعر الشريف الرضى الى كربلاء ودفن عند قبر أبيه ، قال ابن عنبة : – ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وتوفي يوم الاحد السادس من محرم سنة ست واربعمائة ، ودفن في داره ، ثم نقل الى مشهد الحسين (ع) بكربلاء فدفن عند ابيه وقبره ظاهر معروف [٣] .

والشريف المرتضى هو الآخر نقل جثمانه الى مشهد الامـــام الحسين بكربلاء ، ذكر ابن عنبة : « كانت ولادتـــه سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي خامس عشر ربيع الاول سنة ست وثلاثين واربعمائة عن اربع وثمانين سنة ودفن في داره ثم نقل الى كربلاء فدفن عند أبيـه وأخيه ، وقبورهم ظاهرة مشهورة [٤] » [٥] .

---

١ – ابن عنبة : عمدة الطالب ص ٢٠٤ .

٢ – « أبو أحمد » كنية الحسين بن موسى والد الشريف المرتضى والشريف الرضى .

٣ – ابن عنبة : ص ٢١٠ – ٢١١ .

٤ – ابن عتبة : عمدة الطالب ص ٢٠٥ .

٥ – وهنالك اخبار تناقض قول ابن عنبة في هذه المدافن .

الكاظمية

يرتبط تاريخ المشهد الكاظمي ، بتاريخ مدينة بغداد ، وان المنطقة المحيطة بذلك المكان ، على ما يذكره بعض المؤرخين كانت تكون جملة من البساتين العامرة ، كما يذكر البعض منهم ان كسرى أنو شروان كان يمتلك بستاناً في جوار قرية بغداد ، سماه بُستان العدل [1] . ولا ريب فان منطقة المشهد الكاظمي قريبة من دجلة وان تربتها معروفة بالخصب ، ولا زالت آثار البساتين تحف بها من معظم جهاتها .

ومن الجدير بالذكر أن تلك المنطقة كانت خارج بناء مدينة بغداد ، وكانت تعرف قبـــل ان يطلق عليها اسم مقابر قريش ، تعرف باسم مقابر الشونيزي الصغير [2] ، وكانت هناك مقبرة الى الجنوب منها تعرف باسم مقبرة الشونيزي الكبير ، واشهر من دفن فيهـــا السري السقطي والجنيد البغدادي [3] .

---

١ ـ مصطفى جواد واحمد سوسة : دليل خارطة بغداد ص ١٦ .

٢ ـ البغدادي : ج ١ ص ١٢ . ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٢٩ .

٣ ـ مناقب بغداد : ص ٢٩ .

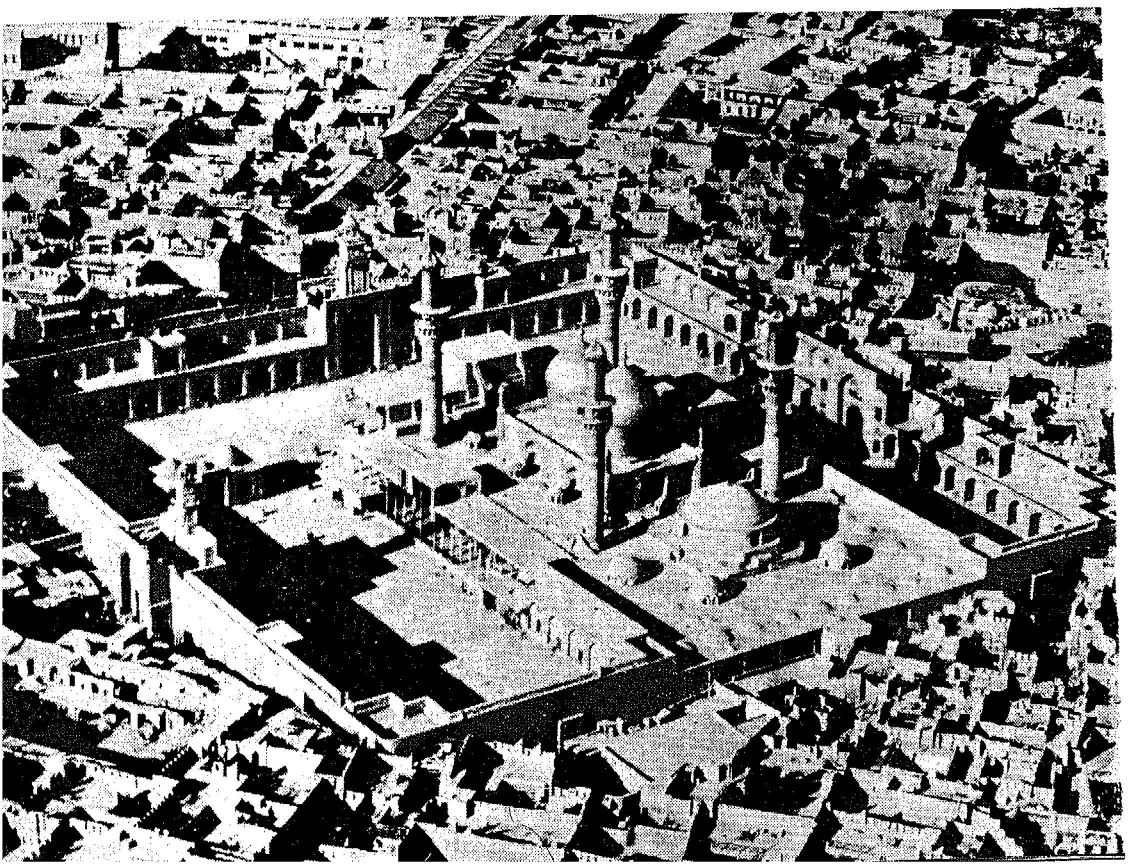
ويبدو ان أبا جعفر المنصور بعد انهائه بنـــاء بغداد ، اقتطع مقبرة الشونيزي المجاورة لمدينة بغداد من الشمال فجعلها مقبرة [١] ، واسماها مقبرة قريش ، وربما اختار لفظ قريش ليشير الى مشاركة العلويين والعباسيين في الدفن فيها [٢] ، واول من دفن فيها ابن الخليفة المنصور المدعو جعفر سنة (١٥٠ هـ) ٧٦٧ م .

وفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م ، دفن الامام موسى الكاظم في مقابر قريش وفي سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، توفي الامـــام محمد الجواد (ع) ودفن مع جده الامام موسى الكاظم .

---

١ — معجم البلدان : ج ٤ ص ١٠ .
٢ — الشيخ محمد حسن آل ياسين : مقابر قريش ، مقال في مجلة الاقلام ج٢ ص ١٤٨ .

مدينة الكاظمين



والى الشمال الشرقي من مشهد الكاظميين مقبرة تدعى باب التبن [١] ، كما ان مدفن الامام الكاظم بعد ذلك اشتهر بمشهد باب التبن نسبة الى باب التبن الذي كان في شرقيه مما يقرب من دجلة [٢] ، وباب التبن محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بازاء قطيعة ام جعفر ، وبهـا قبر عبد الله بن احمد بن حنبل (رض) دفن هناك بوصية منه ، ويلصق هذا الموضع في مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد البـاقر بن علي زين العابدين بن الامـام الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم ويعرف قبره بمشهد باب التبن .

وقد عرفت محلة باب التبن بالزهيرية وهي قطيعة زهير بن محمد الأبيوردي، وزهير رجل من الازد من عرب خراسان من أهـل ابيورد [٣] ويتصل بباب التبن ربض أبي حنيفة أحد قواد المـأمون [٤] وقريب من ذلك الربض ، محلة الحريم الطاهري ، التي تقع بالقرب من الخندق الطاهري ، المنسوب الى طاهر ابن الحسين [٥] ، قـائد جيش المأمون ، كما تتصل بربض أبي حنيفة من جهة المغرب قطيعة تدعى « دار عُمارة » منسوبة الى عُمـارة بن حمزة أحد موالى أبي جعفر المنصور ، وكان المنصور قد اقطعها اياه، وكان ربض عثمان بن نهيك يقع بين دار عمارة الغربية ومقابر قريش [٦] وعثمان بن نهيك هذا من رجـال حرس المنصور .

ويمكننا القول ان النـاس أخذوا يسكنون حول مـا عرف بمقابر قريش وصار النـاس يقومون بزيارة قبري الامامين الكاظم والجواد (ع) ، وقد ازداد السكن كما بذلت عناية فائقة في بنـاء المشهد الكاظمي في العهد البويهي

---

١ ـ دليل خارطة بغداد ص ١٠٢ .
٢ ـ معجم البلدان مجلد ٢ ص ١٤ .
٣ ـ دليل خارطة بغداد : ص ١٠٤ .
٤ ـ مراصد الاطلاع : ج ٢ ص ٦٠١ .
٥ ـ المرجع السابق ج ١ ص ٣٩٧ .
٦ ـ المرجع السابق ج ٢ ص ٥٠٧ .

الذي يبتدىء من سنة ٣٣٤هـ، ٩٤٦م، واصبح المشهد الكاظمي على مر العصور مزاراً لطائفة الشيعة على الأخص ولجميع المسلمين بشكل عام، كما صار هذا المشهد مكاناً يجتمع فيه المحبون والمؤيدون لآل علي (ع) في مواسم الزيارات الخاصة وفي الاجتماعات التي تعقد في العشرة الاولى من محرم.

وطبيعياً ان تكون المساكن المحيطة بالمشهد الكاظمي ينزلها على العموم جماعة العلويين الذين صاروا يكونون النسبة العظمى لتلك المدينة التي أخذت في النمو والاتساع.

ذكر ابن الجوزي عند الكلام على نقل الخليفة القائم بأمر الله العباسي الى حديثة عانة قوله: - وعبر قريش ليلة الاربعاء التاسع من ذي الحجة الى الجانب الغربي، وضرب خيمة بقرب جامع المنصور وحمل الخليفة الى المشهد بمقابر قريش وقال له: تبيت الليلة فيها، فامتنع، وقال: - هؤلاء العلويون الذين بها يعادونني، فالزم الدخول وبات ليلة في احدى الترب[1]. وهذا النص ان دل انما يدل على كثرة عدد العلويين في هذه المنطقة وقوة نفوذهم.

وقد تعرض المشهد الكاظمي لفيضانات دجلة في عصور مختلفة ففي سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م غرقت مقابر قريش[2]، كما تعرضت المدينة الى غرق سنة ٥٦٩هـ الذي سبب هدم اكثر سور المشهد[3]، وكان فيضان سنة ٦١٤هـ / ١٢١٣م مريعاً، فقد أغرق كثيراً من الاماكن في الجانب الشرقي من بغداد وكان أثره بالغاً من الجانب الغربي، فتهدم اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وغرقت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري

١ ـ المنتظم: ج ٢ ص ١٩٤.
٢ ـ المنتظم: ج ٨ ص ٢٨٦.
٣ ـ المرجع السابق ج ١٠ ص ٢١٩.

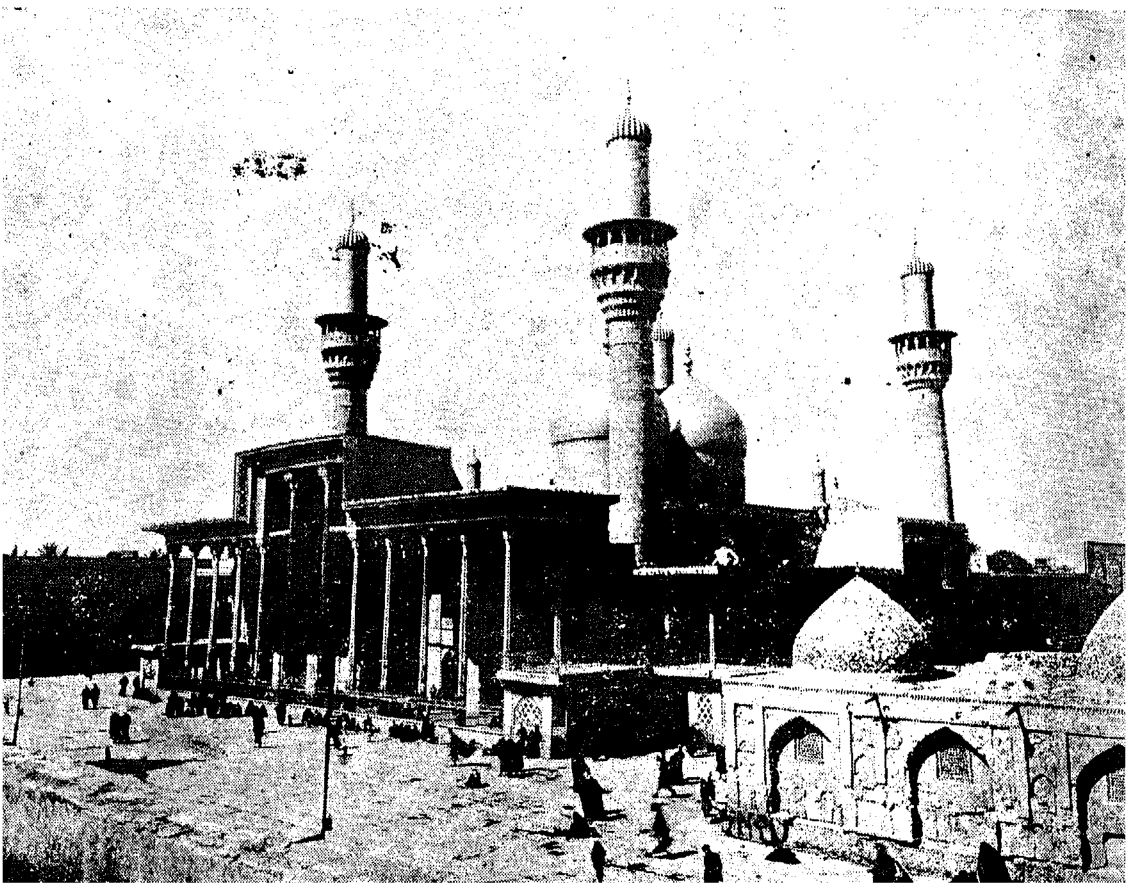
وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محـلة قطفتا[١] ، كما تعرضت المدينة والمشهد لفيضان دجـلة في سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، حيث سبب وقـع قطعة من سور المشهد الكاظمي على ساكنه السلام[١] ، وسنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م حيث أحاط المـاء ببغداد وغرق الجانبين ، وهدم دوراً كثيرة بالحريم والمشهد[٢] .

كما تعرضت المدينـة لموجات الأوبئة التي كانت تصيب العراق او بغـداد بشكل عام .

١ ـ الحوادث الجامعة ص ٢٣٠ .

٢ ـ الحوادث ص ٣١٧ ويقصد بالحريم (الحريم الطاهري) . وبالمشهد (المشهد الكاظمي) .

منظر لروضة الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (ع)



والمشهد الكاظمي القائم اليوم من انشاء اسماعيل الصفوي كما تدل الكتابة القائمة حول المشهد ويدل تاريخ انتهاء البناء سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٦م ، وقد اعتنى الصفويون بشكل خاص في بناء هذا المشهد بما يليق والامام الكاظم (ع) ، فظهر البناء جميلاً ورائعاً ، كما حاول العثمانيون بذل العناية بهذا المشهد الكريم ، فقد أمر السلطان سليم العثماني بناء منارة جديدة اضافة للمنائر الاربعة التي شيدها الصفويون بأمر السلطان اسماعيل الصفوي ، كما ربطت مدينة الكاظمية بمدينة بغداد عن طريق انشاء جسر خشبي عائم بين الكاظمية والاعظمية على عهد المشير هدايت باشا حوالي سنة ١٣٠٢هـ ، قائد الفيلق العسكري السادس في بغداد[1] .

وكان مدحت باشا قد ربط المدينة بالجانب الغربي من بغداد عن طريق انشاء ترامواي كاظمية – بغداد ، هذا مع العلم ان مدة حكم مدحت باشا لبغداد كانت بين ١٨٦٩م – ١٨٧٢م (١٢٨٦ – ١٢٨٩ هـ) .

والمشهد الكاظمي اليوم من الاماكن المقدسة التي يؤمها المسلمون من جميع انحاء الدنيا ، ويمتاز صحن المسجد بالسعة وله عشرة ابواب وطول الصحن (٣٧٠ متراً) (وعرضه ٣٥٠ متراً) ، ويبلغ طول البناء المخصص للمشهد ٢٣٠ متراً وعرضه ١٥٠ متراً ، وللمشهد الكريم أروقة تحيط به من جهاته الاربع ويبلغ عرض الرواق خمسة أمتار .

كان سور الصحن اصغر من السور الحالي بكثير كما انه لم يكن مزخرفاً ، الا ان فرهاد مرزا عمد الى هدمه وتجديد بنائه على الشكل الحالي ، كما اشترى بعض الدور عند باب قريش وهدمها وادخلها ضمن السور كما وسعه من جهة باب المراد .

والسور مكون من اواوين مزخرفة بالكاشاني وفي وسط كل ايوان

---

١ – الشيخ محمد حسن آل ياسين : مقابر قريش ، مجلة الاقلام ج ٣ ص ٦٧ .

كلمة كتبت بالكاشي ايضـــاً مثل (يا كافي المهمات) (يا ولي الحسنات) وغيرها من العبارات وكلمات ادعية مختلفة .

وهناك غرف خاصة داخل كل ايوان ، وقد بنيت غرف على كل باب من ابواب القبلة ، والمراد ، وباب قريش ، وقد استعملت هذه الاواوين والغرف للدرس والتحصيل او للخزن او السكن او لدفن الموتى فيها .

وعلى يمين الداخل من باب المراد يقوم مرقد (فرهاد مرزا) ، والغرفة التي على اليسار تحوي جثمان ولده .

ان الصحن يحيط بالحضرة من ثلاث جهـــات ، هي الجهة المقابلة لباب المراد ، والجهة المقابلة لباب القبلة ، والجهة المقابلة لباب قريش .

اما باب المراد التي على الرواق فقـــد امر بتذهيبه السلطان ناصر الدين القاجاري ، والى يمين هذا الباب ايوان تتخلله كتابة نسخية جميلة وكتابة كوفية مشجرة بديعة .

وباب القبلة امر بتذهيبه محمد شاه القاجاري والقبتين مع المنائر ، وعلى هذا الباب كتابات جميلة ، ويوجد سطران كتبا بالمرآة على جهتي الباب حول الذهب بقلم كوفي نفيس .

كما ان الايوانين الصغيرين الكائنين على جهتي باب الذهب يحتويان على كتابات كوفية من الكاشي بشكل المستقيمات لا تختلف عن الزخرفة وهما متشابهان .

ان السطرين اللذين كتبا بالمرايا يحتويان على الآية الكريمة :

(اعوذ بالله من الشيطان الرجـيم ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) ، وعلى الجهة الثانية نفس الآية .

اما باب قريش فقد عمّر رواقه السلطان محمد رشاد خان وليست هناك كتابات كوفية . وتحيط الكتابات النسخية بمعظم الجدران . ويدخل الى

زيارة ضريح الامام موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام من ٦ ابواب والقبر داخل ملبن من الفضة جميل الصنع ، وصندوق القبر من الخشب المطعم بزخارف الذهب والعاج ، وفي حضرة الضريح زخارف بديعة مختلفة من المرايا ذات الاشكال الجميلة المتناسقة والتي يحار لها العقل ويعجز عن وصفها القلم .

وفي الجدار الملاصق لحضرة الامامين (ع) من جهة باب المراد يقوم ضريح الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، كما دفن معه الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر قلوب استاذ الشيخ المفيد ، وفي أعلى الشباك الذي على قبر الشيخ المفيد أبيات شعر :

لا صوّت الناعي بفقدك انه ... يوم على آل الرسول عظيم
ان كنت قد غيبت في جدث الثرى ... فالعدل والتوحيد فيه مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما ... تليت عليه من الدروس علوم

ويشاهد قبر الشيخ نصير الدين الطوسي قرب ضريح الامامين (ع) في الجدار الملاصق لجدار الحضرة في الرواق الثاني من باب قريش ، وقد كتبت في أعلى الجدار كتابة بالخط النسخي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هذا مرقد سلطان الحكماء المحققين محمد بن محمد بن حسن الطوسي ، عمر في عهد السلطان بن السلطان ... الامجد معتمد الدولة » .

وتذكر المصادر التاريخية ان موسى بن ابراهيم الأصغر بن موسى الكاظم والملقب بالمرتضى ، ويعرف بابي سبحة [1] لكثرة تسبيحه ، قد توفي ببغداد وقبره بمقابر قريش مجاور لابيه وجده عليهما السلام ، ذكره صاحب غاية

١ ــ ابن عنبة : ص ٢٠١ .
غاية الاختصار : ذكره (ابو شبحة) ومن الجائز ان يكون ذلك تصحيفاً او خطأ مطبعياً ص ٥٤ .

الاختصار : «فحصت عن قـبره» فدللت عليه واذا موضعه حجيرة صغيرة ملك مبارك الجوهري الهندي[١] » . كذلك على ما يذكر صاحب غـاية الاختصار قبر والده ابراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم «بمقابر قريش عند أبيه عليه السلام في تربة مفردة معرفة[٢] » ، ويجوز البعض ان يكون القبر المنسوب حالياً في الكاظمية للشريف المرتضى ، هو بالذات قبر موسى ابن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام ، اذا صحت رواية ابن عنبة الـتي تقول ان السيدين الجليلين الشريفين المرتضى والرضي، قد توفيا ببغداد (ونقلا الى مشهد الامام الحسين (ع)[٣] ومن دفن في مقبرة الامام موسى بن جعفر «ابن المرتضى» ابو الحسن عـلي بن المرتضى بن عـلي العلوي الحسني المعروف بالأمير السيد[٤] ، وكان فقيهاً حنفياً ، وولي التدريس بجـامع السلطان[٥] ، وتوفي ابن المرتضى في ليلة الجمعة لثاني عشرة خلت من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة[٦] ودفن من الغد بمقابر قريش[٧] .

ومن آهم التجديدات التي طرأت على المشهد الكاظمي في الوقت الحاضر تبليط الصحن الشريف بالبلاط (المرمر) ووضع ثلاثة أبواب للحرم الشريف من الذهب والمطعّمة بالاحجار الكريمة ، وتتحلى بزخارف بديعة ,وقد نصبت هذه الابواب في اواخر سنة ١٩٦٤ .

---

١ ـــ غاية الاختصار ص ٥٤ ـ ٥٥ .

مبـــارك :

٢ ـــ المرجع السابق : ص ٥٥ .

٣ ـــ ابن عنبة : ص ٢٠٥ .

٤ ـــ الدكتور مصطفى جواد واحمد سوسه : دليل خارطة بغداد ص ١٠١ .

٥ ـــ جامع السلطان : شيد في عهد السيطرة السلجوقية على العراق ، بدا بانشائه ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، وقد اتم عمارته بهروز الخادم في سنة ٥٢٤ هـ ، ويعتقد ان مكانه في محلة العيواضية الحالية .

٦ ـــ ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٨ .

٧ ـــ ابن النجار ، تاريخ بغداد : مخطوط دار الكتب الوطنية بباريس الورقة ٣٧ نقلاً من دليل خارطة بغداد ص ١٠٤ .

مشهد الرضا

من اشهر مـــدن ايران الكبيرة ، واهميتها الكبيرة تعود الى قدسيتها ، بوجود مشهد الامام علي الرضا (ع) فيها .

ومدينة مشهد هي وارثة مدينـــة طوس القديمة ، وقد يخلط بعض الباحثين بين مدينة طوس ومدينة مشهد الامام علي الرضا (ع) في حين ان اطلال مدينة طوس القديمة تبعد زهاء ١٢ ميلاً من (مشهد) الحالية .

ومدينة مشهد الرضا اليوم هي عاصمة المقاطعة الايرانية خراسان ومن الأماكن المقدسة عنـــد الشيعة الامامية وهذه المدينة ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقـــدار (٣٠٠٠) قدم ، وعلى خط طول ٥٩° ٣٥ شرقي غرينتش وعلى خط عرض ١٦° ١٧َ شمالاً .

ويمر بمدينة طوس نهر كشف رود الذي يأتي الى المدينة من بعد (١٢ ميلاً) من جهتها الشمالية الغربية والمعروفة باطلال طوس في البحيرة الصغيرة جشمه جيلاس ، ويتصل بـ (حره) « اوهاري رود » حوالي ١٠٠ ميل جنوب شرقي مشهد على الحدود الروسية الايرانية وتقع مشهد على مقربة ٤

أميـــال جنوب نهر كشف رود وترتفع التلال التي تمتد على طول الوادي ٨٠٠٠ — ٩٠٠٠ قدم من مشهد .

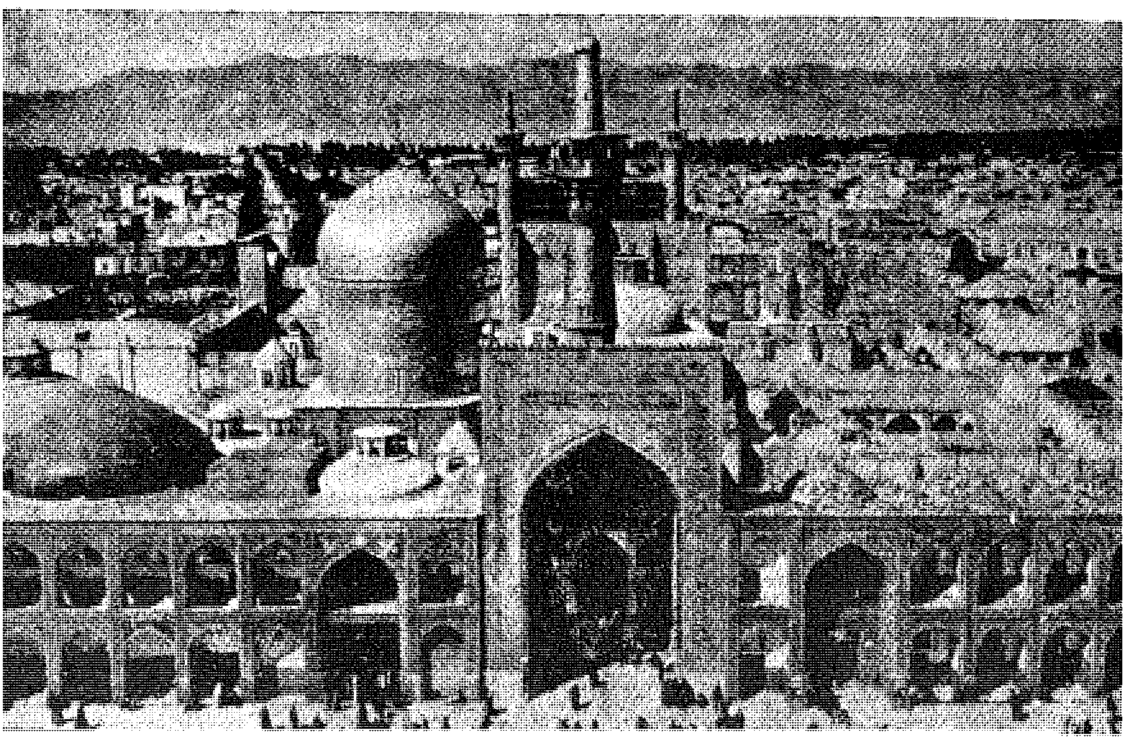
ولقربها من الجبال وارتفاعها فان مناخ مدينة مشهد يكون قارساً جداً في الشتاء ، وفي الصيف على الاغلب حار حرارة المنطقة الاستوائية كما انها تعتبر مدينة صحية .

وتتكون طوس من مدينتين همـــا : — الطابران ، وهي كبيرة وعليها حصن[١] ،ونوقان، وهي على ما يبدو أصغر من الطابران، وان اهلها اشتهروا بنحت القدور البرام[٢] ، كما انهم جياد ، الا ان ماءهم قليل[٣] .

فتح المسلمون مدينة طوس سنة احدى وثلاثين للهجرة ، بقيادة عبدالله ابن عامر[٤] ، ويذكر البلاذري : وأتى كنازنك مرزبان طوس، ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة ألف درهم[٥] .

١ — المقدسي : احسن التقاسيم ص ٣٦٩ .
٢ — مراصد الاطلاع : ج ٣ ص ١٣٩٦ .
٣ — المقدسي : ص ٣٦٩ .
٤ - ابن الاثير : حوادث سنة ٨٣١ .
٥ — البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٢ .

صورة عامة لمدينة مشهد ويبدو الجانب الكبير من حرم الامام الرضا في المقدمة



وعلى مقربة من طوس كانت تقوم قرية سناباذ ، وفيها دفن الرشيد الخليفة العباسي الذي توفي سنة ١٦٣ هـ / ٨٠٩ م ، وفي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م توفي الامام علي الرضا ودفن الى جنب قبر الرشيد .

وقد هاجم المغول مدينة طوس سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠ م وخربوها ، وظل قبر الامام علي الرضا موضع عناية المسلمين ، وصاروا يبنون بيوتهم وشيدوا اسواقهم حول المشهد الرضوي ، وظلت آثار مدينة طوس القديمة على بعد ١٢ ميلاً من ناحية الشمال ، وقد زار ابن بطوطه الرحالة مشهد الرضا ووصفه وقال : — مدينة كبيرة ضخمة عامرة الاسواق وحولها جبال ، والمشهد الكريم قبة عظيمة ، وتجاوره مدرسة ، وهذه الابنية قد زوقت جدرانها بالقاشاني وعلى قبر الامام دكانة خشب ، ملبسة بصفائح الفضة وعلى بابها ستر حرير مذهب وهي مبسوطة بانواع البسط[1].



من بقايا خرائب مدينة طوس التأريخية

تذكر بعض المراجع ، ان طوس سميت بهذا الاسم نسبة لبانيها طوس ابن نوزر امير الجيش القاري في عهد امبراطور الفرس كيخسرو ، وكانت قبل

١ — ابن بطوطة : ج ٢ ص ٢٥١ .

الاسلام ولاية يحكمها مرزبان[١] وفي المدينة بيت للنـــار المقدسة عند الفرس القدماء[٢] .

يعتبر مشهد الامام الرضا (ع) من أهم الاماكن المقدسة في ايران وله مكانة كبيرة في نفوس المسلمين عامة والشيعة بشكل خـاص ، وكان المأمون قد شيد على قبر هرون الرشيد قبة عرفت بالقبة الهارونية ، ثم دفن فيها الامام الرضا (ع) وهدم هذه القبة سبكتكين ، والد محمود الغزنوي ، وكان قد ملك مدينة غزنة سنة ٣٦٦هـ ، وكان في الأصل من غلمان ابن اسحق بن البتكين[٣] ، وعمّرها بعد ذلك سوري بن معتز بن مسعود بأمر السلطان محمود بن سبكتكين ثم تهدمت بغزوات قامت بها بعض القبائل التركية ، ثم عمّرها شرف الدين



أثر من الحيطان المتبقية من مدينة طوس

١ - كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ١٢٧ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - ابن الاثير : ج ٧ ص ٨٥ - ٨٦ .

وجيه الملك ابو طاهر القمي في عهد سنجر السلجوقي ، ثم تهدمت مرة اخرى اثر الغارات التي قام بها جنكيز خان ، وعمّرت في عهد خدا بنده ، ثم عمرها الصفويون ، وكان طهماسب قد كسا القبة بالذهب وكذلك المنارة في أعلى الحرم وبقيت حتى سنة (١٩١٢ م) فخرب جزء منها بهجوم الروس ثم اتم ترميمها الوالي نيّر الدولة سنة ١٩١٣م .

لقد زين الحرم الشريف بالفسيفساء وعلقت فيه نفائس القناديل والمصابيح .

ويتكون المشهد الرضوي من صحنين : الصحن القديم والصحن الجديد ، والصحن القديم يقع الى الجهة الخلفية من موضع الرأس ، طوله ٨٦ ذراعاً وعرضه ٦٠ ذراعاً ، وقد عمر نصف الصحن الشمالي الشاه عباس الصفوي ، امـــا النصف الجنوبي فمن اعمال الامير شير علي ، وقد زين الصحن بالقاشاني الملون الشاه عباس الثاني الصفوي ، ويتصل الصحن بالحرم الشريف بايوان يعرف بالايوان العباسي ، نسبة للشاه عباس الصفوي ، وكان الشاه نادر شاه قد كسا واجهته بالذهب وشيد المنارة التي على الايوان ، وفي وسط الصحن قبة ذهبية وفي داخلها حوض مسدس الشكل من الرخام كان قد اعد لشرب الماء ، وكان نادر شاه قد أمر ببناء القبة والحوض ، ويحمل الماء الى الحوض من مكان خارج المدينة يعرف بحوض بابا قدرت[1] .

اما الصحن الجديد فيقع عند وجهة اقدام المرقد بنـــاه الشاه علي القاجاري ، وطول الصحن ٧٢ ذراعاً وعرضه ٤٩ ذراعاً ، وفيه ايوان يتصل بالحرم الشريف ذهبّه عضد الملك ، متولي الحرم بأمر الملك ناصر الدين شاه القاجاري .

ويبدو ان تزيـين الحرم كان في المائة السادسة والسابعة فقد ظهرت على جدران الحرم الشريف تواريخ مؤرخه كذا (وخمسمائة للهجرة) في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وستمائة .

---

١ ــ محمد مهدي العلوي : المشهد الرضوي ص ١٨ .

وتوجد كتابة على محيط القبة نفسها : « من ميامن منن الله سبحانه الذي زين السماء بزينة الكواكب ورصع هذه القباب العلى بدرر الدراري الثواقب ، أن استسعد السلطان الاعدل الاعظم والخاقان الافخم الاكرم مشرف ملوك الارض حسباً ونسباً ، واكرم خلقاً وادباً ، مروّج مذهب اجداده المعصومين ، محي مراسيم آبائه الطيبين الطاهرين ، السلطان بن السلطان شاه سليمان الموسوي الصفوي بهادرخان بتذهيب هذه القبة العرشية الملكوتية وتزيينها وتشرف بتجديدها وتحسينها ، اذ تطرق اليها الانكسار وسقطت لبناتها الذهبية التي كانت تشرق كالشمس في رابعة النهار بسبب حدوث الزلزلة العظيمة في هذه البلاد الطيبة الكريمة في سنة اربع وثمانين والف وكان هذاالتجديد في سنة ست وثمانين والف ، كتبه محمد رضا الامامي » .

اما الكتابة على القبة الصغيرة فنصها : — « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عظائم توفيقات الله سبحانه ان وفق السلطان الاعظم مولى ملوك العرب والعجم صاحب النسب الطاهر النبوي ، والحسب الباهر العلوي ، تراب اقدام خدام هذه الروضة المنورة الملكوتية مروّج آثار اجداده المعصومين السلطان بن السلطان ابو المظفر شاه عباس الموسوي الصفوي بهادرخان ، فاستسعد بالمجيء ماشياً على قدميه من دار السلطنة اصفهان الى زيارة هذا الحرم الشريف وقد شرف بزينة هذه القبة من خالص



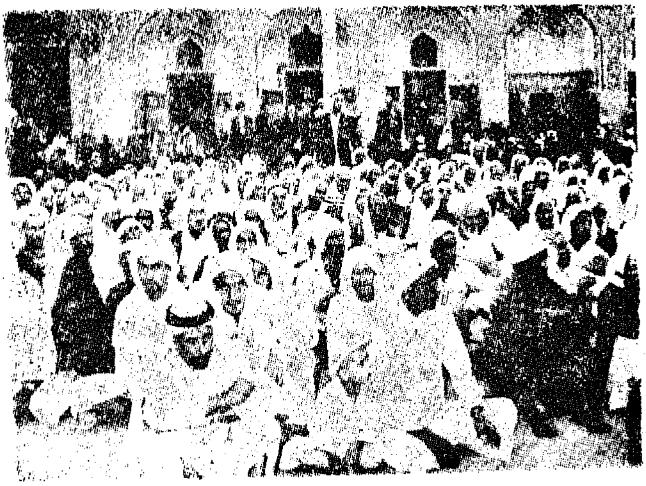
الصخرة التأريخية لقبر الامام الرضا يرجع تأريخها الى يوم دفنه بمشهد

ماله في سنة الف وعشرة ثم في سنةالف وست عشرة . »

ويقوم بزيارة مشهد الامام الرضاعدد كبير من المسلمين خاصة من طائفة الشيعة .

وهناك اصطلاح سائد في الاوساط الشعبية ان يطلق لفظ (زاير) على كل فرد قام بزيارة المراقد المقدسة[١] .

ومن الجدير بالذكر ان مشهد الامام الرضا يحتوي على مكتبة تعتبر من اضخم المكتبات الاسلامية لما تضم من نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وللمكتبة فهرس مطبوع .



الزوار العرب في صحن الامام الرضا (بمشهد) يستمعون الوعظ

المراجع : —

١ — دائرة المعارف الاسلامية .

٢ — العلوي: محمد مهدي : تاريخ مدينة طوس ، المشهد الرضوي .

٣ — احمدعبدالقادراليوسف: الامام علي الرضا .

٤ — ابن الاثير : الكامل في التاريخ .

٥ — المقدسي : احسن التقاسيم .

٦ — مراصد الاطلاع .

٧ — معجم البلدان .

١ ـ واصطلاح الزائر اكثر ما هو معروف في جنوب العراق وفي لواء العمارة من العراق ويقابل هذا الاصطلاح عند بعض الايرانيين كلمة (مشهدي) يطلقها البعض على من يزور مشهد الرضا .

سامراء

تقع سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، في منتصف الطريق بين بغداد وتكريت وتعتبر هذه البقعة ضمن الاراضي المتموجة التي تكون جزءاً من اقسام اراضي العراق .

وقد بـــدأ بتشييد سامراء الاسلامية المعتصم العباسي سنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٦ م واخذت في التوسع ايام ولده الواثق كما بلغت غاية ارتقائها العمراني زمن المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) ٨٤٧ — ٨٦١ م وشيدت المدينة بين قرية كرخ فيروز او كرخ باجدّا في شمالها وقرية مطيرة في جنوبها .

ومن الثابت تاريخياً اليوم ان سامراء كانت من قبل مركزاً لحضارة عراقية موغـلة في القدم وقد يعود تاريخها الى العصر الهلينستي وخاصة العهد البارتي منه ، وقد عثر في منطقة وادي الثرثار في حصيان (وابو الطبول) على كسر من الفخار يرجع تاريخها الى ١٠٠ قبل الميلاد [١] .

---

١ = مجلة سومر : رسالة من الاستاذ يونك A. J. Young المجلد التاسع عشر ص ١٩٥ = ١٩٧

كما دلت التنقيبات التي اجراهـا الاستاذ الدكتور هرزفلد في موسم (١٩٣٠ – ١٩٣١) ان الآثار التي عثر عليها في طيات القبور يعود تاريخها الى العصور الحجرية المتأخرة والحديثة ، وقد عرف الدهر الذي تعود اليه مقبرة سامراء بعصر (حلف) ٥٠٠٠ – ٤٥٠٠ ق.م وهذا العصر الذي يلي العصر الحجري الحديث والذي تمتـاز آثاره بزخرفة الاواني المفخورة وبرقي اشكالها وتعدد الوانها[١] .

وتقوم مديرية الآثار العامة العراقية في هذا الوقت بتنقيبات واسعة في منطقة تل الصوان في جنوب سامراء ، وقد اعلمني المختصون القائمون في التنقيب ان المنطقة ستعطي معلومات قيمة لصفحات من تاريخ العراق القديم يعود تاريخها الى حوالي ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

ويعتقد حمد الله المستوفي ان مدينة سامراء انشأها في الاصل سابور الثاني ذو الاكتاف (٣٠٩ – ٣٧٩ م) ، كما ذكر بعض الباحثين ان اصل اسم سامراء فارسي ، وقالوا في اشتقاقه « سام – راه » ، ساعي – أمرّا ، وسا – مرّا وتعنى الكلمتان الاخيرتان موضعاً عليه الخراج ، ومن الجدير بالذكر ان كلمة سامراء كتبت – سُرّ من رأى – على السكة التي كان يضربها الحكام العباسيون .

اما سبب بناء هذه المدينة على عهد المعتصم ، فان اليعقوبي خير من يوضح ذلك بقوله : – « كان سرمن رأى في متقدم الايام صحراء من اراضي الطيرهان لا عمارة بها وكان بها دير للنصارى بالموضع الذي صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة وصار الدير بيت المال ، فلما قدم المعتصم بغداد عند منصرفه من طرسوس في السنة التي بويع له بالخلافة وهي سنة ثماني عشرة ومائتين ، نزل دار المأمون ثم بنى داراً في الجانب الشرقي من بغداد وانتقل اليها واقام بها سنة ثماني عشرة ، وتسع عشرة ،

١ ـ احمد سوسه : ري سامراء ص ٥٣ .

وعشرين واحدى وعشرين ومائتين ، وكان معـــه خلق من الاتراك وهم يومئذ عجم ، أعلمني جعفر الُخشّكيُّ قال : كان المعتصم يوجهّ بي في ايام المأمون الى سمرقند الى نوح بن أسد في شراء الاتراك ، فكنت اقدم عليه في كل سنة منهم بجماعة ، فاجتمع له في ايام المأمون منهم زهاء ثلاثة الآف غلام ، فلما أفضت اليه الخلافة ألحّ في طلبهم واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس ، كان ممن أُشْتُرِيَ ببغداد جمـاعةٌ جمّةٌ منهم اشناس وكان مملوكاً لنعيم بن خازم ابي هرون بن نعيم ، وايتاخ كان مـــلوكاً لسّلام بن الأبرش ووصيف كان زراداً مملوكاً لآل النعمان ، وسيما الدمشقي وكان مملوكاً لذي الرئآستين الفضل بن سهل وكان اولئك الأتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالاً فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدراً لا يعدون على من فعل ذلك ، فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد فخرج الى الشماسية وهو الموضع الذي كان المأمون يخرج اليه فيقيم به الايام والشهور ، فعزم ان يبني بالشماسية خارج بغداد ، مدينة فضاقت عليه ارض ذلك الموضع وكره ايضاً قربها من بغداد ، فمضى الى البَرَدان (١) بمشورة الفضل بن مروان ، وهو يومئذ وزير وذلك في سنة احدى وعشرين ومائتين ، وأقام بالـبَرَدان اياماً واحضر المهندسين ، ثم لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له باحمشا (٢) من الجانب الشرقي من دجلة ، فقدر هناك مدينة على دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً

---

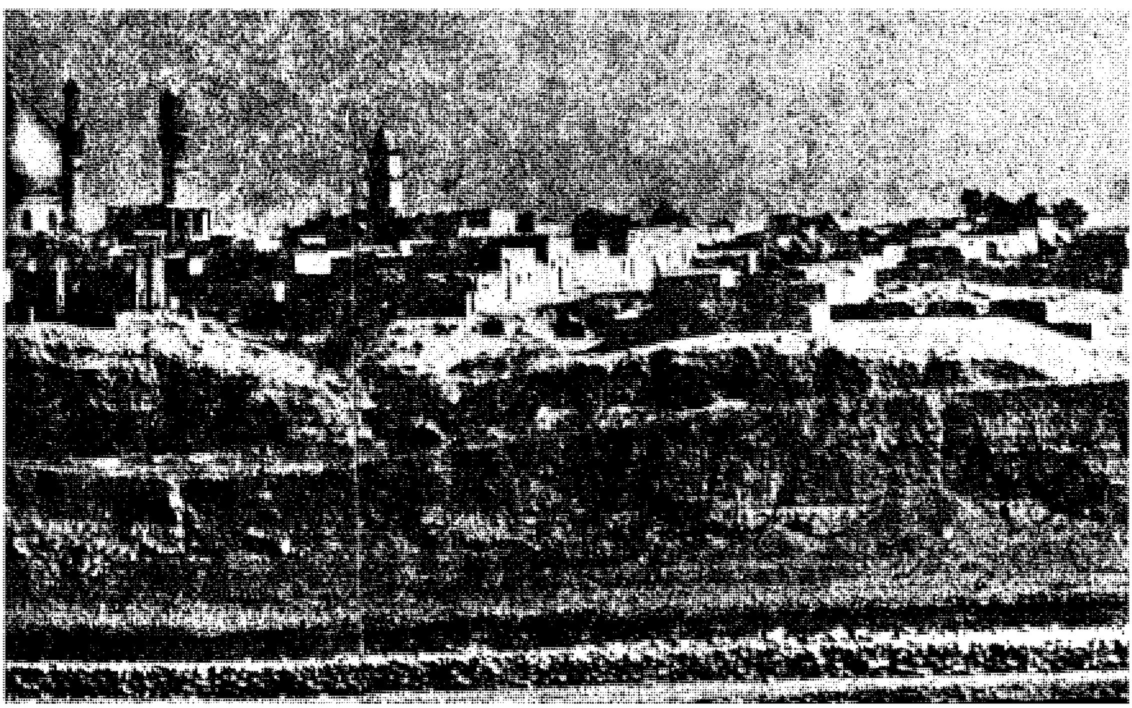
١ ـ الـبَرَدان : قرية فوق بغداد من نواحي دجيل (مراصد الاطلاع ج ١ ص١٧٩)

٢ ـ باحمشا : بسكون الميم والشين معجمة . قرية بين اوانا والحظيرة،وكانت بها وقعة للمطلب في ايام الرشيد ، وهو المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي، ينتسب اليها من المتأخرين احمد بن علي الضرير المقري الباحمشي ـ معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٨ ـ وقال عنها صاحب مراصد الاطلاع : بسكون الميم : قرية بين اوانا والحظيرة على دجلة القديمة .

فلم يجده ، فنفذ الى القرية المعروفة بالمطيرة ، فاقام بها مدة ، ثم صعد الى القاطول فقال : هــذا اصلح المواضع ، فصيّر النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول ، فابتدأ البنــاء واقطع القواد والكتاب والناس فبنوا ، الى ان يقول : ثم ركب متصيداً فمر في مسيره حتى صار الى موضع سرمن رأى وهي صحراء من ارض الطيرهان ، لا عمارة بها ولا أنيس فيها إلا دير النصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من الرهبان وقال :

ما اسم هذا الموضع ؟ فقال له بعض الرهبان : نجدُ في كتبنــا المتقدمة ان هذا الموضع يسمى سُرّمن رأى ، الى ان يقول : — ثم عزم المعتصم على ان ينزل بذلك الموضع فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وابن ابي دُؤاد وعمر بن فرج واحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير وقال

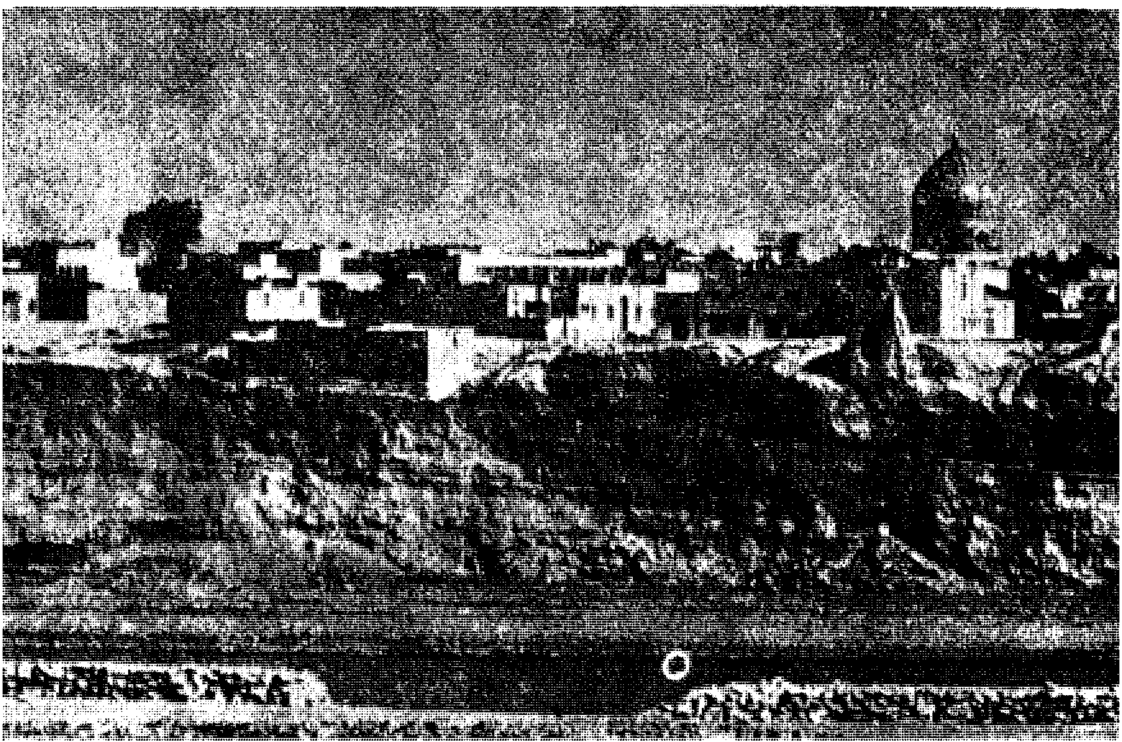
مدينة سامراء العامة



لهم : اشتروا من اصحاب هذا الدير هذه الارض ، وادفعوا اليهم ثمنها اربعة آلاف دينار ، ففعلوا ذلك ، ثم احضر المهندسين فقال اختاروا أصلح هذه المواضع ، فاختاروا عدة مواضع للقصور وصيّر الى كل رجل من اصحابه بناء قصر ، فصيّر الى خاقان عرطوج ابن الفتح ابن خاقان بناء الجوسق الخاقاني والى عمر بن فرج بنـاء القصر المعروف بالعُمرَى والى ابي الوزير بناء القصر المعروف، بالوزيري ، ثم خط القطائـع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع

ويبدو ان المعتصم اختار سامراء لميزاتها المتعددة ، ذلك ان موقعهاالحسن الحيوي ، فالمياه التي تحيط بالمدينة تتكون بمثابة سور دفاعي لها ، كما ان ارتفاع اراضي المدينة عن وادي النهر امر مهم ، فان ذلك الارتفاع ادى الى وقاية المدينة من الفيضان ، كما ان المدينة حسنة الهواء خصبة التربة ، كما ان

١ ـ اليعقوبي : البلدان ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ طبعة مكتبة المثنى .



موقعها اكثر صلاحية للدفاع والمقاومة من بغداد من الناحية العسكرية .

لقد شيد المعتصم قصره المعروف بالجوسق وشيد هرون الواثـــق قصره المعروف بالهاروني نسبة اليه ، اما المتوكل فقد اقام اول الامر في الهاروني ، ثم شيد عدة قصور ، ويذكر المؤرخون انه وسع وشيد اربعة وعشرين قصراً من اشهرها قصر بلكواري، والعروس،والمختار،والوحيد ، وكان يخطط قبل موته بتسعة اشهر مدينة جديدة الى الشمال فيما بين كرخ فيروز والدور ، وكانت هـــذه المدينة تسمى بالجعفرية نسبة اليه ، وكان المعتمد آخر حاكم عباسي اقام في سامراء وقد شيد قصره المعروف « المعشوق » على الضفـــة الغربية من نهر دجلة وذلك سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٨ م .

ومن اهم شوارع مدينة سامراء شارع الخليج وشارع السريحة وفي شارع الخليج قطائـع المغاربة (١) ، وشارع السريحة الذي عرف بالشارع الاعظم ، وكان يمتـد زمن المعتصم (١٩) كيلومتراً وكان يمر بدار الشرطة والسجن (٢) ، ويؤدي الى الحي الذي سمي باسم الوزير الحسن بن سهل ، وفي الشارع الاعظم قطائـع قواد خراسان منها قطيعة هاشم بن باينجور وقطيعة عجين بن عنبسة وقطيعة الحسن بن علي المـــأمون وقطيعة هرون بن نعيم وقطيعة حزام بن غالب (٣) .

وهناك شارع ابي احمد بن الرشيد الذي يؤدي الى قرية الايتاخية القائمة على قناة الكسروي ، وقد سميت اول الامر بالايتاخية نسبة الى احد زعماء الاتراك المدعو ايتاخ ثم اطلق عليـــها فيما بعد اسم المحمدية ، وثمة شوارع اخرى مثل شارع الحير الاول وشارع برغمش التركي .

---

١ ـ اليعقوبي : البلدان ص٣٦٣ طبعة مكتبة المثنى .

٢ ـ اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٩ .

٣ ـ اليعقوبي : البلدان ص ٣٦٠ .

وكانت سامراء تعرف بالعسكر ايضاً ، لان المعتصم لما بناها انتقل اليهـا بعسكره فقيل لها العسكر ، ولهذا اطلق على الامام ابي الحسن علي الهادي (ع) بالعسكري . لانه منسوب الى سامراء [١] ، وكان الامام علي الهادي (ع) يسكن المدينة ولكن السعاة وشوابه عند المتوكل فاحضره من المدينة وأقره بسرمن رأى واقام بهـا عشرين سنة وتسعة اشهر ، وتوفي بها يوم الاثنـين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين ومائتين للهجرة ودفن في داره .

وورث الامامة ولده الحسن الذي عرف بالعسكري ايضاً وتوفي في سامراء سنة ستين ومائتين للهجرة ، وبها ولد المهدي الامام الثاني عشر المنتظر .

ومنذ ان استوطن الامام العاشر علي الهادي (ع) مدينة سامراء اضحت هذه المدينة مركزاً مهماً لمراكز الفقه والاجتهاد والفتيا ، كما اصبحت بلا ريب مقصداً للشيعة الامامية ، وبعد وفاة الأئمة ودفنهم فيها اخذت شكل المدينة المقدسة الاخرى التي ضمت رفـات الأئمة الاثني عشر ، وانتقل اليها بعض علماء الشيعة الذين اصبحت لهم زوايا ومدارس ، كما بذل المسلمون عناية فائقة في اقـامة المشاهد الفخمة على قبر الامامين علي الهادي والحسن العسكري « عليهما السلام »، ومن الجدير بالذكر ان الخليفة الناصر لدين الله العباسي احمد بن الحسن امر بصنع باب من خشب الساج ــ لارضـاء الشيعة الامامية ــ مزخرف بأجمل الزخارف الاسلامية وعليه كتابة بديعة تدل على دقة عظيمة في صنعة النجارة ودقة متناهية في الذوق الفني وهذا نص الكتابة : ــ

« بسم الله الرحمن الرحيم، قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ، ان الله غفور شكور .

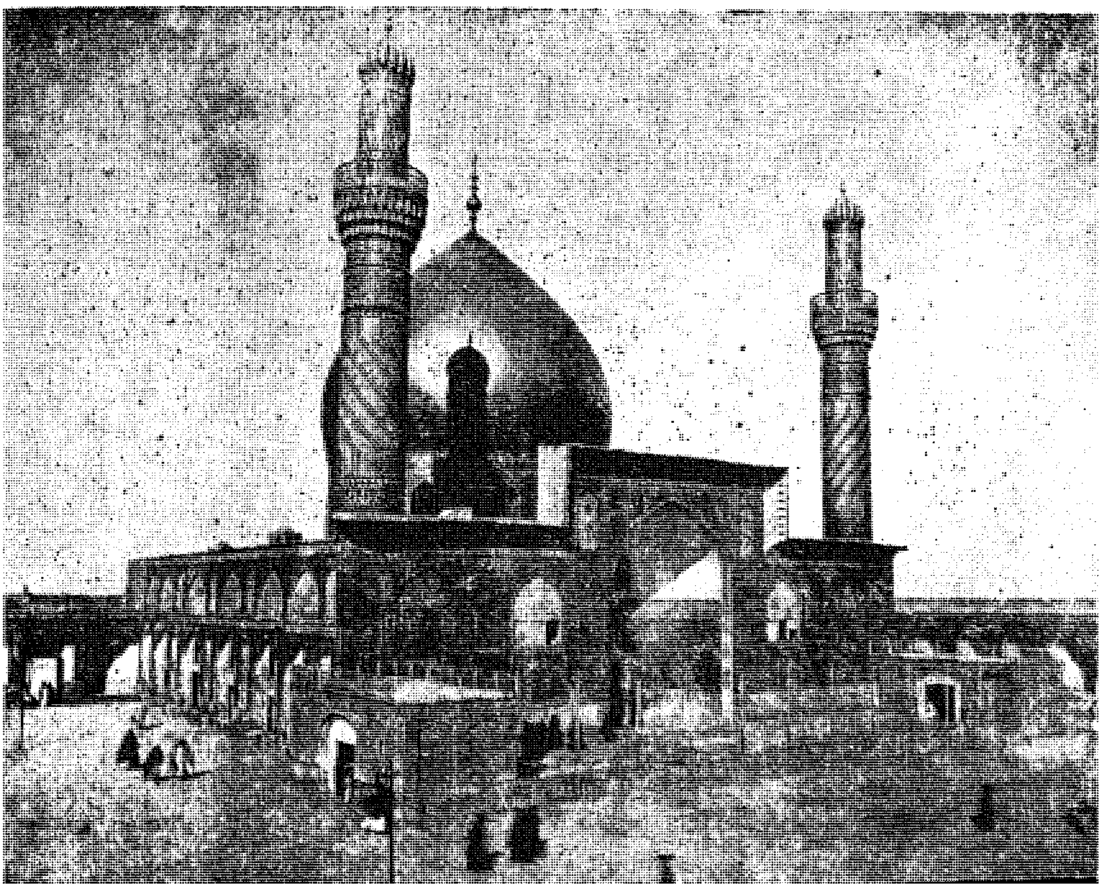
هذا ما امر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفرض الطاعة على جميع الانام

---

١ ــ ابن طولون : الائمة الاثنا عشر ص ١٠٨ .

ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين الذي طبق البلاد احسانة وعدله ، وغمر العباد بره وفضله ، قرب الله اوامره الشريفة باستمرار النجح واليسر ، وناطها بالتأييد والنصر ، وجعل لايامه المخلدة جداً، لا يكبو جواده، ولآرائه الممجدة سعداً، لا يخبو زناده، في عز تخضع له الاقدار فتطيعه عواصيها وملك تخشع له الملوك فتملكه نواصيها بتولي المملوك معد بن الحسين الموسوي ، الذي يرجو الحياة في ايامه المخلدة ويتمنى انفاق بقية عمره في الدعاء لدولته المؤيدة استجاب الله ادعيته وبلغه في ايامه الشريفة أمنيته ، ذلك في ربيع الثاني من سنة ست وستمائة هلالية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليما »

الروضة العسكرية من الجانب الامامي بسامراء



مجمل
سير الائمة الاثنى عشر

كتبه

جواد شبر

عضو جمعية المنتدى والاستاذ بمدرستها سابقاً
واحد خطباء الدرجة الأولى
للمنابر الحسينية

مدخل الموسوعة (١٠)

سير الائمة الاثني عشر

بعض من الف الكتب في الائمة الاثني عشر

ليس هناك سيرة تناولها الكتاب والمؤرخون بمختلف نواحيها وصورها كسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله والأئمة الاثني عشر من بعده ، فلقد الف العدد الكبير من الكتب عن سيرة كل واحد،وتناولوا جوانب متعددة لشخصيته منذ القرون الهجرية الاولى حتى اليوم ولم يزالوا يعرضون لهذه السير ويستخرجون منها اشياء جديدة بالنظر لاتساع دائرة تراجمهم وكونها معينا لا ينضب من الحكمة،والفلسفة،والادب،والخلق الرفيع، وكان عدد الكتب والتراجم التي خص بها النبي في كتب السير والتراجم القديمة والحديثة وخص بها الامام علي بن ابي طالب(ع)وخص بها ابو عبد الله الحسين(ع)والامام الصادق (ع)تفوق الحصر،ولم يقتصر تأليف هذه الكتب على المسلمين وحدهم وانما اسهم فيها عدد من غير المسلمين ، ومن غير العرب ولا سيما المسيحيين في العصور المتقدمة والعصور المتــأخرة ، اما الذين خصوا فصولاً مستقلة من كتبهم بالنبي او باحد الأئمة او اكثر الأئمة الاثني عشر فهم اكثر واكثر من غيرهم

واننا نورد هنـــا اهم هذه الكتب التي تناولت تراجم جميع الأئمة الاثني عشر او اغلبهم باقلام غير شيعية ونشير الى اسماء مؤلفيها على ما استخرجناه من كتب التراجم (١) .

الارشاد — للمفيد محمد بن محمد النعمان .

اعلام الورى — للطبرسي .

اعيان الشيعة — للسيد محسن الامين العاملي .

كتاب الآل — لابن خالويه .

البحار — للمجلسي .

تأريخ الائمة الاثني عشر — لشمس الدين محمد بن طولون .

مواليد اهل البيت — لابن الخشاب .

تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة — لسبط ابن الجوزي الحنفي .

حلية الاولياء — للحافظ ابي نعيم .

الخرائج والجرائح — لقطب الدين سعيد ابن هبة الله الراوندي .

الدلائل — لعبد الله بن جعفر الحميري .

الذرية الطاهرة — لابي بشر محمد بن احمد الانصاري الدولابي .

صفوة الصفوة — للشيخ جمال الدين ابن الجوزي .

الفصول المهمة — لابن الصباغ المالكي .

كشف الغمّة — لعلي بن عيسى .

المجالس السنية — للسيد محسن الامين .

مطالب السؤول — لمحمد بن طلحة الشافعي .

معالم العترة النبوية — للحافظ الجنابذي البغدادي الحنبلي .

---

١ - اعتمدنا في هذه الخلاصة على كتاب -اعيان الشيعة ، وكشف الظنون ، ووفيات الاعيان والكنى والالقاب ، واعلام الزركلي .

مقاتل الطالبيين — لابي الفرج الاصفهاني .
المناقب — لابن شهر آشوب .
المناقب — لابي بكر الخوارزمي .
المناقب — لابي المؤيد .

اما الذين خصوا بعض الأئمة الاثني عشر بتواليفهم وتناولوا جوانب خاصة من حياتهم في كتب مستقلة فان عددهم كبير جداً وليس الى احصائهم من سبيل ، كأبي الفرج الاصفهاني في كتاب (الاغاني) وكتاب (مقاتل الطالبيين) وكإبن ابي الحديد في شرح (نهج البلاغة) وغيرهما من مئات المتقدمين ومن المتأخرين ، كعباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية الامام) عن الامام علي وكتابه (ابو الشهداء) عن ابي عبد الله الحسين ، وكالشيخ عبد الله العلايلي في كتابه (سمو المعنى في سمو الذات ،) عن الامام الحسين ، وكفؤاد افرام البستاني في سلسلة (الروائع) عن نهج البلاغة ،وكعبد الفتاح عبد المقصود في كتابه (الامام علي) وكجورج جرداق في كتابه (الامام علي) وكل هؤلاء ومئات غيرهم من غير الشيعة ممن خصوا عدداً من الأئمة الاثني عشر بكتب خاصة بهم ، هـــذا بالاضافة الى آلاف الكتب - وليس في هذا شيء من المبـــالغة — من كتب التراجم ، والاعلام ، وكتب الادب ، والفلسفة ، والعلوم التي تطرقت ولم تزل تتطرق الى ذكر شيء كثير او قليل من سيرة حياة الأئمة الاثني عشر ، اذ لم تزل هذه السير معينا لا ينضب من المثل العليا في حياة الانسان الكامل [١] .

وستخص (موسوعة العتبات المقدسة) كل امام من الأئمة الاثني عشر

١ — للاطلاع الواسع على المئات من تصانيف الشيعة في الأئمة الاثني عشر والذي استدعـــانا الاجمال الى اغفال ذكرها هنا نرى وجوب مراجعة (الذريعة الى تصانيف الشيعة) لآغا بزرك و(اعيان الشيعة) للسيد محسن الامين .

ببحث واســـع وترجمة مسهبة ، ودراسة وافية ستأتي في الاجزاء الخــاصة بكل (عتبة) من العتبات .

اما هذا العرض لسيرة الأئمة ، هنا فليس غير مقدمة هدفنا منها الالمامة المجملة بسيرة الأئمة لتعقبها فيما بعد الاحاطة الواسعة ان شاء الله .

ج٠ خ

النبي محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وآله وسلم

ولادته

ولد النبي صلى الله عليه وآله في السابع من ربيع الاول وعليه اتفاق الشيعة الاثني عشرية ، كما ان المشهور عندهم انه ولد لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول والى هذا القول ذهب الشيخ محمد بن يعقوب الكليني في كتابه (اصول الكافي) وهناك من يرى رأي الامامية في ان مولده الشريف كان في السابع عشر من ربيع الاول بمكة المكرمة في الدار المعروفة بدار محمد بن يوسف الثقفي .

وجاء في كتاب السيرة النبوية كان يوم الجمعة وهو المشهور عند الشيعة وروى الطبري عن ابن اسحق انه كان يوم الاثنين عند طلوع الشمس وقبل الفجر ،وقيل عند الزوال،واتفق الرواة ان مولده كان في عام الفيل بعد خمسة وخمسين يوماً او خمسة واربعين يوماً او ثلاثين يوماً من هلاك اصحاب الفيل ٢٥ اغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية . ولاربعين سنة خلت من حكم كسرى انوشروان خسرو بن قباد بن فيروز .

وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن هرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب . ماتت وعمره ستة وستون يوماً ومات ابوه عبد الله في شبابه والنبي حمل في بطن امه، وقال الطبرسي في (اعلام الورى) ان

عبد الله مات وعمر النبي سنتان واربعة اشهر . وقال الكليني كان عمره يوم وفاة ابيه شهرين .

عاش مع جده عبد المطلب ثماني سنوات وبعد وفاة عبد المطلب كفله عمه ابو طالب شيخ البطحاء فكان يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه طول حياته ، وتزوج بخديجة بنت خويلد اولى زوجاته وعمره خمس وعشرون سنة ولم يتزوج غيرها حتى ماتت وبقي بعدها سنة بدون زوجة .

بعثته

وبعث بالنبوة في السابع والعشرين من رجب وله من العمر اربعون سنة .

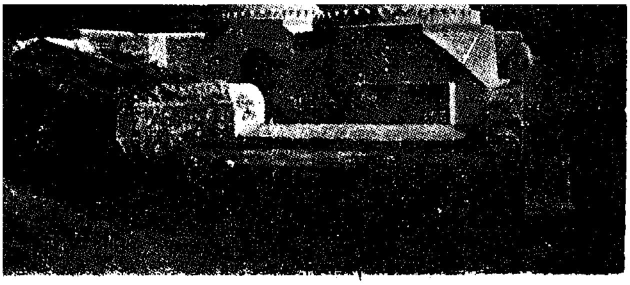
وتوفي ابو طالب وعمر النبي ستة واربعون سنة وثمانية اشهر واربعة وعشرون يوماً وقد عاش مع عمه هذا اثنين واربعين سنة منها سبع عشرة في بيته ولم يمكث بعد عمه في مكة غير ثلاث سنين . وجاء في كتاب (الاصابة) لابن حجر ج ٧ ص ١١٣ ان النبي خرج عند وفاة عمه ابي طالب واعترض النعش وقال برقة وحزن وكآبة :

« لقد وصلت رحماً،وجزيت خيراً يا عم،فلقد ربيت وكفلت صغيراً ، ونصرت وآزرت كبيراً » .

وتوفيت خديجة وابو طالب في عام واحد فسمى رسول الله ذلك العام : بعام الحزن،وهاجر الى المدينة في اول ليلة من ربيع الاول ودخلها في الثاني عشر منه بعد ان مكث في مكة المكرمة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة وبقي في المدينة المنورة عشر سنين ثم توفي .

صفاته

جاء في تاريخ ابن الاثير : قال علي بن ابي طالب : كان رسول الله ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس واللحية ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم



الكراديس ، مشرباً وجهه حمرة ، طويـــل المسربـــة ، اذا مشى تكافأ تكفـــأ كأنما ينحط من صبب ، لم ار قبله ولا بعده مثله ، وكان ادعج العينين سبط الشعر ، ذا وفرة كأن عنقه ابريق فضة ، اذا التفت التفت جميعا كأن العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه ، قال ابو عبيدة وغيره : شثن الكفين والقدمين يعني انهما الى الغلظ اقرب . وقوله ضخم الكراديس يعني الواح الاكتاف ، والمسربة هي مـــا بين السرة واللبة ، والصبب : الانحدار ، والدعج في العين : هو السوداء ، والسبط من الشعر : ضد الجعد .

قال أنس « كان رسول الله اشجع الناس واسمح الناس واحسن الناس ، وقع في المدينة فزع فركب فرساً عرياً فسبق الناس اليه فجعل يقول : ايها الناس لم تراعو لم تراعو . وقال علي بن ابي طالب : كنا اذا اشتد بنا اليأس اتقينا برسول الله ، فكان اقربنا الى العدو . وكفى بهذا شجاعة ، ان مثل علي الذي هو هو في شجاعته يقول مثل هذا — انتهى) . وجاء في مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٨ يسنده عن علي قال : كنا اذا احمرّ الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله فما يكون منا احد ادنى من القوم منه . ومما وصفه به احد الواصفين قال : من رآه بديهة هابه ، ومن خـالطه معرفة احبه ، وكان كثير الابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق ، فكان يقول في دعائه (اللهم حسن خلقي وخلقي ، ويقول اللهم جنـّبني منكرات الاخلاق) .

وروى مسلم في صحيحه بسنده الى حذيفة بن اليمان . قال : خرجت انا وابو حسيل فأخذنا كفـّـار قريش فقالوا : انكم تريدون محمـداً ، فقلنا : ما نريد الا المدينة ، فأخذوا عهـد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينـة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر فقال : (انصرفا اليهم بعهدهم ونستعين الله عليهم) .

وعن الحسين بن علي قال : سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله — وكان وصافاً يحسن ان يصـــف النبي فقال : كان رسول الله فخماً مفخماً اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر .

قال الحسن : وكتمتها زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه وسأله عما سألته عنه،فوجدته قد سأل اباه عن مدخل النبي ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين : سألت ابي عن مدخل رسول الله فقال : كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك فاذا آوى الى منزله جزّأ دخوله الى ثلاثة اجزاء : جزءاً لله ، وجزءاً لاهله، وجزءاً لنفسه ، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك بالخاصة الى العامة ولا يدخر عنهم منه شيئاً .

فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال : كان يخزن لسانه الا عما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويولّيه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان ينطوي عن احد بشره ولا خلقه ، ويتفقد اصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسّن الحسن ويقويه ، ويقبّح القبيح ويوهنه ، معتدل الامر غـير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا ، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه .


منظر منازل مكة وغار حراء الشهير بجبل النور


غار حراء مهبط الوحي الاول على النبي

قال وسألته عن مجلسه فقـــال : كان لا يجلس ولا يقـــوم الا على ذكر ، ولا يوطن الاماكن وينهي عن ايطانهـا، واذا جلس الى قوم جلس حتى ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب احد من جلسائه ان احداً اكرم عليه منه ، مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصدق وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ، متعادلين متواصلين فيـــه بالتقوى ، متواضعين يوقرون الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

فقلت فكيف كانت سيرته في جلسائه فقال : كان دائم البشر سهل الخلق، لـيّن الجانب و ليس بفظّ ولاغليظ ، ولا صخـّاب، ولا فحـّاش، ولا عيّاب و ولا مدّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، واذا تكلم اطرق جلساؤه ، واذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عند الحديث .

دعوته وغزواته

ودعا النبي الى الاسلام فلقي من قريش مــــا لقي من أذى ومضايقة واجاب دعوته نفر لقواهم الآخرون مــــا لقوا من تعذيب حتى اضطر الى الهجرة الى المدينة وهاجر معه من آمن به فسموا بالمهاجرين ، ونصره اهل المدينة وتفانوا في سبيل نصرته والايمان بدعوته فسموا بالانصار ، ووقعت بينه وبين قريش وبين الطوائف الاخرى واليهود معارك وغزوات كان لكل وقعة منها حكاية يطول شرحها ومن اهم هذه الغزوات والمعارك كانت :

غزوة بدر الكبرى ، وغزوة بني قينقاع ، وغزوة أُحد ، وغزوة بني النضير ، ودومة الجندل ، والخندق ، وبني قريظة ، وغزوة خيبر ، وفتح مكة ، وغيرها .

ولم تقتصر دعوة النبي على قريش والعرب وانما كتب الى عدد من الملوك والقياصرة كتباً يدعوهم فيها الى الاسلام ومن اشهر من كتب لهم : قيصر الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والمقوقس ملك القبط وغيرهم [١] .

مواهبه وملكاته

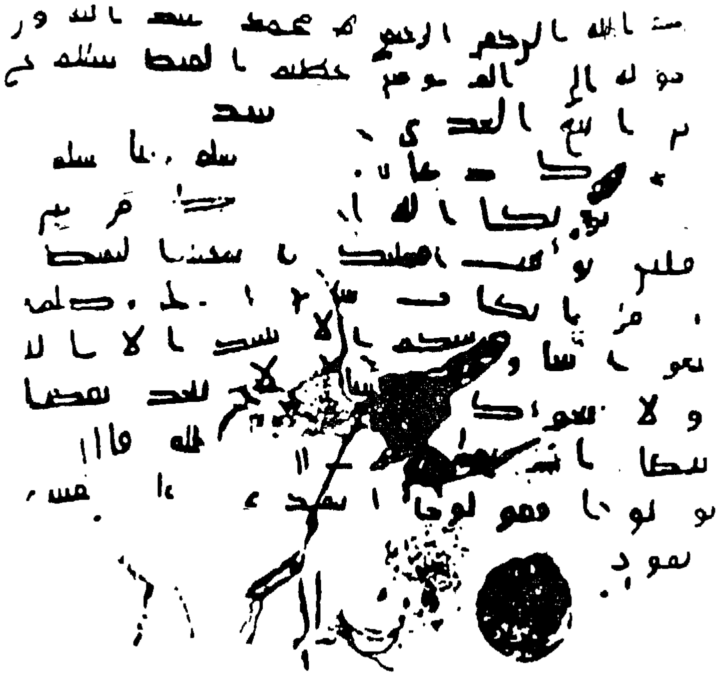
واما مواهبه وملكاته فقد جاء في (شفاء القاضي عياض) شرح الخفاجي

١ – في نص رسالة النبي (ص) الى المقوقس ملك القبط بمصر وفي عباراتها بعض الاختلاف فيما أورده المؤرخون ولكنها من حيث المعنى تكاد تكون واحدة ، وقد أوردها ابن طولون في (اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين) وبرهان الدين الشافعي في السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١ ، وجلال الدين السيوطي في (حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣) والقلقشندي في (صبح الأعشى ج ٨ ص ٣٧٨) والمقريزي في (المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٢٣) وعلى ما في العبارة من اختلاف فهذا اقرب النصوص المتفق عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فان توليت فعليك أثم القبط، ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . محمد رسول الله

أما الصورة المثبتة للكتاب هنا فقد نشرها جرجي زيدان في العدد الثاني من السنة الثالثة عشرة من مجلة الهلال على انها رسالة النبي وختمه ، وقال ان رجلاً فرنسياً قد اشترى طائفة من الكتب والرسائل القبطية وفي ضمنها هذه الرسالة من أحد اقباط كنيسة (أخميم) بمصر ثم اهداها الى السلطان عبد المجيد خان العثماني فأمر السلطان بحفظها بين الآثار النبوية .

أما التحقيق عن صحتها فلم يجر على ما نعرف للآن ، وقد اخذها الناس بنظر الاعتبار قبل ان يجري فيها أي تحقيق تأريخي ، ولقد استندنا في تعليقنا هذا على السيد مهدي ولائي في مقال نشر له في العدد الثامن من مجلة (نامه، استانه قدس) كما اعتمدنا هذه المجلة في نقل بعض الصور عنها .



صورة الكتاب التأريخي الذي عثر عليه مؤخراً والذي كتبه النبي الى المقوقس وعليه ختم النبي الشريف .

« واما وفور عقله وذكاء لبه ، وقوة حواسه ، وفصاحة لسانه ، واعتدال حركاته ، وحسن شمائله ، فلا مرية انه كان اعقل الناس وأذكاهم ، ومن تأمل تدبيره امور بواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسة العـامة والخاصة مع عجيب شمـائله وبديـع سيره ، فضلاً عما افاضه من العلم ، وقرره من الشرع دون تعلم سبق ، ولا ممارسة تقدمت ، ولا مطالعة للكتب منه ، لم يمتر في رجحان عقـله ، وثقوب فهمه لاول بديهتـه ، وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه » .

من حكمه واقواله

ايهـا الناس ، انتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريـع ، فقد رأيتم الليل والنهـار ، والشمس والقمر يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، فاعدوا الجهاد لبعد المفاوز ، المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه (ورواه البعض : المسلم من سلم .. الخ)

المجالس بالامانة ، البلاء موكل بالمنطق ، المرء حريص على مـا منع ، المستشار مؤتمن ، الحكمة ضالة المؤمن ، ثلاث من مكارم الاخلاق في الدنيا والآخرة : ان تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم على من جهلك .

ومن وصية له يوصي بها عليا (٤) :

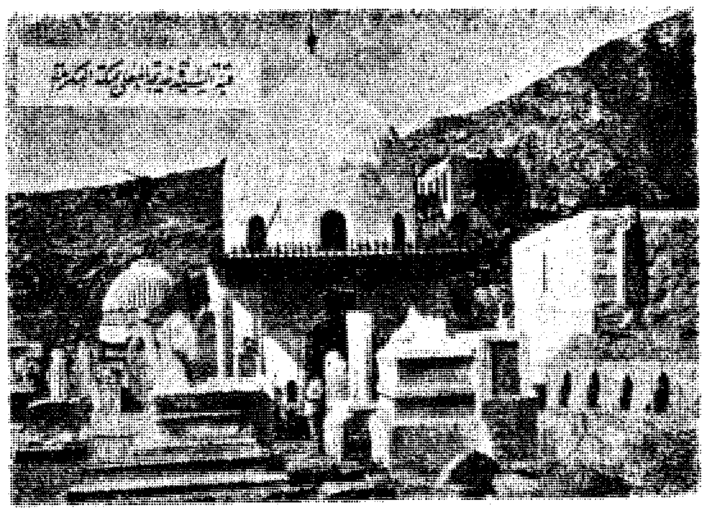
يا علي انه لافقر اشد من الجهل ، ولا مال اعود من العقل ، ولا وحدة اوحش من العجب ، ولا مظاهرة احسن من مشاورة ، ولا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ، ولا عبادة كالتفكر .

يا علي : آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان ، وآفة العبادة الفترة، وآفة السماحة المنّ ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة الجمال الخيلاء .

زوجاته :

تزوج خمس عشرة امرأة ، ودخل بثلاث عشرة منهن ، وتوفي عن تسع اولاهن السيدة :

١ ـ خديجة بنت خويلد وهي اول امرأة أسلمت واول من بنى بيتاً في الاسلام بتزوجها برسول الله وكان يذكرها دائماً ويمدحها ويقول آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحرمت من غيرها



٢ ـ سودة بنت زمعة ، وكانت تحت ابن عمها ، ثم قدما مكة فمات بها ولم يعقب ، فتزوجها رسول الله .

٣ ـ عائشة بنت ابي بكر ، وتزوجها على رأس ثمانية اشهر من الهجرة ولم يتزوج بكراً غيرها وماتت وقد قاربت سبعاً وستين سنة في شهر رمضان

سنة ثمان وخمسين في ولاية مروان بن الحكم على المدينة وذلك في خلافة معاوية

٤ ــ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وامها زينب اخت عثمان بن مظعون، وكانت اولاً تحت خنيس ابن حذافة فتوفي عنها بجراحة اصابته ببدر .

٥ ــ زينب بنت خزيمة كانت تدعى في الجاهلية ــ ام المساكين ــ لرأفتها واحسانها اليهم كانت قبله تحت الطفيل بن الحرث فطلقها فتزوجها اخوه عبيدة بن الحرث فقتل يوم بدر شهيداً فخطبها النبي فجعلت امرها اليه فتزوجها وذلك على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة فمكثت عنده ثلاثة اشهر ثم توفيت وصلى عليها رسول الله ودفنت بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة. ولم يمت من ازواجه في حياته الا هي وخديجة .

٦ ــ ام سلمة واسمها هند بنت ابي امية المخزومي المعروف بزاد الراكب وهو احد اجواد قريش وامها عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي وقبل ان يتزوجها رسول الله كانت تحت ابي سلمة بن عبد الاسد وكانت هي وزوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له هناك عمر ، وسلمة، وتزوج بها النبي في السنة الثانية من الهجرة بعد وقعة بدر وعاشت اربع وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وهي آخر من مات من زوجاته .

٧ ــ زينب بنت جحش ، وكان اسمها برّة فسماها زينب [1] وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ثم طلقها فلما انقضت عدتها تزوجها سنة اربع من الهجرة وهي بنت خمس وثلاثين سنة .

٨ ــ جويرية بنت الحرث من بني المصطلق ، سبيت في غزوة بني المصطلق فكان اسمها برّة فسماها رسول الله جويرية ، وكانت قبل رسول الله عند

---

١ ــ هي اول نسائه لحوقا به ماتت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة .

مصافع بن صفوان ، وتوفيت بالمدينة سنة ست وخمسين .

٩ ـ ريحانة بنت يزيد من بني النظير وقعت في سبي قريظة فخيرها بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فاعتقها الرسول وتزوجها سنة ست .

١٠ ـ ام حبيبة وهي ارملة بنت ابي سفيان بن حرب ، تزوجت من عبيد الله بن جحش قبل الاسلام ثم دخلا معاً في الاسلام وهاجرا معاً الى ارض الحبشة ومات عبيد الله في الحبشة فاعطاها النجاشي ملك الحبشة عشرة الاف درهم مهراً وبعث بها للنبي فتزوجها سنة سبع ، وماتت سنة اربع واربعين .

١١ ـ صفية بنت حي بن اخطب سيد بني النظير قتل مع بني النظير ، وكانت عند سلاّم بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن ابي الحقيق وقتل عنها يوم خيبر ولم تلد لاحد منها واصطفاها رسول الله لنفسه فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها .

١٢ ـ ميمونة بنت الحرث وكان اسمها برّة فسماها النبي ميمونة ، وهي اخت زوجة العباس بن عبد المطلب فهي خالة عبد الله بن العباس ، واختها اسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس وزينب بنت خزيمة ام المؤمنين لامها ، وماتت سنة احدى وخمسين على الاصح ، وبلغت ثمانين سنة وهي اخر زوجاته اللاتي تزوج بهن .

اولاده :

لم يولد للنبي غير سبعة اولاد على اصح الاقوال ثلاثة ذكور واربع بنات وكلهم من خديجة بنت خويلد الا ابراهيم فانه من مارية القبطية . وهم القاسم ، عبد الله ، زينب ، رقية ، ام كلثوم ، فاطمة (ع) وعد البعض منهم الطيب والطاهر وقيل بل انه عبد الله وقد لقب بالطيب الطاهر لولادته بعد الوحي ولد بمكة بعد الاسلام ومات بها .

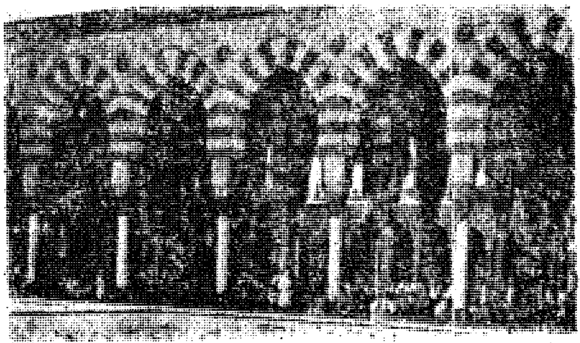
اكبر اولاد النبي واولهم هو القاسم وبه كان يكنى ، ولد من خديجة قبل البعثة وعاش سنتين وقيل سنة ونصف سنة .

ثم ولدت خديجة قبل البعثة ايضـاً زينب ، ثم رقية ثم ام كلثوم ، ثم فاطمة الزهراء، اما زينب فقد تزوجها ابن خالتها وهو ابو العاص بن الربيع وامه هالة بنت خويلد ، وهالة هي اخت السيدة خديجة ام المؤمنين . وذكر بعضهم بدل هالة (هنداً) ويحتمل ان تكون احداهما اسماً والاخرى لقبا فهما واحدة . قال ارباب السير كانت زينب بنت رسول الله قـد ادركت الاسلام واسلمت وهاجرت ، وكان ابوها يحبها ، وتزوجها ابن خالتها ابو العاص بن الربيع وولدت منه (امامة) و (عليا) امـا علي فقد مات مراهقاً ، واما امامة فقد تزوجها الامام علي بن ابي طالب بعد وفاة خالتها السيدة فاطمة الزهراء بوصية من فاطمة، وامـا رقية ، وام كلثوم ، فقد زوجها النبي من عتبة وعتيبة ابني ابي لهب بن عبد المطلب فلما جاء الاسلام بلغ من عداوة قريش للنبي ان قالوا فرّغتم محمداً من همه بتزويج بناته فقالوا لابي العاص طلق ابنة محمد ونزوجك بنت من اردت من قريش فابى وطلبوا مثل ذلك الى عتبة وعتيبة فطلقا زوجتيهما فتزوجها عثمان واحدة بعد واحدة

واما عبد الله فقد مات بمكة صغيراً وهو الذي يلقب بالطاهر والطيب ولد بمكة بعد الاسلام ومات بها واما ابراهيم فامه مارية القبطية ولد سنة ثمان من الهجرة في ذي الحجة ومات صغيراً وهو ابن سنة وعشرة اشهر اعتقها ولدها . وتوفيت هي في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع . وكل اولاد النبي ولدوا بمكة الا ابراهيم فانه ولد بالمدينة . وكلهم ماتوا في حياته ولم يخلف الا السيدة فاطمة الزهراء .

وفاته :

قال ابن الاثير في (الكامل) عند ذكر احداث سنة احدى عشرة من الهجرة في المحرم من هذه السنة بعث النبي بعثاً الى الشام ، واميرهم اسامة بن زيد مولاه وامره ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء من ارض فلسطين . فتكلم المنافقون في امارته ، وقالوا أمرّ غلاماً على جلة المهاجرين والانصار



المسجد النبوي في المدينة

فقال رسول الله ان تطعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة ابيه من قبل ، وانه لخليق للامارة وكان ابوه خليقاً لها ، واوعب مع اسامة المهاجرون الاولون منهم ابو بكر وعمر ، فبينما الناس على ذلك ابتدا برسول الله مرضه وذلك في اواخر صفر في بيت زينب بنت جحش ، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة .

قال ولما اشتد برسول الله وجعه ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول واكرباه فتقول فاطمة: واكربي لكربك يا ابتي ، فيقول رسول الله لا كرب على ابيك بعد اليوم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ولا خلاف في ذلك ، وكانت وفاته يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة على ما ذهب اليه اكثر الشيعة الامامية

وقال الشيخ الكليني منهم: انه قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول ، وقال غير واحد ان وفاته كانت في اول ربيع الاول ، وعن بعضهم في ثامنه ، وعن بعضهم في عاشره وعن بعضهم في الثامن عشر منه[1].

١ - إقرأ حياة النبي فيا بعد في الاجزاء الخاصة بقسم المدينة من موسوعة العتبات المقدسة .

فاطمة الزهراء

ولادتها

ولدت فاطمة بنت رسول الله بمكة المكرمة يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة بعد البعثة النبوية بسنتين وقيل بعد النبوة بخمس سنين وفي (الاستيعاب) ولدت سنة احدى واربعين من مولد النبي – اي بعد المبعث بسنة – وقال اكثر من واحد إن مولدها قبل المبعث بخمس سنين والقول الاول اظهر لتسالمهم على انها كانت عند الهجرة بنت ثماني سنين وهي اصغر بنات الرسول واعزهن عنده واحبهن اليه ، وانقطع نسله الا منها ، ولحبه لها انه كان يدعوها: يا حبيبة ابيها ، وسماها فاطمة الزهراء ، ولقبها بالزهراء والبتول – والبتل هو القطع – لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ، وديناً ، وحسباً ، وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله تعالى .

اقامت مع ابيها بمكة ثماني سنين ، ثم هاجرت الى المدينة على اثر هجرة ابيها ، وتزوجها علي عليه السلام في المدينة ، ولما توفي النبي قيل ان عمرها كان ثماني عشرة سنة وقال بعضهم بل كان عمرها ثماني وعشرين سنة .

كان النبي يشهد بحقها ويعلن بفضلها ويقول: «فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني » ويقول : « فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما

اغضبها » اخرجه على اختلاف الفاظه ائمة (الصحاح) الست ، وعدة اخرى من رجال الحديث في السنن ، والمسانيد ، والمعاجم ، وروى الصـــدوق في (الامالي) باسناده عن ابن عباس قال : ان«رسول الله كان جالساً ذات يوم وعنده علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، فقال اللهم تعلم ان هؤلاء اهل بيتي واكرم الناس علي فاحب من احبهم ، وابغض من ابغضهم ، ووال من والاهم ، وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم واجعلهم مطهـــرين من كل دنس ، معصومين من كل ذنب ، وايدهم بروح القدس منك » .

واخرج الامام احمد في مسنده وابو داود في (الاستيعاب) ان النـــبي قال : « افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمـد ، وآسية بنت (مزاحم امرأة فرعون) ، ومريم بنت عمران » . وقال خير نساء العالمين اربع : مريم بنت عمران ، واسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » وعلى ضوء ذلك قال امير الشعراء احمد شوقي في مدح الزهراء :

ما تمنّى غيرها نسلاً ومن يلد الزهراء يزهد في سواها

ويقول الاخر مفاخراً :

فما كل جد في الرجال (محمد) ولا كل ام في النساء بتول

ملكاتها :

وقد روى المؤرخون عن ملكات الزهراء ومـــواهبها الشيء الكثـير ، وكانت خطبتها في مجلس الخليفة ابي بكر وهي تطالب برّد (فدك) لهـــا باعتبارها ارثاً تلقته من ابيها تتضمن شواهد كثيرة على طوائف من الملكات والمواهب فقد حضرت مجلس المناقشة ، وبعد ان حمدت الله وشكرته واثنت عليه قالت:«واشهد ان ابي محمداً عبده ورسوله ، اختاره وانتخبه قبل ان ارسله ، وسماه قبل ان اجتباه ، واصطفاه قبل ان ابتعثه ، اذ الخـلائق بالغـــيب

مكنونة ، وبستر الاهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً منه بمآل الامور ، واحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع المقدور ، ابتعثـه الله إتماماً لامره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وانقاذاً لمقادير حتمه ، فرأى الامم فرقاً في اديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لاوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فانار الله بابي (محمد) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلا عن الابصـار غممها ، وقام في الناس بالهداية وانقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية ، وهداهم الى الدين القويم ، ودعاهم الى السراط المستقيم ، ثم قبضه الله اليـه قبض رأفة واختيار، ورغبة وايثار » الى ان قـالت « **وهذا كتاب الله بين اظهركم ، اموره ظاهرة ، واحكامه زاهرة ، واعلامه باهرة ، وزواجره لائحة ، واوامره واضحة ، لقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ ام بغيره تحكمون** » الى ان تقول : « وانتم الآن تزعمون ان لا ارث لي أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون » ثم قالت « أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقـول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحي بن زكريا اذ يقول (ربّ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال (واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) وقال (يوصيكم الله في الذكر مثل حظ الانثيين) وقـال : (ان ترك خير الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين)

والخطبة طويلة وستورد كاملة في القسم الخاص بحياة الزهـراء من (قسم المدينة المنورة) من موسوعة العتبات المقدسة .

ومن جواب الخليفة ابي بكر لفاطمة الزهراء تتجلى قيمة (الزهراء) في العالم الاسلامي ومنزلتها في النفوس اذ قال ابو بكر في جوابها :

« يا ابنة رسول الله . لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفا كريما ، رؤوفاً رحيما، وعلى الكافرين عذاباً اليما ، وعقاباً عظيما ، فان عزوناه وجـدناه اباك دون

النساء، وأخا إلفك دون الاخلاّء ، آثره على كل حميم ، وساعده في كل امر جسيم ،لا يحبكم الا كل سعيد ، ولا يبغضكم الا كل شقي ، فانتم عترة رسول الله الطيبون، والخيرة المنتخبون،على الخير ادلتنا ، والى الجنة مسالكنا،وانت يا خيرة النساء ، وابنة خير الانبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت الا باذنه ، وان الرائد لا يكذب اهله ، فاني اشهد الله وكفى به شهيداً اني سمعت رسول الله يقول[1] « نحن معاشر الانبياء لا نوّرث ذهباً ، ولا فضة ، ولا دارا ولا عقارا ، وانما نورث الكتاب والحكمة والعلمَ والنبوة ، وما لنا من طعمة فلولي الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه »...[2]

اولادها :

الحسن المجتبى ، والحسين السبط ، والمحسن السقط[3] ، وزينب الكبرى عقيلة بني هاشم ، وام كلثوم .

وفاتها :

تعددت الاقوال في مدة بقائها بعد ابيها هل هي اربعون يوماً او خمسة وسبعون او خمسة وتسعون او اكثر من ذلك من نحو مائة يوم او اربعة

---

١ – المعصومون ص ١٠٠ منقول من (اعيان) الشيعة ج٢ ص٤٦٤ نقلا عن (كشف الغمة) عن (كتاب السقيفة) لابي بكر بن عبد العزيز الجوهري ، عن المرتضى في (الشافي) عن ابي الفضل احمد بن أبي طاهر البغدادي في كتاب (بلاغات النساء) عن الطبرسي في الاحتجاج عن ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) .
ج٠ خ

(٢) وفي رواية للمسعودي ان ابا بكر (رضى) قد قال في آخر ايامه «ثلاث فعلتها وددت اني تركتها، وعدّ في جملتها تمتيش بيت فاطمة (ع) وذكر في ذلك كلاماً طويلا ، وفي رواية الطبري : اظهر ابو بكر اسفه على انه لم يعطها (فدكا) .

ج٠ خ٠

٣ – قال ابن الاثير المحسن توفي صغيراً

اشهر او ستة او ثمانية اشهر ، وقد اتفق الجميع على ان عمرها بعد ابيهـا لم يكن اكثر من ثمانية اشهر ولا باقل من اربعين يوماً .

والذي نختاره هو انها مكثت بعـد ابيها خمسة وتسعين يومـاً ، وقبضت في ثالث جمادى الآخرة .



منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١ هـ

فلما توفيت غسلها علي(ع) وصلى عليها ، ودفنها ليلاً ، ولم يشهد جنازتها سوى علي[1] وخواصـه والحسين وبعض بني هـاشم وسـوّى على قبرها مع الارض ، وقيـل سوّى حواليها قبوراً مزورة قدر سبعـة ، حتى لا يعـرف قبرها ، ولذلك اختلفت الروايات والاخبار في موضع قبرها ، فقيـل دفنت في بيتها وقيل في البقيع وقيل بين القبر والمنبر .

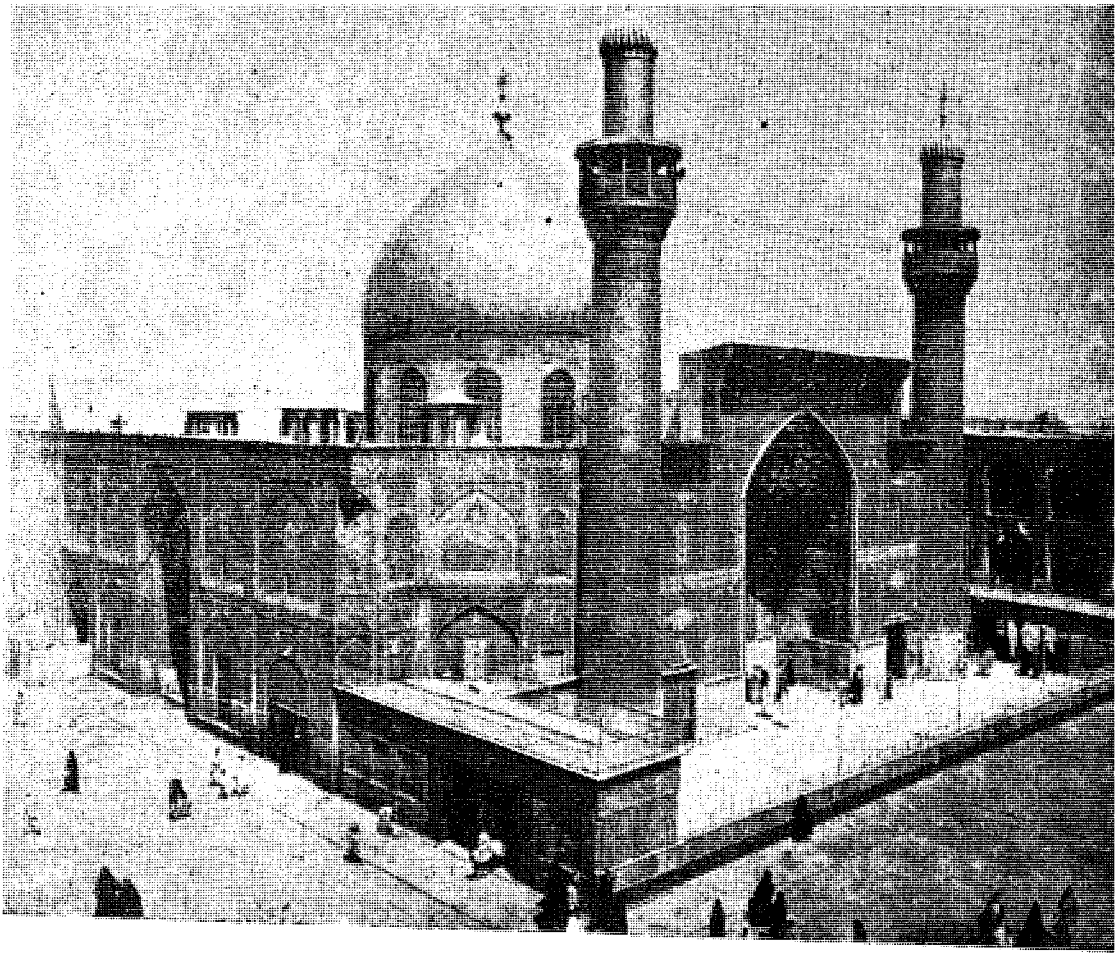
١ ـ رواه البخاري في (صحيحه) .

الامام الاول

علي بن ابي طالب

ولادته :

ولد يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام بعد عام الفيل بثلاثين عاماً وكان مولده في البيت الحرام بمكة المكرمة وقول آخر انه ولد لسبع خلون من شعبان والاشهر الاول سنة ٦٠٠ م ابوه ابو طالب شيخ البطحاء واسمه عبد مناف ، ويكنى بابي طالب اكبر ولده ، وهو اخو عبدالله ابي النبي لامه وابيه ، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم ، فهو اول هاشمي ولد بين هاشميين. لقد كانت فاطمة بنت اسد لرسول الله بمنزلة الام لانه ربي في حجرها وهو ابن ثماني سنين وكان شاكراً لبرها ويسميها (امي) فقد كانت تفضله على اولادها في البر ، وكانت من سابقات المؤمنات الى الايمان ، هاجرت مع رسول الله الى المدينة . ولما توفيت كفنها رسول الله بقميصه ليدرأ به عنها هوام الارض، وامر من يحفر قبرها فلما بلغوا لحدها حفره بيده ، واضطجع فيه ، وقال : « اللهم اغفر لامي فاطمة بنت اسد ولقّنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، فقيل يا رسول الله : رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه باحد قبلها،



منظر خارجي لروضة الامام علي (ع) في النجف الاشرف

فقال: البستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت في قبرها ليوسعه الله عليها، وتأمن من ضغطة القبر، انها كانت من احسن خلق الله صنعاً اليّ بعد ابي طالب، .... » وسماه ابوه علياً، ويكنى ابا الحسنين وابا السبطين، وابا تراب، وهي أحب كناه اليه لكون النبي كناه بها مذ رآه ساجداً معفراً وجهه في التراب، قال: انت ابو تراب، وقيل في سبب هذه الكنية ان النبي قال له: يا علي اول من ينفض التراب عن رأسه انت . قال الكميت الاسدي :

وقالوا ترابي هواه ودينه　　　بذلك ادعى بينهم وألقّب

نشأ في حجر رسول الله وتأدب بآدابه ، وربي بتربيته . ولما اصاب اهل مكة جدب شديد اخذ النبي علياً من ابيه ، واخذ حمزة جعفرا ، واخذ العباس طالباً ، ليخففوا عن ابي طالب ، وابقى ابو طالب عنده عقيلا .

فلم يزل علي مع رسول الله حتى بعثه الله بالنبوة فكان اول من آمن به واتبعه وصدقه .

اقام مع النبي بمكة ثلاثاً وعشرين سنة ، وعشر سنين بالمدينة بعد الهجرة يشاركه اكثر محنه، ويشاطره جل اعماله، ويتحمل عنه اكبر اثقاله ، وقد باشر الحرب وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وعاش بعد النبي ثلاثين سنة ، فيكون عمره ثلاثاً وستين سنة كعمر رسول الله وهذا هو المشهور .

صفاته :

كان علي ربعة من الرجال ، ادعج العينين ، عظيمها ، عظيم البطن الى السمن ، شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، اصلع ليس في رأسه شعر الا من خلفه ، كثير شعر اللحية ، وكان لا يخضب ، والمشهور انه كان ابيض اللحية ، وكان اذا مشى تكفأ ، شديد الساعد واليد ، قوياً ما صارع احداً الا صرعه ، وفي الكامل لابن الاثير الجزري « وكان من احسن الناس وجهاً ، ولا يغير شيبه ، كثير التبسم » وقال ابن ابي الحديد في مقدمة شرح النهج « اما شجاعة علي فانه انسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الامثال الى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز احداً الا مثله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى الى ثانية ، وفي الحديث كانت ضرباته وترا ، ولما دعا معوية الى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل احدهما قال له عمرو بن العاص :

لقد انصفك . فقال معوية : ما غششتني منذ نصحتني الا اليوم ، أتأمرني بمبارزة ابي الحسن وانت تعلم انه الشجاع المطرق ، اراك طمعت في امارة الشام بعدي ... وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته فاما قتلاه فافتخار رهطهم بانه قد قتلهم اظهر واكثر ، قالت اخت عمرو بن ودّ ترثيه وتفتخر بان قاتله سيد شجعان العرب

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت ابكي عليه دائم الابد

لكن قاتله من لا يعاب به ... ابوه قد كان يدعى بيضة البلد

وجملة الامر ان كل شجاع في الدنيا اليه ينتهي ، وباسمه ينادي ، في مشارق الارض ومغاربها وتالله لو تجسمت الشجاعة وتمثلت ، وتمثلت في شخص لكان ذلك الشخص هو امير المؤمنين ، بل لو عرفه قدماء اليونان لاتخذوه إلهاً للشجاعة في جملة آلهتهم التي عبدوها ، ومن سبر حاله في غزواته مع النبي عرف صحة ما يقول » .

وفي صحيح البخاري ومسلم ، عن سهل بن سعد : « ان رسول الله قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطيها فلما صابح الناس غدوا على رسول الله فاعطاها لعلي ... »

قال شمس الدين محمد بن طولون في تاريخ (الأئمة الاثني عشر) :

وهاجر علي الى المدينة ، واستخلفه النبي حين هاجر من مكة الى المدينة ان يقيم بعده بمكة اياماً حتى يؤدي عنه امانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي ثم يلحق باهله ففعل ذلك .

وشهد مع النبي بدرا ، واحد ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وخيبر ؛ والفتح ، وحنيناً ، والطائف ، وسائر المشاهد الا تبوك . فان النبي استخلفه على المدينة ، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة . واجمع اهل التاريخ

على شهوده بدرا وغيرها من المشاهد غير تبوك[1] قالوا فاعطاه النبي اللواء في مواطن كثيرة ، وثبت في الصحيحين ان النبي اعطاه الراية يوم خيبر ، واخبر ان الفتح يكون على يديه . واما علمه فكان من العلوم بالمحل الاعلى ، روي له عن رسول الله خمس مائة حديث وستة وثمانون حديثاً . قال ابن المسيب ما كان احد يقول: سلوني، غير علي . وقال ابن عباس اعطي علي تسعة اعشار العلم ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي . قال واذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل الى غيره . وسؤال كبار الصحابة له ورجوعهم الى فتاويه . واقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور .

وروى ابن ابي الحديد وابن عبد البر وغيرهما «ان معاوية بن ابي سفيان قال لضرار بن حمزة صف لي علياً، قال: اعفني . قال لتصفنه ، قال اما اذا كان لا بد من وصفه فانه : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطف الحكمة من نواجذه ، وكان حسن المعاشرة ، سهل المباشرة ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويحاسب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا والله كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، ويدنينا اذا اتيناه ، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هيبة له ، فاذا تكلم كأنه اللؤلؤ المنظوم ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول يا دنيا غرّي غيري ،أبي تعرّضتِ ؟ ام اليّ تشوقتِ ؟

---

١ - جاء في صحيحي مسلم والبخاري عن سعد بن ابي وقاص: «ان رسول الله خلف علياً في غزوة تبوك فقال يا رسول الله اتخلفني في النساء والصبيان ؟ قال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبي بعدي »

هيهات لا حاجة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكى معوية وقال رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها في حجرها ، فهي لا ترقأ عبرتها ، ولا تسكن حرارتها »

الامام :

يقول العقاد في (عبقرية الامام) عن علي ابن ابي طالب : « ... من هذه الالقاب الشائعة لقب الامام الذي اختص به علي بين جميع الخلفاء الراشدين ، والذي اذا أطلق فلا ينصرف الى احد غيره. بين جميع الائمة الذين وسموا بهذه السمة من سابقيه ولاحقيه » ويقول :

« وذاك هو علي ابن ابي طالب كما لقبه الناس ، وجرى لقبه على الالسنة ، فعرفه به الطفل وهو يسمع احاديثه المنظومة في الطرقات ، بغير حاجة الى تسمية او تعريف ، وخاصة اخرى من خواص الامامة ينفرد بها علي ولا يجاريه فيها غيره وهي اتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الاسلامية منذ وجدت في صدر الاسلام ، فهو منشىء هذه الفرق او قطبها الذي تدور عليه ، وندرت فرقة في الاسلام لم يكن علي معلماً لها منذ نشأتها او لم يكن موضوعاً لها ومحوراً لمباحثها تقول فيه وترد على قائلين .

وقد اتصلت الحلقات بينه وبين علماء الكلام والتوحيد كما اتصلت بينه وبين علماء الفقه والشريعة وعلماء الادب والبلاغة فهو استاذ هؤلاء جميعاً بالسند الموصول » .

خلافته :

لقد وجدت بنو امية في مقتل عثمان ذريعة فخلقت لعلي مشاكل وبثت الفتن فنشأ من ذلك حرب الجمل ولم تكد تنتهي حتى ابتدأت حرب صفين ثم ابتلي بالخوارج وحربهم في النهروان ولم تترك امية فرصة لعلي ان يتم رسالته ومع ذلك فقد تغلب على كل تلك الصعوبات ونوى في هذه المرة ان يعود الى حرب معاوية ولو كان قد عاد لانتهت جميع تلك المشاكل ولاستتب الامن وسادت الحرية والاطمئنان والعدل جميع الربوع الاسلامية ولكن ابن ملجم قد عجل عليه فقتله قبل ان يعود الى تصفية قضية معاوية .

من اقواله وحكمه :

وعلى انّ الكفاية في البلاغة مثلاً لهذا الطود الشامخ من الحكمة والفلسفة والبلاغة فاننا نورد هنا بعض الامثلة لاقواله وحكمه مما لم يدرج في نهج البلاغة في الغالب ، قال في الطيرة والتنجيم وقد اعتبر الايمان بها على سبيل معرفة الغيب ضرباً من ضروب الكفر ، قال :

« اللهم لا طير الا طيرك ، ولا ضير الا ضيرك ، ولا اله غيرك » .

وكان علي يطوف كل بكرة في اسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرّة على عاتقه فينادي : يا معشر التجار ، قدموا الاستخارة ، وتبرّكوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم ، وتناهوا عن الكذب واليمين ، وتجافوا عن الظلم ، وانصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا ، واوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين .

وقال عليه السلام يعزّي اشعث في ابن له : «يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القدر وانت مأزور»

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال رجل لعلي : قد عيل

صبري ، فاعطني ، قال فانشدك شيئاً ام اعطيك ؟ فقال كلامك احب الي من عطائك فقال :

ان عضك الدهر فانتظر فرجاً ... فـانه نازل بمنتظره
او مسك الضر او بليت به ... فاصبر على عسره وفي يسره
رب معافى على تهوره ... ومبتلى لا ينام من حذره
وآمن في عشاء ليلته ... دب اليه البلاء في سحره
من مارس الدهر ذم صحبته ... ونال من صفوه ومن كدره

وقال عليه السلام لرجل كره صحبة رجل :

ولا تصحب اخا الجهل ... واياك واياه
فكم من جاهل اردى ... حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... اذا ما هو ماشاه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس واشباه
وفي العين غنى للعين ... ان تنطق افواه

اولاده وازواجه :

وعددهم سبعة وعشرون او ثمانية وعشرون ما بين ذكر وانثى، والذكور اربعة وهم : الحسن ، الحسين ، زينب الكبرى ، ام كلثوم ، المحسن السقط ، (وامهم فاطمة الزهراء) ، ومحمد الاكبر المعروف بابن الحنفية والمكنى بابي القاسم وامه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية .

عمر (الاطرف) ، رقية، توأمان ـ وامها ام حبيب الصهباء بنت ربيعة التغلبية .

عبيد الله ـ امه نهلشية وهو قتيل ـ المذار ـ بين واسط والبصرة .

العباس ، عبدالله ، عثمان ، جعفر (شهداء كربلاء) وامهم ام البنين بنت حزام الكلابية .

محمد الاصغر المكنى بابي بكر[١] ، عبدالله الشهيد ـ بكربلاء ـ امهما ليلى بنت مسعود الدارمية .

يحيى ـ امه اسماء الخثعمية بنت عميس .

ام الحسن ، رمله ـ أمهما ام سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي .

نفيسة ، زينب الصغرى ، ام هاني ، ام الكرام ، جمانة امامة ، ام سلمة ، ميمونة ، خديجة، فاطمة، وكلهن بنات امير المؤمنين وهن لامهات شتى .

محمد الاوسط ـ امه امامة بنت ابي العاص .

وفاته :

قبض سنة اربعين من الهجرة ليلة الجمعة بالكوفة ٢١ كانون الثاني ٦٦١ م وهي ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان في الثلث الاول من الليل . مات شهيداً من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، وقد كمن له في المسجد الاعظم فضربه على رأسه في اثناء صلاة الفجر ، وهذا اشهر الاقوال ، ولما قبض غسله الحسن ، والحسين ، ومحمد يصب الماء ثم كفن وصلى عليه السلام ابنه الحسن ، ثم حمله الحسنان ، ومحمد ابن الحنفية ، وعبدالله بن جعفر وخواصه بأمر منه الى (الغريين) ، من (نجف الكوفة) ودفنوه هناك ليلاً وعفوا موضع قبره بوصية منه خوف الخوارج وبني امية ان ينبشوا قبره. ولم

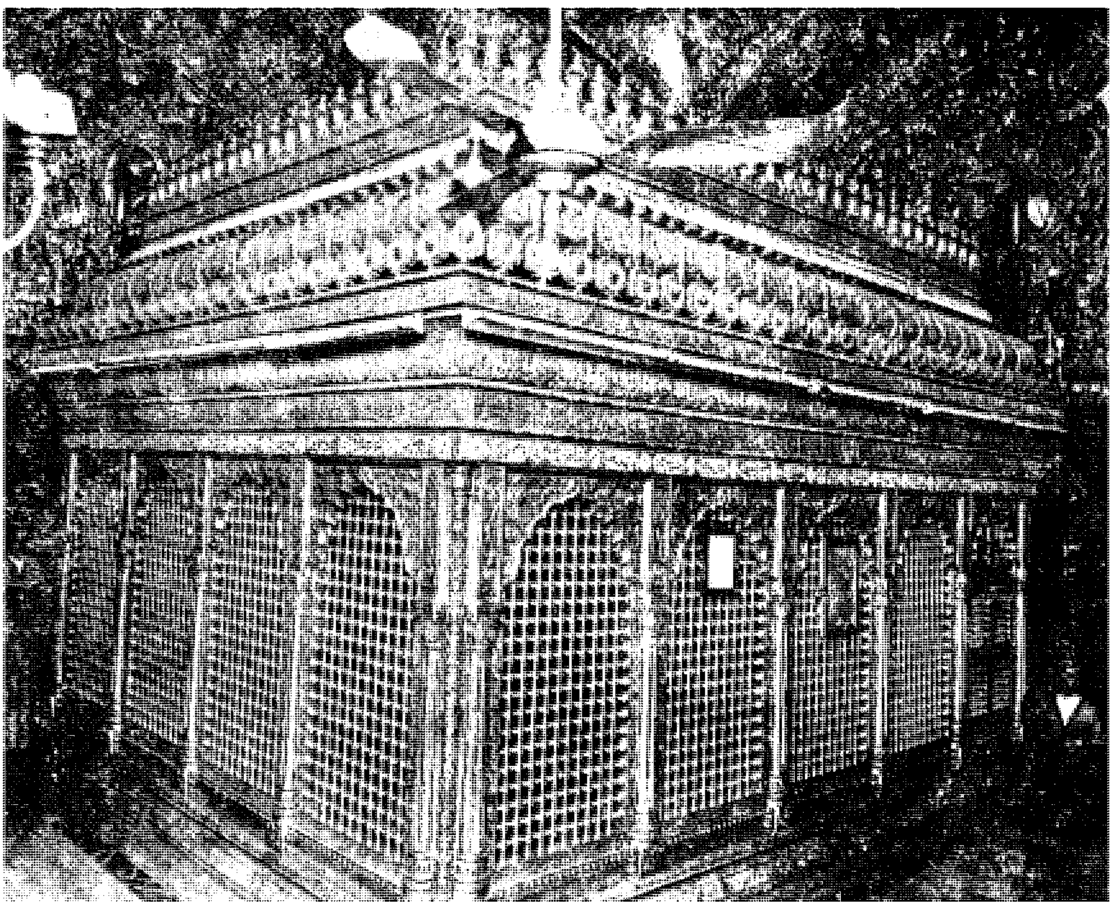
١ ـ قال السيد الامين في (اعيان الشيعة) عد بعضهم ابا بكر ومحمد الاصغر اثنين والظاهر انهما واحد .

يزل قبره مخفياً لا يعلمه احد غير بنيه وخواص شيعته حتى دل عليه الامـام جعفر بن محمد الصادق وزاره الامام الصادق عند وروده على المنصـور وهو بالحيرة . ثم عرّفه واظهره الرشيد العباسي .

قال ابن الاثير في (الكامل) ولما قتل علي قام ابنه الحسن وقال مما قـال عن ابيه « والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا ثمانمائة او سبعمائة ارصدها لجارية ».

وقال سفيان ان علياً لم يبن آجرة على آجرة ، ولا لبنـة على لبنـة ، ولا قصبة على قصبة ، وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يؤكل منـــه .

ويقول (لا احب ان يدخل بطني الا ما اعلم) .



الامام الثاني

الحسن بن علي بن ابي طالب

هو الامام الثاني ومن ائمة اهل البيت ، والسبط الاكبر من سيدي شباب اهل الجنة ، واول اولاد علي وفاطمة ولم يسم احد باسمه من قبل ، ولد بالمدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان على الصحيح المشهور بين المسلمين، وقيل في شعبان ولعله اشتباه بمولد اخيه الحسين ، وكان مولده ليلة الثلاثاء سنة ثلاث للهجرة ٦٢٥ م وروي سنة اثنتين من الهجرة وقيل انه ولد لستة اشهر وروي مثل ذلك في حق اخيه الحسين ، قال الشيخ الصدوق في (علل الشرائع) لما ولد الحسن قالت فاطمة لعلي سمّه ، فقال ما كنت لاسبق باسمه رسول الله فجاء النبي فأخرج اليه في خرقة صفراء فرمى بها وقال : « ألم أنهكم ان تلفوا المولود في خرقة صفراء » وامر ان يُلف في خرقة بيضاء ، واذّن في اذنه اليمنى ، واقام في اليسرى ، ثم سماه بالحسن .

ومن القابه : السيد والسبط ، والتقي ، والزكي ، والمجتبي ، والزاهد ،

ولكن اعلا القابه رتبة وأولاها ، ما لقبه به رسـول الله وهو السيد . لانه قـــال :

ان ابني هذا سيد . وقال : « **ومن اراد ان ينظر الى سيد شباب اهل الجنة فلينظر الى الحسن بن علي** » .

صفاته :

وكان اشبه الناس من رأسه الى صدره بجده رسول الله ولم يكن احد في زمانه اشبه بالنبي منه . وعن واصل بن عطاء : كان الحسن بن علي علـــيه سيماء الانبياء ، وبهاء الملوك . وعن الغزالي قال :

« وكان النبي يقول للحسن اشبهت خَلقي وخُلقي » .

وكان ابيض مشرباً بحمرة ، ادعج العينين ، سهل الخدين ، دقيق المسربة ، كث اللحية ، ذا وفرة ، عظيم الكراديس ، بعيدا ما بين المنكبين ، ربعـة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، مليحاً من احسن الناس وجهاً ، وكان يخضب بالسواد ، جعد الشعر ، حسن البدن ، قال القبرصي ويصدق هذا الخبر ما رواه محمد بن اسحاق قال : ما بلغ احد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن بن علي ، كان يبسط له على باب داره ، فاذا خرج وجلس انقطع الطريق فما يمر احد من خلق الله اجلالا له ، فاذا علم قام ودخل بيته فيمر الناس ، قال الراوي ولقد رأيته في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى ، فما من خلق الله احد الا نزل ومشى ، حتى رأيت سعد بن ابي وقـــاص قد نزل ومشى الى جنبــــه :

روي الصدوق في (الامالي) باسناده عن الصادق قال حدثني ابي عن ابيه ان الحسن بن علي بن ابي طالب كان اعبد الناس في زمانه وازهدهم وافضلهم ، وكان اذا حج ، حج ماشياً ، وربما مشى حافياً ، وان الجنائب لتقـــاد بين

يديه . وكان اذا بلغ باب المسجد رفع رأسه وقال : « الهي ضيفك ببابك ، يا محسن قد اتاك المسيء ، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عنــــدك يا كريم » .

وعن صحيحي البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول :

« اللهم اني احبه فاحبّه » وفي رواية عن (حلية الاولياء) « من احبني فليحبّه » وعن صحيح الترمذي عن ابن عباس قال : كان رسول الله حاملا الحسن ابن علي على عاتقه ، فقال رجل « نعم المركب ركبت ياغلام ، فقال النبي : ونعم الراكب هو » .

وكان من حلمه ما يوازن به الجبال على حد تعبير (مروان) عنه .

وكان كرمه وسخاؤه مضرب الامثال ، رأى غلاماً اسود يأكل من رغيف لقمة ، ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له ما حملك علي هذا ؟ قال الغلام اني استحي منه ان آكل ولا اطعمه . فقال الحسن لا تبرح مكانك حتى آتيك ، وذهب الى سيد الغلام فاشترى الغلام منه ، واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه ، فاعتقه وملكه الحائط .

وكان من العلم والبلاغة والعمق ما ملك اعجاب الناس واحترامهم ، قال ابن الصباغ في (الفصول المهمة) : ويجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين .

وكان اذا حج وطاف بالبيت يكاد الناس يحطمــــونه مما يزدحمون للسلام علـــيه .

قام بالامر بعد ابيه وله سبع وثلاثون سنة وذلك سنة ٤٠ بايعه النـــاس بالخلافة يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان بعد ما خطب بالنـــاس

في صبيحة الليلة التي قبض فيها امير المؤمنين (علي) فرتب العمال ، وأمّــر الامراء ، وانفذ عبدالله بن عباس الى البصرة ، ونظر في الامور ؛ واقام في خلافته ستة اشهر وثلاثة ايام ، وقد وقع الصلح بينه وبين معوية في الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى واربعين اضطراراً بعد ان تبين له ان جماعة من رؤساء اصحابه كتبوا سراً الى معوية وضمنوا له ان يسلموه اليــه عند دنوّ العسكرين .

وخرج الحسن الى المدينة واقام فيها عشر سنين الا شهراً ثم قبض .

من اقواله وحكمه :

سأل علي (ع) الحسن وهي اسئلة طالما يسأل الآباء عن امثالها الابنـــاء لاختبار افكارهم وعمق ادراكهم لقد سأله قائلا :

يا بني ما السداد ؟ قال دفع المنكر بالمعروف .

قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة .

قال : فما المروءة ؟ قـــال حفظ الدين ، واعزاز النفس ، ولين الكنف ، وتعهد الصنيعة ، واداء الحقوق ، والتحبب الى الناس

قال : فما الكرم ؟ قال : الابتداء بالعطية قبل المسألة ، واطعام الطعام في المـَحلْ .

قال : فما السماح ؟ قال البذل في العسر واليسر .

قال : فما الشح ؟ قال : قال ان ترى ما في يديك شرفاً ، وما انفقته تلفـــاً .

قال : فما الاخاء ؟ قال : المواساة في الشدة والرخاء

قال فما الجبن ؟ قال : الجرأة على الصديق ، والنكول عن العدو .

قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى ، والزهادة في الدنيا .

قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال : فما الغنى ؟ قال رضى النفس بما قسم الله وان قل ، وانما الغنى غنى النفس .

قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس الى كل شيء .

قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال : فما المجد ؟ قال : ان تعطي في الغرم وتعفو عن الجرم .

قال : فما السؤدد ؟ قال : اتيان الجميل وترك القبيح .

قال : فما الحزم ؟ قال : طول الاناة والرفق بالولاة .

قال : فما الشرف ؟ قال : موافقة الاخوان وحفظ الجيران

الى غير ذلك من الاسئلة والاجوبة الكثيرة التي اوردتها مختلف الكتب .

زوجاته :

تزوج (ام اسحق) بنت طلحة بن عبيد الله ، و(حفصة) بنت عبد الرحمن بن ابي بكر (وهند) بنت سهيل بن عمرو ، و(جعدة) بنت الاشعث بن قيس وهي التي اغراها معاوية بقتله فقتلته بالسم .

ونسب له الناس زوجات اخرى من المعتقد انه قد بولغ فيها .

اولاده :

كان للامام الحسن خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وانثى وهم :

زيد، ام الحسن، ام الحسين، وامهم ام بشير بنت ابي مسعود الخزرجية .

الحسن ويسمى بالحسن المثنى ، امه خولة بنت منظور الفزارية .

عمرو ، القاسم ، عبدالله ، امهم ام ولد .

عبد الرحمن ، امه ام ولد .

الحسن الملقب بالاثرم ، طلحة ، فاطمة ، امهم ام اسحق بنت طلحة بن

عبدالله التيمي .

ام عبدالله ، فاطمة ، امسلمة ، رقية ، لامهات شتى ولم يعقب منهم غير الحسن ، وزيد .

وفاته :

كانت وفاته في الثامن والعشرين من صفر سنة خمسين او في ست من صفر او السابع منه وكان عمره حين استشهد سبعاً واربعين سنة ، امضى منهـــا سبع سنين واشهراً مع جده الرسول وسبعاً وثلاثين مع ابيه وبقي بعده عشر سنين وقام بتجهيزه اخوه الحسين واخوته وسائر بني هاشم ودفن بالبقيع مع جدته فاطمة بنت اسد .

الامام الثالث

(ابو عبـــد الله)

الحسين بن علي بن ابي طالب

هو السبط الثاني لرسول الله ولد بالمدينة المنورة في السنة الثالثة من الهجرة او الرابعة لثلاث خلون من شعبان وقيل لخمس خلون منــه والمشهـــور هو الاول ٦٢٦ م .

قال الشيخ المفيد في (الارشاد) والامام بعد الحسن بن علي ، اخوه الحسين بنص ابيه وجده عليه ووصية اخيه الحسن اليه . وجاءت امه فاطمـــة الى جده رسول الله فاستبشر به وسماه حسيناً وعق عنه كبشـــاً . قال وروى شاذان عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقـول في الحســـن والحسين : « **اللهم اني احبهما واحب من احبهما وقال : من احب الحســـن والحسين احببته ، ومن احببته احبه الله ، ومن احبه الله ادخله الجنة ، ومن ابغضهما ابغضته ، ومن ابغضته ابغضه الله ، ومن ابغضه الله ادخله النار .**

وقال : حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا ، حسين سبط من الاسباط » .

صفاته :

كان اشبه اهل البيت برسول الله ، وكان اشرق الناس وجهاً ، واحسنهم خلقاً قال عبدالله بن الحر الجعفي ما رأيت احداً احسن ولا املأ للعين ، ولا اهيب في القلب من الحسين » .

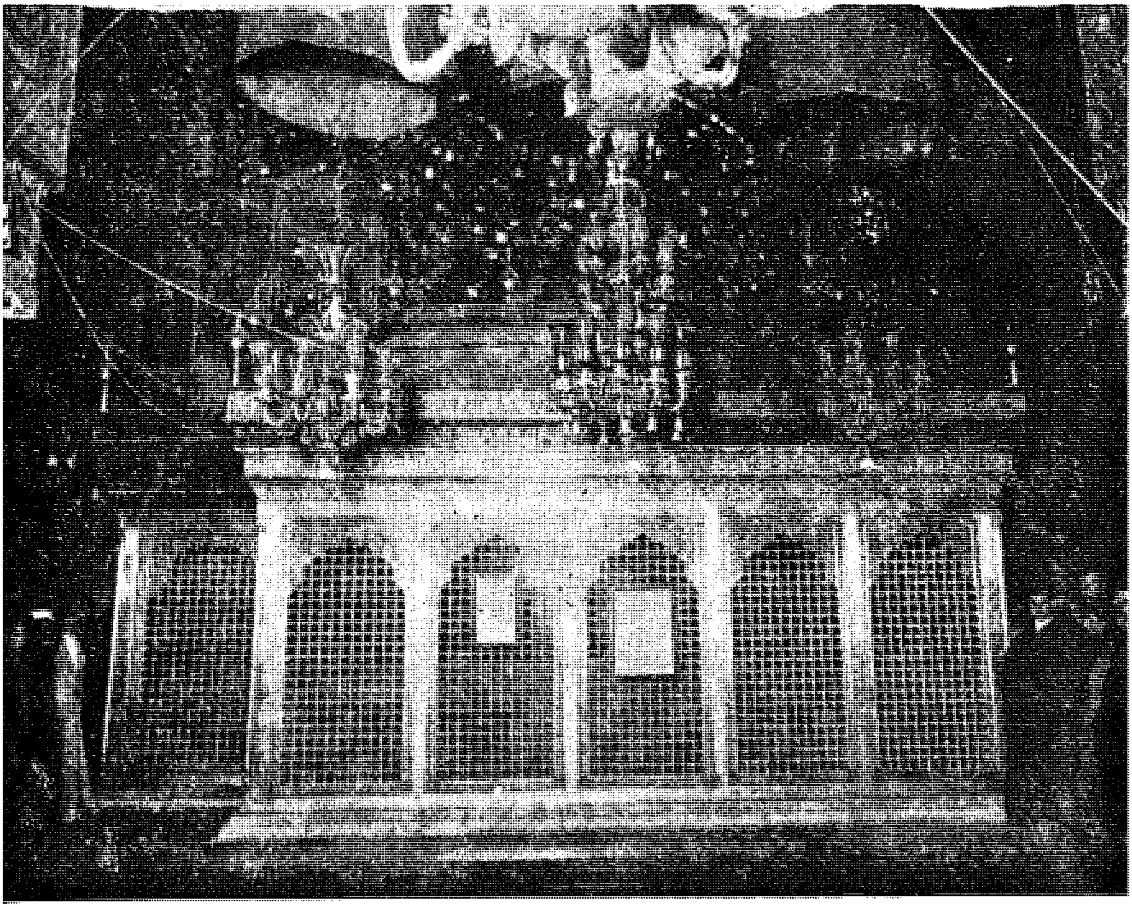
وكان في صوته غنّة حسنة ، وكان الطيب محبباً اليه ، فكان المسك لا يفارقه في حلّه وترحاله ، وبخور العود والند في مجلسه . وكان مجلسه مجلس وقار وعلم ، والناس من حوله يتحلقون ، يأخذون عنه ما يلقيه عليهم وهم في خشوع كأن على رؤوسهم الطير

قال الشافعي في (مطالب السؤول) قد اشتهر النقل ان الحسين كان يكرم الضيف ، ويمنح الطالب ، ويصل الرحم ، وينيل الفقير ، ويسعف السائل ، ويكسو العاري ، ويشبع الجائع ، ويشفق على اليتيم ، وقلّ ان وصله مال الا فرّقه ، وكان عليه السلام يقول : شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عن الاعطاء . واعظم جود صدر منه جوده بنفسه في سبيل الله وتسليمه اياها للقتل .

قال رجل عند الحسين : ان المعروف اذا اسدي الى غير اهله ضاع . فقال الحسين ليس كذلك ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر

وقال : ما اخذ الله طاقة احد الا وضع عنه طاعته ، ولا اخذ قدرته الا وضع عنه كلفته .

وقال : اذا سمعت احداً يتناول اعراض الناس فاجتهد ان لايعرفك فان



ضريح الامام ابي عبدالله الحسين (ع) بكربلاء

اشقى الاعراض به معارفه .

وقد اشتهر مع الجود بصفتين من اكرم الصفات الانسـانية واليقهما ببيته وشرفه ، وهما الوفاء ، والشجاعة .

فمن وفائه انه ابى الخروج على معاوية بعد وفاة اخيه الحسن لانه عاهد معاوية على المسالمة (ص ٧٠ ابو الشهداء) .

من اقواله وحكمه :

وللامام الحسين كلمات آية في الابداع وفي ذروة البلاغة ، سهلة اللفظ ، جيدة السبك ، متراصفة الفقرات ، متلائمة الاطـراف ، تملك القـلوب ،

وتستعبد الاسماع كقوله : الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على السنتهم ، يحوطونه ما درت معايشهم ، فاذا محصوا بالبلاء قل الديّانون .

وقد اوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان ، وحسن بيان ، وغنة صوت ، وجمال ايماء ، وقد استخرج (العقّاد) امثلة لذلك منها قوله :

ومن كلام الحسين المرتجل قوله في توديع ابي ذر وقد اخرجه عثمان من المدينة بعد ان اخرجه معاوية من الشام « يا عماه ، ان الله قادر ان يغير ما قد ترى والله كل يوم في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، وما اغناك عما منعوك ، واحوجهم الى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لا يقدم رزقا ، والجزع لا يؤخر اجلا » .

وكان عمره هنا كما جاء في (ابو الشهداء) ثلاثين سنة فيقول العقاد : فكأنما اودع هذه الكلمات شعار حياته كاملة منذ ادرك الدنيا الى ان فارقها في مصرع كربلاء .

ورويت الغرائب في اختبار حذقه بالفقه واللغة ، كما رويت امثال هذه الغرائب في امتحان قدرة ابيه عليهما السلام ، ولخبرته بالكلام ، وشهرته بالفصاحة ، كان الشعراء يرتادونه وبهم من الطمع في اصغائه اكبر من طمعهم في اعطائه ، ومن اقواله عليه السلام :

صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فاكرم وجهك عن رده .

ان اجود الناس من اعطى من لا يرجو ، وإنّ أعفى الناس من عفا عن قدرة ، وانّ أوصل الناس من وصل من قطعه .

الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والصلة نعمة ، والاستكبار صلف ، والعجلة

سفه ، والسفه ضعف ، والغلو ورطة ، ومجالسة اهل الدناءة شر ، ومجالسة اهل الفسق ريبة .

سئل الحسين بن علي (ع) كيف اصبحت يا ابن رسول الله ؟

قال : اصبحت ولي رب فوقي ، والنار امامي ، والموت يطلبني ، والحساب محدق بي ، وانا مرتهن بعملي ، ولا اجد ما احب ولا ادفع ما اكره ، والامور بيد غيري ، فان شاء عذبني ، وان شاء عفا عني ، فاي فقير افقر مني ؟

خصومة يزيد :

ولما مات معوية بن ابي سفيان وذلك في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة كتب يزيد الى عامل المدينة وهو الوليد بن عتبة بن ابي سفيان يأمره انيأخذ البيعة له من الحسين بن علي خاصة ومن اهل المدينة عامة ، ثم يقول في الكتاب «واذا امتنع الحسين عن البيعة فاضرب عنقه وابعث اليّ برأسه»!!

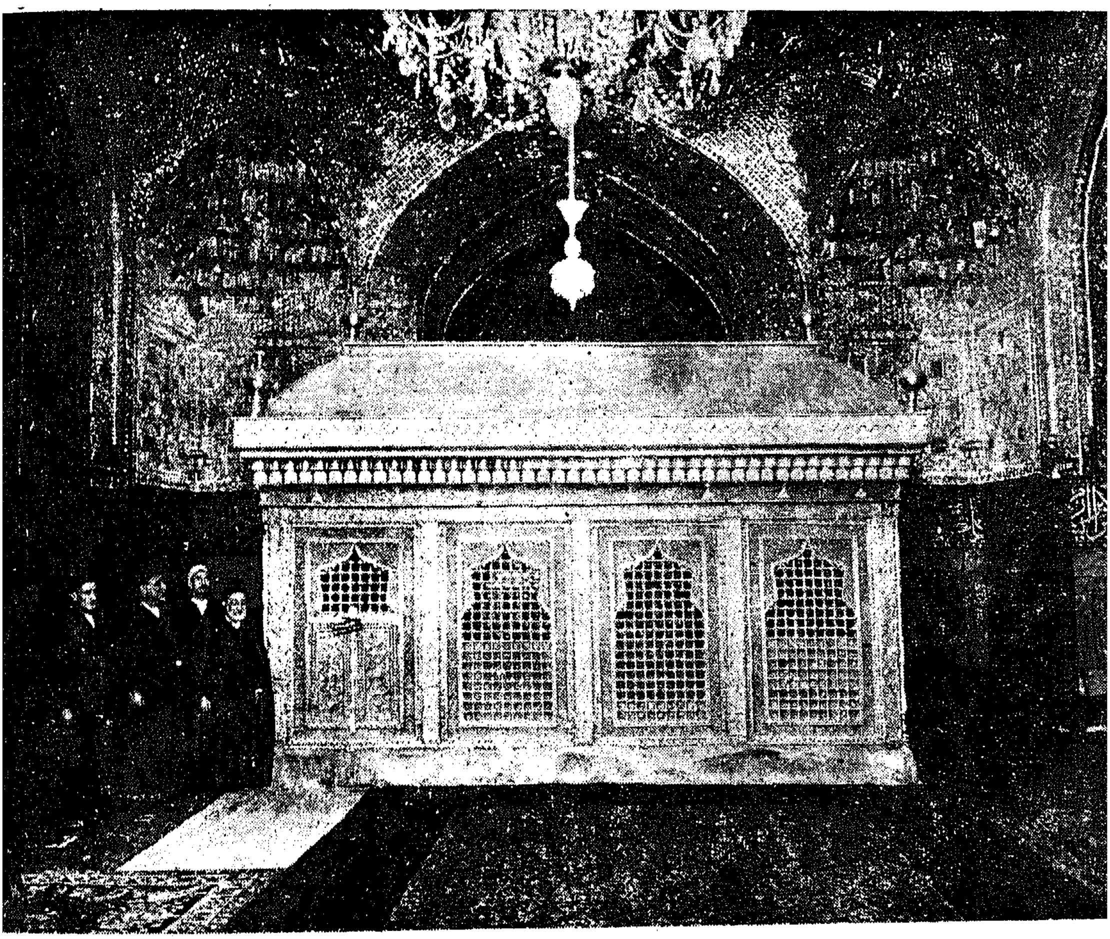
يقول العقاد في كتابه (ابو الشهداء) : « قبل ان يقف الحسين ويزيد كانت الحوادث قد جمعت لها اسباب التنافس والخصومة منذ اجيال ... فقد تنافس هاشم وامية على الزعامة قبل ان يولد علي ومعاوية ، وقد اسلم ابو سفيان وابنه معاوية عند فتح مكة وكان اسلامهما اعسر اسلام عرف بعد فتحها ... وظل ابو سفيان الى ما بعد اسلامه زمناً يحسب غلبة الاسلام غلبة عليه فنظر الى النبي مرة وهو بالمسجد نظرة الحائر المتعجب وهو يقول لنفسه ليت شعري بأي شيء غلبني. فلم يخف على النبي عليه السلام معنى هذه النظرة..»

ولخص المقريزي المنافسة التي بين الهاشميين والامويين في بيتين قال :

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى ، وابن هند لعلي ، وللحسين يزيد

وكان الوليد بن عتبة — وقد تلقى امر يزيد بن معاوية باخذ البيعة من الحسين — رجلا يحب العافية فارسل الى الحسين يطلب منه الحضور في دار الامارة ، فاستدعى الحسين جماعة من اهل بيته واقبل بهم وقال لهم : ان الوليد استدعاني ولا آمن ان يكلفني امراً لا اجيبه اليه ، فكونوا على الباب فان سمعتم صوتي قد علا فادخلوا علي لتمنعوه عني ، وحين صار الى الوليد وجد عنده مروان بن الحكم ، فنعى اليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين ثم قرأ عليه كتاب يزيد فقال : نصبح ونرى ، فقال مروان : والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابداً ولكن احبس الرجل اما ان يبايع او تضرب عنقه ، فوثب اليه الحسين وقال : يا ابن الزرقاء انت تقتلني ام هو ؟ كذبت والله ولئمت ، ثم اقبل على الوليد وقال : يا امير إنّا اهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، بنا فتح الله ، وبنا يختم ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر ، قاتل النفس المحترمة ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظر وتنظرون ، اينا احق بالخلافة والبيعة ؟ وارتفع صوت الحسين فدخل اخوته وابناؤه فقام وخرج . ثم هيأ نفسه وتوجه الى مكة لليلتين بقيتا من رجب وهو يقرأ « فخرج منها خائفاً يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين » ودخل مكة لثلاث ليال خلون من شعبان وهو يقرأ « ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل » ولما بلغ اهل الكوفة امتناع الحسين عن البيعة ليزيد ثارت احاسيسهم وكوامن نفوسهم ضد الامويين فكاتبوا الحسين بالطاعة له والثورة ضد الامويين ، حتى توافدت عليه الوفود وتقاطرت الرسل بآلاف الرسائل ، فارسل الحسين اليهم

ابن عمه مسلم بن عقيل في النصف من شهر رمضان ودخل الكوفة في الخامس من شوال .واقبل الناس على الترحيب به ، وبايعوه حتى احصى ديوانه ثمانية عشر الفاً في ذلك اليوم . اما الحسين فلما علم بذلك توجه يوم التروية لثمان خلون من ذي الحجة ، وفي اثناء الطريق علم بمقتل رسوله مسلم بن عقيل وخضوع الكوفة لامر بني امية وجاءته فصيلة من الجيش يطلبون منه الوصول الى الكوفة والنزول عند امر عبيد الله بن زياد عامل يزيد على الكوفة — فامتنع الحسين واخذ طريقاً لا يرده الى المدينة ولا يدخله الكوفة — لانه اراد الرجوع الى المدينة ، والقوم ارادوا منه القدوم الى الكوفة — فوصل الى



ضريح سيدنا العباس (ع) بكربلاء

كربلاء يوم الخميس وهو اليوم الثاني من المحرم وفي اليوم العاشر من المحرم كانت الوقعة التي هزت الانسانية هزاً عنيفاً والتي اقامت الدنيا واقعدتها .

اولاده :

وكان له من الاولاد ستة ذكور وثلاث بنات وهم :

علي الاكبر شهيد كربلاء — وامه ليلى بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي .

وعلي السجاد المعروف بزين العابدين ، وامه شاه زنان بنت يزدجرد كسرى ملك الفرس ومعنى شاه زنان : ملكة النساء .

جعفر ، مات في حياة ابيه ، ولا بقية له ، وامه قضاعية .

عبد الله ، قتل مع ابيه صغيراً جاءه سهم وهو في حجر ابيه فذبحه .

سكينة بنت الحسين — امها الرباب بنت امرىء القيس الكلبي ، وهي ام عبدالله بن الحسين .

فاطمة بنت الحسين — امها بنت اسحاق بنت طلحه بن عبيد الله تيميّة .

وجاء في كتاب السيرة ان للحسين بنتاً اسمها رقية ، وهي المدفونة بالشام في سوق العمارة ولها ضريح يزار ، ومسجد يجاوره ، يقصده اهل الشام وغيرهم بالنذور والعطور .

ويقال ان للحسين بنتاً رابعة ، اسمها زينب .

مقتله :

لقد كانت الواقعه يوم الجمعة او يوم السبت وهو يوم العاشر من المحرم سنة احدى وستين من الهجرة والمصادف (٦٨٠) في ١٠ اكتوبر وذلك بعد صلاة الظهر وعمره سبع وخمسون سنة وكان عدد من قتل معه من اهل بيته وعشيرته ثمانية عشر نفساً : فمن اولاد علي ستة وهم : العباس ، وعبدالله ، وعثمان ، وجعفر ، وعبيد الله ، وابو بكر .

ومن اولاد الحسن ثلاثة وهم : القاسم ، وابو بكر ، وعبيد الله .

ومن اولاد الحسين اثنان وهما علي بن الحسين ، وعبد الله الطفل المذبوح بالسهم .

ومن اولاد عبد الله بن جعفر اثنان وهما : محمد ، وعون .

ومن اولاد عقيل ثلاثة وهم : عون ، وجعفر ، وعبد الرحمن .

ومن اولاد مسلم بن عقيل اثنان وهما : عبد الله ، وعبيد الله .

فهؤلاء ثمانية عشر نفساً من اهل البيت قتلوا مع الحسين وكلهم مدفونون فيما يلي رجلي الحسين في مشهده بكربلاء ، واما العباس فانه دفن ناحية عنهم في موضع المعركة عند المسناة وقبره ظاهر .

الامام الرابع

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

هو رابع لأئمة عند الشيعة ـ وزين العابدين اشهر القابه ، ولد بالمدينة الطيبة يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان او لتسع خلون منه، وقال الشيخ في (المصباح) وابن طاوس في (الاقبال) ان مولده كان في النصف من جمادى الاولى ، وذلك سنة ثمان وثلاثين او سبع وثلاثين او ست وثلاثين ، اي في خلافة جده امير المؤمنين بغير خلافُ من ذلك ، وكان عمره يوم واقعة الطف بكربلاء ثلاثاً وعشرين سنة ، وبقي بعد ابيه اربعاً وثلاثين سنة على الاشهر، فتكون ولادته بالتاريخ الميلادي سنة ٧١٥ ، قال المفيد في الارشاد : وكان امير المؤمنين علي عليه السلام ولّى حرّيث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق فبعث اليه ببنتي يزدجرد بن شهريار فنحل ابنه الحسين (شاه زنان) منها فأولدها زين العابدين وماتت في نفاسها ، فهي ام ولد [1] ونحل الاخرى محمد

( ) معنى ام ولد عند العرب هي التي ملكت قهراً بالسيف ، وعند الفقهاء هي المملوكة ، يتزوجها المالك فيجعل عتقها صداقها ويطؤها بملك اليمين وتحمل منه فاذا مات المالك وقد ولدت له اعتقت من نصيب ولدها . وتسميها العرب : فتاة ، وجارية ، وامة ، وسرية ، ومملوكة ، وام ولد .

بن ابي بكر ، فولدت له القاسم فهما ابنا خالة ، وشهد زين العابدين وقعة كربلاء مع ابيه الحسين وحال بين اشتراكه في الحرب مرضه واسر وسبي ولما لم يطق الركوب والثبات فوق ظهر الجمل لشدة مرضه قيّد بالحبال ووضعت الجامعة في رقبته وجيء به على هذه الحالة وادخل مع السبايا من عيالات الحسين الى مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة ثم مجلس يزيد بن معاوية في الشام وقد جرت في المجلس الاول محاورة غضب لها ابن زياد وامر بقتله فما راع زين العابدين هذا التهديد وقال لابن زياد :

« أبالقتل تهددني يا ابن زياد ؟ اما علمت ان القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة » .

وفي المجلس الثاني ندد باعمال يزيد وارتكابه قتل ريحانة رسول الله وذكره بمنزلة آبائه واجداده. ففي الوقت الذي كان جده الامام علي يرفع راية الاسلام كان معاوية وابوه يحملان راية الكفر يذبان عن الشرك والالحاد وقال ليزيد : **« يا يزيد انك لو تدري ماذا صنعت وما الذي ارتكبت من ابي واهل بيتي واخي وعمومتي اذن لهربت في الجبال وافترشت الرمال ، ودعوت بالويل والثبور » الى ان قال له « فابشر بالخزي والندامة »**

صفاته

كان يدعى (زين العابدين) ويدعى (بالسجاد) ويدعى (بذي النفثات) وقد امتلأ التاريخ باخبار زهده وكرمه وبلاغته

وروي انه حج على ناقته عشرين حجة فما قرعها بسوط ، وفي رواية : اثنتين وعشرين حجة ، ولقد سئلت عنه مولاة له ، فقالت أأطنب ام اختصر ؟ فقيل لها بل اختصري : فقالت ما اتيته بطعام في نهار قط وما فرشت له فراشا بليل قط .

وجرى ذكره في مجلس عمر بن عبد العزيز فقال « ذهب سراج الدنيا وجمال الاسلام زين العابدين » وقال ابن خلكان هو احد الائمة الاثني عشر ، ومن سادات التابعين وكان يصلي في الليل واليوم الف ركعة وروى الاربلي في (كشف الغمة) فقال « **كانت له جارية تصب الماء على يده ففغلت فسقط الابريق من يدها على وجه الامام فشجه فرفع رأسه اليها فقالت : والكاظمين الغيظ ، قال : كظمت غيظي ، قالت والعافين عن الناس ، قال عفوت عنك ، قالت : والله يحب المحسنين ، قال : اذهبي فانت حرة لوجه الله..** »

وكان عليه السلام لا يضرب مملوكا له بل يكتب ذنبه عنده حتى اذا كان شهر رمضان جمعهم ؛ وقررهم بذنوبهم ، وطلب منهم ان يستغفروا له الله كما غفر لهم ، ثم يعتقهم ويجيزهم بجوائز اي يفض عليهم الهبات والصلات ، وما استخدم خادما فوق حول ، وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه قال ووفد الناس عليه في المسجد يلمسون يده محبة للخير وتفاؤلا ، فكان الرجل يدخل الى مسجد رسول الله فيراه ، فيذهب اليه من فوره ، او بعد صلاته ، يقبل يده ويضعها على عينيه يتفاءلون ويرجون الخير .

وجاء في (الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي : كان علي بن الحسين يتصدق سراً ويقول صدقة السر تطفيء غضب الرب ، قال: وقال ابن عائشة سمعت اهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين ، وعن رواية احمد بن حنبل والصدوق في (الخصال) عن الامام الباقر عليه السلام . انه كان يعيل بمائة بيت فقير من فقراء المدينة وكان في كل بيت جماعة من الناس ، وانه كان يحمل الجراب على ظهره بالليل فيتصدق به . وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله ، واذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته ، وكان يلبس في الشتاء ثياب الخز ، فقيل له تعطيها من لا يعرف قيمتها ولا تليق به لباسا ، فلو بعتها فتصدقت بثمنها ، فقال اني اكره ان

ابيع ثوباً صليت فيه ، واراد الحج فاتخذت له اخته سكينة طعاما بالف درهم فلما صار (بظهر الحرة) تصدق به على المساكين .

ولما كانت وقعة (الحرة) اراد مروان ان يستودع اهله، فلم يأوهم احد، وتنكر الناس له ومروان من يعرف التأريخ كرهه لاهل البيت — الا الامام زين العابدين فانه جعل اهل مروان مع عياله ، وجمع اربعماية ضائنة [1] بحشمهن فضمهن الى بيته ، حتى قالت واحدة : **« والله ما عشت بين ابوي كما عشت في كنف ذلك الشريف »** .

وحكي عن (ربيع الابرار) للزمخشري : انه **« لما وجّه يزيد بن معاوية قائده مسلم بن عقبة لاستباحة المدينة المنورة ، ضم علي بن الحسين عليه السلام الى نفسه اربعمائة ضائنة بحشمهن يعولهن الى ان تقوض جيش مسلم ، فقالت امرأة منهن : (ما عشت والله بين ابوي بمثل ذلك الشريف) »** .

وعن الامام الباقر قال : لما حضرت ابي علي ابن الحسين الوفاة ضمني الى صدره ، وقال : يا بني اوصيك بما اوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر ان اباه اوصاه به قال: يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله، وسئل الامام علي بن الحسين عن العصبية فقال **« العصبيه التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم »** .

من اقواله وحكمه

كان زين العابدين الى جانب ما اشتهر به من الزهد والتقوى والكرم

---

(١) الضائنة — هي المرأة الضعيفة .

نسيج وحده في عصره من حيث البلاغة وان (الصحيفة السجادية) التي تجمع ادعيته وابتهالاته لهي الواح خالدة من البلاغة والحكمة والفلسفة ومعرفة الله.

يقول في حمده الله وتمجيده « الحمد لله الاول بلا اول كان قبله، والاخر بلا اخر يكون بعده، الذى قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين، وعجزت عن نعته اوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعـــا، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق ارادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تاخيرا عما قدمهم اليه، ولا يستطيعون تقدما الى ما اخرهم عنه، وجعل لكل روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه، لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد، ثم ضرب له في الحياة اجلا موقوتا، ونصب له امداً محدوداً، يتخطأ اليه بايام عمره، ويرهقه باعوام دهره، حتى اذا بلغ اقصى اثره، واستوعب حساب عمره، قبضه الى مـــا ندبه اليه من موفور ثوابه، او محـــذور عقابه، ليجزي الذين اساؤا بمـــا عملوا، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى، عدلا منه، تقدست اسماؤه، وتظاهرت آلاؤه، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون،

والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفـــة حمده على ما ابلاهم من مننه المتتابعة، واسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، التصرفوا في منته فلم يحمدوه، وتوسعوا في رزقـــه فلم يشكـــروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حـــدود الانسانية الى حدود البهيمية، فكانوا كما وصف في محكم كتابه (ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) ... »

ومن دعائه قوله: « **اللهم اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم انصره، ومن معروف أسدي الي فلم اشكره، ومن مسيء اعتذر الي فلم اعذره، ومن ذي فاقة سألني فلم اوثره، ومن حق ذي حق لزمني فلم اوفره، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم استره** »

ومن دعائه في مكارم الاخلاق قوله :

« اللهم صل على محمد واله وحلّني بحلية الصالحين ، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل ، وكظم الغيظ ، واطفاء النائرة ، وضم اهل الفرقـــة ، واصلاح ذات البين، ولين العريكة ، وخفض الجناح ، وحسن السيرة والسبق الى الفضيلة والقول بالحق وان عزّ، واستقلال الخير وان كثر من قولي وفعلي، واستكثار الشر وان قل من قولي وفعلي ، ولا ترفعني في الناس درجـــة الا حططتني عند نفسي مثلهـا ، ولا تحدث لي عزّا ظـاهراً الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها » .

وفاته

وروى بن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ان الامام علي بن الحسين مات مسموماً ، سمه الوليد بن عبد الملك ، وقال الصدوق وابن طاووس في الاقبال سمّه الوليـد بن عبد الملـك ، فلما توفي غسله ولده (محمـد الباقر) وحنطه ، وكفنه ، وصلى عليه ودفنه ،

قال سعيد بن المسيب وشهد جنازته البر والفاجر ، واثنى عليـه الصالح والطالح ، وانهال الناس يتبعونه حتى لم يبق احد ، ودفن بالبقيع مع عمـه الحسن في القبة التي فيها العباس ،

توفي عليه السلام بالمدينة سنة خمس وتسعين من الهجرة في شهر المحرم ٢٥ منه وله ٥٧ سنة من العمر على المشهور ، والعقب من الحسين منحصر فيـه ، ومنه تناسل ولد الحسين عليه السلام .

اولاده

اولاد الامام زين العابدين خمسة عشر :

ابو جعفر الباقر — امه فاطمة بنت الحسن السبط ،

عبدالله ، الحسن ، الحسين الاكبر ، امهم ام ولد ،

زيد ، عمر ، امهما ام ولد ،

الحسين الاصغر ، عبد الرحمن ، سليمان ، امهم ام ولد ،

علي (وهو اصغر ولده) خديجة ، امهما ام ولد ،

محمد الاصغر امه ام ولد ،

فاطمة ، علية ، ام كلثوم ، امهن ام ولد .

قال الشيخ عباس القمي في (سفينة البحار) . وهؤلاء كلهم من امهات اولاد الا ابو جعفر الباقر وعبد الله الباهر . فان امها ام عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ،

وقال ابن زهرة في (غاية الاختصار) وعقب الامام السجاد في ستة رجال : محمد الباقر ، عبدالله الباهر ، عمر الاشرف ، زيد الشهيد ، حسين الاصغر ، علي الاصغر .

الامام الخامس

ابو جعفر محمد الباقر

بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته :

ابو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولد بالمدينة المنورة ، يوم الجمعة وقيل يوم الاثنين غرة رجب وقيل ثالث صفر كما في (الوفيات) سنة سبع وخمسين من الهجرة المصادف ٦٧٦ م وقبض بها يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة اربع عشرة ومائة المصادف ٧٣٢ م وعمره يومئذ سبع وخمسون سنة مثل عمر ابيه وجده .

عاش مع جده الحسين عليه السلام ثلاث سنين وقيل اربع سنين ، وامه فاطمة بنت الحسن السبط ، فهو اول علوي ولد بين علويين ، واول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين ، وتكنى امه بأم عبد الله وام الحسن ، قال الامام الصادق : كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن امرأة مثلها ،

ويكنى بابي جعفر ، ويلقب بالباقر .

صفاتـــه

قـال ابن شهر آشوب في (المناقب) كان الامام محمـد الباقر ، ربع القامة ، رقيق البشرة ، جعد الشعر ، اسمر له خـال عـلى خـده ، ضامر الكشح ، حسن الصوت ، مطرق الرأس ، وكان اصـدق للنـاس لهجـة ، واحسنهم بهجة ، وابذلهم مهجة .

قال الشيخ المفيد في (الارشاد) : وكان الباقر محمد بن عـلي بن الحسين عليهم السلام من بين اخوتـه خليفة ابيـه ، ووصيه ، والقائم بالامامة من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم ، والزهد ، والسؤدد ، وكان انبههم ذكرا ، واجلّهم في العامة والخاصة ، واعظمهم قدرا ، ولم يظهر عن احد عن ولد الحسن والحسين من علم الدين ، والاثار ، والسنة ، وعـلم القرآن ، والسيرة ، وفنون الآداب ما ظهر عن ابي جعفر ، وروى عنـه معـالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤساء الفقهـاء المسلمين ، وكتبوا عنـه تفسير القرآن ، **وقال ابن سعد في (الطبقات) « وكان محمـد الباقر عالما عابداً ، ثقة ، وروى عنه ابو حنيفة وغـيره » وقال ابن خلكان في (الوفيات) « وكان الباقر عالما سيدا كبيرا ، وانما قيل له الباقر لانـه تبقر في العلم اي توسع »** .

وقـال ابـن حجر في (الصواعق) : « أظهر الباقر من مخبئات كنوز المعارف ، وحقائـق الاحكام والحكم واللطائف مـالا يخفى الاعـلى منطمس البصيرة ، او فاسد الطوية والسريرة » .

وقال ابن ابي الحديد في **(شرح نهج البلاغة) (كان محمـد بن علي بن الحسين سيد فقهاء الحجاز ، ومنه ومن ابيه جعفر تعلم الناس الفقه)** .

قال الفيروز آبادي في (قاموس المحيط) لقب بالباقر لتبحره بالعلم و (في لسان العرب) لابن منظور : « لقب به لانه بقر العلم ، وعرف اصله ، واستنبط فرعه ، وتوسع فيه ، و (التبقر) التوسع » .

وجاء في (امالي) ابي علي القالي قال : دخل ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين على عمر بن عبد العزيز ؛ فقال يا ابا جعفر أوصني قال (اوصيك ان تتخذ صغير المسلمين ولدا ؛ واوسطهم اخاً ؛ وكبيرهم ابا ؛ فارحم ولدك ؛ وصل اخاك ؛ وبرّ اباك ؛ واذا صنعت معروفا فربّه) اي أدمه .

وقال (الذهبي) في تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٧ « الطبقة الثالثة من التابعين ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ، الثبت الهاشمي العلوي ، احد الاعلام ، وكان سيد بني هاشم في زمانه ، اشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم يعني شقه فعلم اصله وخفيّه » .

من اقواله وحكمه

من اقواله المشهورة قال في اقسام العبادة (ان قوما عبدوا الله رغبة ، فتلك عبادة التجار ، وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار .

قال الجاحظ ؟ « جمع الباقر صلاح شان الدنيا بحذافيرها بكلمتين حيث قال « صلاح شان التعايش والتعاشر مثل مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل » .

قال الجاحظ : انه لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ، لان الانسان لا يتغافل عن شيء الا وقد عرفه وفطن له ،

وقال الباقر في الزوجة : « اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت ، وتطيعني اذا أمرت ، وتحفظني اذا غبت » .

وقال في الكبر « ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر الا ونقص من

عقله مثل ما دخل فيه قل او كثر » .

وجاء في كشف الغمة للاربلي : ان اجتمع عند البـاقر مرة نفر من بني هاشم وغيرهم فقال :

« اتقوا الله شيعة آل محمد ، وكونوا النمرقة الوسطى ، يرجع اليكم الغالي، ويلحق بكم التالي » .

قالوا وما الغالي ؟

قال : الذي يقول فينا ما لا نقوله في انفسنا .

قالوا : وما التالي ؟

قال : الذي يطلب الخير فيزيد فيه خيراً والله ما بيننا وبين الله قرابة ، ولا لنا على الله من حجة ، ولا نتقرب اليه الا بالطـــاعة ، فمن كان منكم مطيعاً لله يعمل بطاعته نفعته ولايتنا اهل البيت ، ومن كان منكم عاصياً الله بعمل بمعاصيه لم تنفعه ولايتنا ، ويحكم لا تفتروا (وقالها ثلاثاً) . . ثم الحذر ن الكبر . . . »

اولاده : سبعة وهم :

جعفر الصادق ، عبد الله ، امهما فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر.
ابراهيم ، عبد الله . (لم يعقبا) امهما ام حكيم الثقفية .
علي ، زينب ، لام ولد .
ام سلمة ، لام ولد .

وفاته

توفي الامام الباقر في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقال الصباغ المالكي (الفصول المهمة) : انه مات بالسم في زمن ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك

وقبض بالمدينة يوم الاثنين سابع ذى الحجة سنة اربع عشرة ومائة من الهجرة (٧٣٢ م) وعمره يومئذ سبع وخمسون سنة مثل عمر ابيه وجده ودفن بالبقيع الى جانب ابيه زين العابدين وعم ابيه الحسن ، في القبة التي فيها العباس .

الامام السادس

ابو عبدالله جعفر الصادق

بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته

ولد بالمدينة يوم الجمعة او الاثنين عند طلوع الفجر في السابع عشر من ربيع الاول وقيل غرة رجب سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وقيل عام الجحاف سنة ثمانين من الهجرة رواه ابن طلحة في (مطالب السؤول) اما القول الاول فرواه المفيد والكليني والشهيد وبالتاريخ الميلادي اما ان يكون سنة ٧٠٠ او ٧٠٣ م .

امه فاطمة المكناة بام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر ، والقاسم ابوها هو من ثقاة الامام زين العابدين واحد الفقهاء السبعة بالمدينة [١] وجدها

(١) وكان من سادة التابعين وافضل اهل زمانه المتفق على علمه وفقهه بين المسلمين توفي سنة (١٠١) وقيل ١٠٢ بقديد وعمره سبعون سنة .

محمد بن ابي بكر كان بمثابة ولد من اولاد الامام امير المؤمنين وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر ، قــــالوا ولذا قال الامام الصادق ولدني ابو بكر مرتين وهو الامام الذي تنتهي اصول الشيعة ومذهبهم اليـــه ولذلك سموا بالجعفرية وسمي الامامية بالجعفريين نسبة الى جعفر الصادق .

واشهر القاب الامام هو (الصادق) وقال كثير من العلماء : لقب به لصدق حديثه .

صفاته

قال ابن شهر اشوب كان ربع القــــامة ، ازهر الوجه ، حالك الشعر جعده اشم الانف انزع ، دقيق المسربة على خده خال اسود وجاء في كتاب (الامام الصادق) لمؤلفه محمد ابي زهرة ما نصه : كان الامام الصادق ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ابيض الوجه . ازهر له لمعان كأنه السراج اسود الشعر جعده اشم الانف قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً وعلى خده خال اسود .

وقال كال الدين محمد بن طلحة في كتابه (مطالب السؤول) وكان الصادق من عظماء اهل البيت وساداتهم ، ذا علوم جمة ، وعبادة موفورة ، واوراد متواصلة ، وزهادة بينة ، وتلاوة كثيرة ، يتتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجائبه .

علومه

اشتهر الامام جعفر الصادق بغزارة العلوم ولا سيا في الطب . والكيمياء وخلف آثاراً عجيبة من ذلك (طب الصادق) و (امـــاليه) وقد خلف عشرات من كبار علماء الطب والفلك والكيمياء وكلهم يروي عنه بالاضافة

الى علم الكلام والفقه والحديث وقد روى جابر بن حيان الكيماوي العربي الشهير الشيء الكثير من الآراء الكيمياوية في مؤلفاته عن الامام جعفرالصادق وقال الدكتور محمد يحيي الهاشمي في كتابه (الامام الصادق ملهم الكيمياء) ان (هولميارد) قد اورد في دراسته لجابر بن حيان في نشرات الجمعية الطبية الملكية البريطانية ما يؤكد استقاءه علمه من معين الامام جعفر الصادق اذ يقول (هولميارد) « ان جابراً هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه وقد وجد في إمــامه الفذ سنداً ومعيناً وراشداً اميناً وموجهاً لا يستغني عنه وقد سعى جابر ان يحرر الكيمياء بارشاد استاذه من اساطير الاولين التي علقت بها من الاسكندرية فنجح في هذا السبيل الى حد بعيد من اجل ذلك يجب ان يقرن اسم جابر مع اساطين هــذا الفن في العالم امثال (بويله) و (بريستله) و (لا فوازيه) وغيرهم من الاعلام » .

ثم يقول واذا درسنا فهرست ابن النديم نجد حقيقتين لا محيد عنهما .

اولاً ــ : ان جابراً كان على اتصال مع البرامكة

ثانياً ــ مع أئمة الشيعة المعاصرين له

وقد ناقش البعض كيفية احاطة الامام جعفر الصادق بكل هذه العلوم ولا سيما علم الكيمياء ومن هؤلاء كان (روسكا) ورد عليهم العلماء الآخرون بالدراسة المنطقيه المثبتة ومن هؤلاء الرادّين (هولميار) والدكتور محمد يحي الهاشمي،واسماعيل مظهر، الذي يتلخص رده على (روسكا) بان (روسكا) اذا قال انه لم يعرف ان (المدينة) كانت مركزاً لدراسة علم الكيمياء ــ ان كان صحيحاً ــ فان صحته لا تنافي مطلقاً ان يكون الامــام جعفر الصادق قد درس الكيمياء في مكان آخر ثم يقول :

ولهذا نقول بان جعفراً إذ كان من عمدة الشيعة وائمتها الكبار وإذ كان على اتصال بشيعة فارس (وكانوا يعكفون على الاشتغال بالكيمياء) فلهذا

ليس من سبب ظاهر يحول دون الاعتقاد بانه كان يشتغل بعلم الكيمياء من طريق نظري على الاقل ان لم يكن من طريق عملي تجربي .

وقال كمال الدين محمد بن طلحة في كتابه (مطالب السؤول) : وكان ممن نقل عن الصادق الحديث وافاد منه العلم جماعة من اعيان الائمة واعلامهم مثل يحي بن سعيد الانصاري ، وابن جريح ومالك بن انس ، وسفيان الثوري[1] ، وابن عيينه، وابي حنيفة ، وشعبة بن الحجاج، وايوب السجستاني وغيرهم وعدوا اخذهم منه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها .

وقال مالك بن انس — فقيه اهل السنة — ما رأت عين ، ولا سمعت اذن ، ولا خطر على قلب بشر ، افضل من جعفر الصادق فضلاً ، وعلماً ، وعبادة ، وورعاً ، وكان لا يخلو من احدى حالات ثلاث : اما صائماً ، واما قائماً ، وقال الشهرستاني في الملل رالنحل « هو ذو علم غزير في الدين ، وادب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد اقام بالمدينة مدة ثم دخل العراق واقام به مدة ، ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع احداً في الخلافة ، ومن غرف في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ، وقيل من انس بالله استوحش عن الناس ، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس ، وهو من جهة الاب ينتسب الى شجرة النبوة ، ومن جانب الام الى ابي بكر » انتهى ...

قال الشيخ المفيد في (الارشاد) ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلدان ، قال الحسن بن علي الوشا من اصحاب الرضا عليه السلام — ادركت في هذا المسجد — يعني مسجد الكوفة — تسعماية شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ، ودخل عليه سفيان الثوري

(١) سفيان الثوري من اجلاء علماء عصره وهو كابي حنيفة وغيره من معاصريه وقد ضيقت السلطة الزمنية شهرته .

يوماً فسمع منه كلاماً اعجبه، فقال هذا والله — يا ابن رسول الله — الجوهر. فقال له: بلى هذا خير من الجوهر وهل الجوهر الا حجر .

قال ابن شهر آشوب : لا يخلو كتاب من كتب الحديث ، والحكمة ، والزهد ، والموعظة ، من كلام الامام الصادق : قال ابن خلكان في (وفياته) « جعفر بن محمد الصادق هو احد الائمة الاثني عشر — على مذهب الامامية — وكان من سادات اهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته . وفضله اشهر من ان يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء ، والزجر ، والفال . وكان تلميذه ابو موسى الزاجز جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على الف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة » . وقال القرماني في ص ١١٢ « الفصل الخامس في ذكر عالم الحقائق والدقائق الامام جعفر الصادق رضي الله عنه » وكان من بين اخوته خليفة ابيه ووصيه نقل عنه العلوم ما لم ينقل عن غيره وكان رأساً في الحديث وروى عنه يحي بن سعيد ، وابن جريح، ومالك بن انس، والثوري، وابن عيينه، وابو حنيفة وشعبة ابو ايوب السجستاني ، وغيرهم » وقد نقل ان كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن [١] ونقل ابن شهر اشوب عن مسند ابي حنيفة « ان حسن بن زياد قال سمعت ابا حنيفة وقد سئل من افقه الناس ممن رأيت ؟ قال: جعفر الصادق بن محمد ، لما طلبه المنصور من المدينة ارسل الي وقال قد فتن الناس بجعفر بن محمد، فتأهّب ان تسأله اشكل مسائلك ، فاحضرت له اربعين مسألة فاحضرني المنصور وكان في (الحيرة) فقصدته ورأيت جعفر جالساً عن يمينه فلما وقع نظري عليه هبته هيبة لم أهب مثلها

١ — الجفر من اولاد المعز ما بلغ اربعة اشهر وانفصل عن امه . يؤخذ جلده فيلف فيه وربما يتوهم البعض ان الجفر فيه علوم الغيب او علم الحروف الذي يستنتج منه حوادث العالم ولكن الذي عليه علماؤنا ان الجفر كتاب فيه مختلف العلوم الدنيوية والاخروية .

المنصور مع شدة بطشه فسلمت عليه فأشار اليّ بالجلوس ، فتوجه الى الصادق وقال يا أبا عبد الله ان هذا ابو حنيفة ، فقال اعرفه ، ثم توجه اليّ المنصور وقال : سل ابا عبد الله عن مسائلك . . فما زلت اسأله فيجيب ويقول انتم تقولون كذا واهل المدينة يقولون كذا وكانت فتواه تارة موافقة لنا واخرى موافقة لاهل المدينة ، وربما خالف الجميع في بعض فتواه فلم يخل بواحدة منها،اذا فأعلم الناس باختلاف الاقوال اعلمهم جميعاً وافقههم »

وفي (حلية الاولياء) لابي نعيم بعد ما جاء باسماء اعلام الاسلام وروايتهم عنه قال واخرج عنه مسلم في صحيحه ، محتجاً بحديثه ، وكان مالك بن انس اذا حدث عنه قال : « حدثني الثقة بعينه »

بعض اقواله وحكمه

من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

ثلاثة لا يزيد الله بها المسلم الا عزاً : الصفح عمن ظلمه ، والاعطاء لمن حرمه ، والصلة لمن قطعه ، من حقيقة الايمان ان تؤثر الحق وان ضرّك،على الباطل وان نفعك ، وان لا يجوز منطقك عملك ،

تهادوا وتحابوا فان الهدية تذهب بالضغائن ،

الغضب مفتاح كل شر ،

من لم يملك غضبه لم يملك عقله ،

انقص الناس عقلا من ظلم من دونه ولم يصفح عمن اعتذر اليه ،

المؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق ، واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ،

طلب الحوائج الى الناس استلاب للعز ، ومذهبة للحياء ، واليأس مما في

ايدي الناس عز للمؤمن في دينه ، والطمع هو الفقر الحاضر .

لا تغتب فتُغتب ، ولا تحفر لاخيك حفرة فتقع فيها،فانك كما تدين تدان

الحياء من الايمان ، من رقّ وجهه رقّ علمه ، لا ايمان لمن لا حياء له

سرّك من دمك فلا تجره في غير اوداجك ، وصدرك اوسع لسرّك

الرجال ثلاثة : رجل بماله ، ورجل بجاهه ، ورجل بلسانه ، وهو افضل الثلاثة مجاملة الناس ثلث العقل

المنّ يهدم الصنيعة

افضل الصداقة ابراد كبد حرى

اربعة تذهب ضياعاً : مودة تمنحها من لا وفاء له ، ومعروف عند من لا شكر له ، وعلم عند من لا استماع له ، وسر تودعه من لا حصانة له

المعروف ابتداء ، فاما مـــا اعطيته بعد المسألة فانما كافيته بما بذل لك من وجهه

والامام الصادق نسيج وحده من حيث سمو الخلق وحسن الادب ولطف المعشر فمن وصية يوصي بها عنوان البصري : « . . . ومن شتمك فقل له ان كنت صادقاً فاسأل الله ان يغفر لي ، وان كنت كاذباً فيما تقول فالله اسأل ان يغفر لك » .

اولاده :

اولاده وعددهم عشرة :

اسماعيل (١) ، وعبدالله (٢) ، اسماء ،وقيل عالية ، وتكنى بأم فروة ، مهم بنت الحسين بن علي بن الحسين بن ابي طالب ، موسى الـــكاظم ،

١ اكبر اولاد الامام وهو جد الخلفاء الفاطميين في المغرب ومصر .

٢ - هو الولد الثاني بعد اسماعيل .

اسحاق ،محمد (١) المعروف بالديباج ، فاطمة الكبرى، امهم ام ولد، اسمها حميدة بنت صاعد العباس ، علي (٢) فاطمة الصغرى ، لامهات اولاد شتى .

وفاته

مجمل عمر الامام الصادق خمس وستون سنة — وهو اكبر الائمة سناً — توفي بالمدينة المنورة يوم الاثنين لخمس بقين من شوال وقيل في منتصف رجب سنة ١٤٨ ثمان واربعين ومـــائة ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وعمه الحسن عليهم السلام .

قال الكفعمي مات الامام الصادق مسموماً في عنب ، وقال ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) يقـــال ان جعفر الصادق مات بالسم في ايام المنصور، وعن ابن بابويه سمه المنصور .

---

١ — قبره في بسطام وجرجان - وهي الناحية المعروفة باستراباد .
٢ — المعروف بالعريض ومشهده بقم وانما سمي بالعريض لان له قرية يملكها بالعريض وهي على فرسخ من المدينة .

الامـام السابع

موسى الكاظم

بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

هو سابـع ائمة اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين . ولد بالابواء [1] يوم الاحد سابـع صفر سنة ثمان وعشرين ومائة المصادف ٧٤٥ م .

امه ام ولد يقال لها حميدة بنت صاعـــد المغربية ويقال انها اندلسية ، وانها كانت حميدة الصفات وتلقب بـ (المصفاة) وان زوجها الصادق لقبهـا بذلك .

القابه وكناه

يكنى بابي ابراهيم ، وبابي الحسن الاول، واشهر القابه الكاظم ، ويعرف بالعبد الصالح حتى اشتهر بذلك ، قال فيه القرماني هو الامام الكبير القدر الاوحد الحجة الساهر ليله قائماً ، القاطع نهاره صائمـــاً المسمى لفرط حبه

(١) منزل بين مكة والمدينة قريب من الجحفة .

وتجاوزه عن المعتدين كاظما ، وهو المعروف عند اهل العراق بباب الحوائج لانه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط .

صفاته

قال ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) هو المعروف عند اهل العراق بباب الحوائج لنجح قضاء حوائج المتوسلين به . وقال الشيخ المفيد في (الإرشاد) وكان موسى بن جعفر عليهما السلام اجل ولد ابي عبدالله قدرا ، واعظمهم محلا ، وابعدهم في الناس صيتا ، ولم ير في زمانه أسخى منه ولا اكرم نفسا وعشرة ، وكان اعبد اهل زمانه ، واورعهم ، واجلهم، وافقههم ، واسخاهم كفاً ، واكرمهم نفساً ، وكان اوصل الناس لاهله ورحمه ، وكان يتفقد فقراء المدينة بالليل فيحمل اليهم الزنبيل فيه العين [1] والورق [2] والادقة [3] والتمر فيوصل اليهم ذلك ولا يعلمون من اي جهة هو !!

وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين ، ويسمى بالكاظم لكظمه الغيظ والصبر عليه من فعل الظالمين به حتى مضى قتيلا في حبسهم ووثاقهم .

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السوؤل عن مناقب الرسول) في الامام الكاظم : هو الامام الكبير القدر ، العظيم الشان ، الكثير التهجد ، الجاد في الاجتهاد ، المشهور بالعبادة ، المواظب على الطاعات ، المشهور بالكرامات ، يبيت الليل ساجدا وقائما ، ويقطع النهار متقصدا وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظما ، كان يجازي المسيء باحسانه اليه، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه، ولكثرة عباداته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق (بباب الحوائج الى الله) لنجح

---

١ - الذهب ، ٢ - الفضة ، ٣ - جمع دقيق الطحين .

المتوسلين به الى الله ، كراماته تحار منها العقول،وتقضي بان له عند الله تعالى قدم صدق لا تزول .

قال ابن خلكان في (وفيات الاعيان) كان موسى بن جعفر سخياً كريما ، وكان يسمع عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار . وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار واربعمائة دينار ، ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة. قال ابو الفرج في (مقاتل الطالبيين) «وكانت صرار موسى مثلاً» . وعن (عمدة الطالب) كان اهله يقولون عجبا لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة .

وكان الكاظم انيق الملبس ، جميل الثياب ، وقد روى عبد الله بن جعفر الحميري عن ولده الرضا انه قال : قال لي ابي (اي الكاظم) ما تقول في اللباس الحسن؟ فقلت بلغني ان (الحسن) كان يلبس ، فقال لي البس وتجمل فان علي بن الحسين كان يلبس الجبة الخز بخمسماية درهم والمطرف الخز بخمسين دينارا فيشتو فيه فاذا خرج الشتاء باعه فتصدق بثمنه وتلا هذه الآية :

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)

ملكاته الادبية

وفي تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة قال ابو حنيفة : حججت في ايام ابي عبدالله الصادق ، فلما اتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز انتظر اذنه اذ خرج صبي فقلت: يا غلام اين يضع الغريب الغائط من بلدكم ؟ قال على رسلك ثم جلس مستندا الى الحائط ثم قال :

ــ توق شطوط الانهار ، ومساقط الثمار ، وافنية المساجد ، وقارعة الطريق ، وتوار خلف جدار ، وشل ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها

وضع حيث شئت ، فاعجبني مـــا سمعت من الصبي — يقول ابو حنيفة — فقلت له :

— ما اسمك ؟

فقـــال — انا موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب ! !

كان هارون الرشيد يرى ويشاهد اقبال الناس على الامـــام الكاظم عليه السلام والقبول منه ، والاخذ عنه والرجوع اليه ، وعندما يراه مالكاً قلوب الناس متمتعاً بهذه الشعبية المحبوبة تساوره الهواجس ويحاذر على سلطانه منه ، فتراه تاره يسأله فيقول له كيف صرتم ذرية رسول الله وانتم بنو علي وانما ينتسب الرجل الى جده لابيه دون جده لامه ؟ فيجيبه الامام موسى بقوله (ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحي وعيسى) وليس لعيسى اب وانما أُلحق بذرية الانبياء من قبل امه ، وكذلك الحقنا بذرية النبي من قبل امنا فاطمة . ثم قال الكاظم للرشيد: لو نشر رسول الله وخطب اليك كريمتك اكنت تزوجه؟فقال نعم وافتخر على العرب والعجم ، قال الامام ولكنه لا يخطب مني ولا ازوجه لانه ولدنا ولم يلدكم . . .

من اقواله وحكمه

التدبير نصف العيش ، والتودد الى الناس نصف العقل .

كثرة الهم تورث الهرم .

اتق الله وقل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك ، ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك .

المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه .

ليس حسن الجوار كفّ الاذى ، ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى .

سمع الامام موسى بن جعفر رجلاً يتمنى الموت فقال له :

— هل بينك وبين الله قرابة يحابيك لها ؟

قال : لا !

قال : فهل لك حسنات قدمتها تزيد على سيئاتك ؟

قال : لا !

قال : فانت اذن تتمنى هلاك الابد . . .

وقال : من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون ، ومن لا يعرف الزيادة في نفسه فهو في النقصان ، ومن كان الى النقصان فالموت خير له من الحياة .

اجعلوا لانفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال ، وما لا يثلم المرؤة وما لا سرف فيه . واستعينوا بذلك على امور الدين فانه روي : ليس منا من ترك دنياه لدينه ، او ترك دينه لدنياه .

حبوسه

وخاف الرشيد على خلافته منه فطلبه من المدينة وقيده وارسل به الى البصرة فحبس عند عيسى بن جعفر ، وكان حمله من المدينة لعشر ليال بقين من شوال ، قيل وفي السابع والعشرين من رجب سنة تسع وسبعين ومائة ، فقدم به حسان السروي البصرة قبل التروية بيوم فدفعه الى عيسى بن جعفر فحبسه في بيت من بيوت المحبس واقفل عليه ، وشغله عنه العيد فكان لا يفتح عليه الباب الا في حالتين: حال يخرج فيها الى الطهور ، وحال يدخل اليه فيها الطعام ، وكتب الى الرشيد: لقد طال امر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي وقد اختبرت حاله ، ووضعت عليه العيون طول هذه المدة فما وجدته يفتر

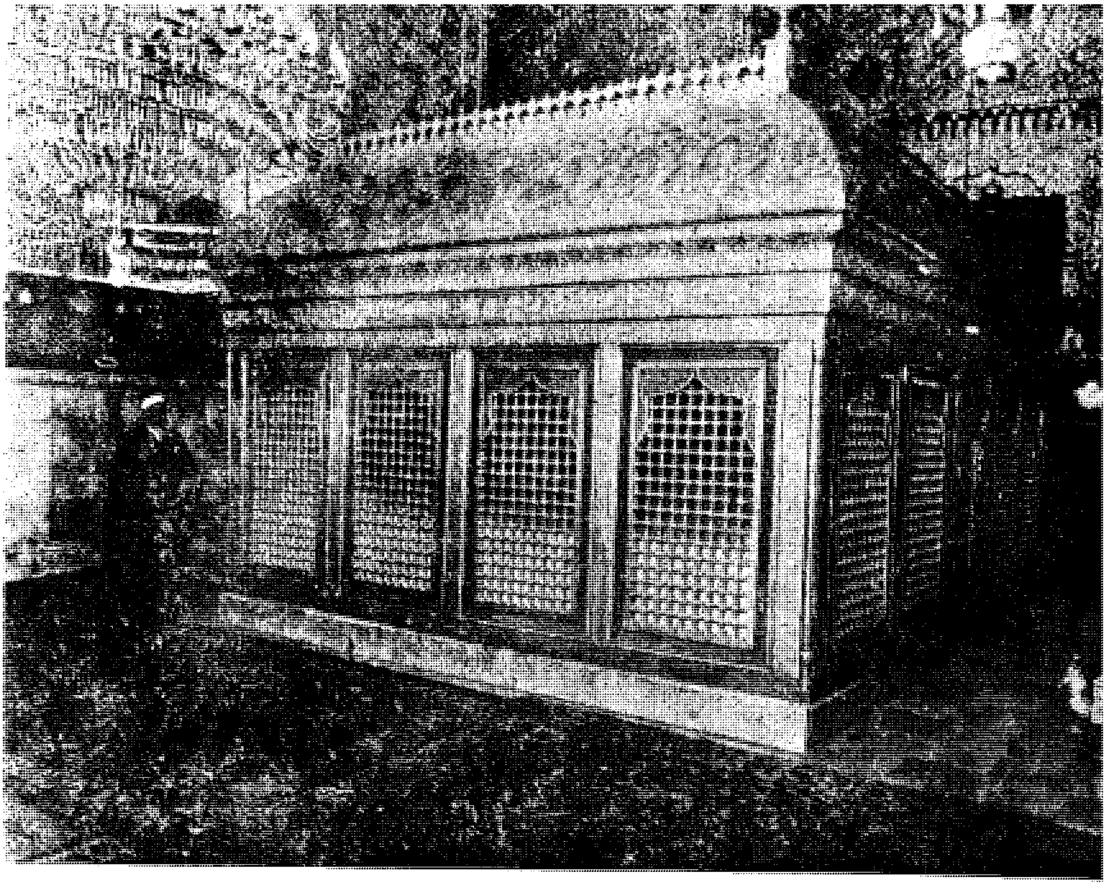
عن العبادة ، ووضعت عليه من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ، ولا علي ، ولا ذكرنا بسوء وما يدعو الا لنفسه بالمغفرة ، والرحمة ، فان انت انفذت الي من يتسلمه منى والا خليت سبيله فاني متحرج من حبسه ، فوجه الرشيد من تسلمه منه وصيّره الى بغداد فسلم الى الفضل بن الربيع فبقي محبوساً عنده مدة طويلة ، وعن الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد :

بعث موسى بن جعفر من الحبس رسالة الى هارون يقول « لن ينقضي عني من البلاء حتى ينقضي عنك معه يوم من الرخاء حتى نفضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون » وطلب الرشيد من الفضل ابن الربيع قتله فأبى ، فكتب اليه ان يسلمه الى الفضل بن يحي البرمكي ، فتسلمه منه وجعله في بعض حجر دوره ، ووضع عليه الرصد ، فكانت العيون تخبره انه لا يزال يذكر الله تعالى ولم تزل لحيته مخضلة بالدموع من خشية الله وكان اذا قرأ القرآن رفع صوته بالقراءة فيبكي ويخشع كل من سمعه ، فقال ما لي ولهذا العبد الصالح ؟ واراد اطلاقه فخاف من الرشيد فامر اهل الحبس وذوي السجن ان يدعوا الامام على رسله .

وفاته

ثم تسلمه السندي بن شاهك فسمّه بالطعام وقيل سمّه برطب ، ولبث ثلاثة ايام ثم توفي في آخر اليوم الثالث مسموماً بعدما حبس اربع سنوات وكانت وفاته يوم الجمعة ببغداد لست او لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ٧٩٩ م وهو ابن خمس وخمسين سنة على المشهور ، ودفن ببغداد في الجانب الغربي ، في المقبرة المعروفة بمقابر قريش بباب (التبن)[١] قال المفيد وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والاشراف من الناس قديماً .

١ — وهي مقبرة تدعى (مقبرة باب التبن) وسماها بعض المؤرخين (باب التين) وهو خطأ.



منظر داخلي لضريح الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد

اولاده

المشهور انهم سبعة وثلاثين ما بين ذكر وانثى :

علي الرضا ، ابراهيم ، القاسم ، العباس ، لامهات اولاد

اسماعيل ، جعفر ، هارون ، الحسن ، لام ولد

احمد ، محمد ، حمزة ، لام ولد

عبد الله ، اسحاق ، عبيد الله ، زيد ، الحسن ، الفضل ، الحسين ، سليمان ، لامهات اولاد

فاطمة الكبرى ، فاطمة الصغرى ، رقية ، حكيمة ، ام ابيها ، رقية الصغرى ، ام جعفر ، لبابة ، زينب ، خديجة ، علية ، آمنة ، حسنة ، بريهة ، عائشة ، ام سلمة ، ميمونة ، ام كلثوم ، لامهات اولاد .

الامام الثامن

الرضا علي بن موسى

بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته :

هو ثامن الائمة ولد بالمدينة يوم الجمعة او يوم الخميس في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ثمان واربعين ومائة ٧٦٥م ويقال ان ميلاده كان في سنة ثلاث وخمسين ومائة اي بعد وفاة جده الصادق بخمس سنين والمصادف٧٧٠م. امه ام ولد يقال لها (سكن) ثم سميت تكتم وسماها زوجها الكاظم بالطاهرة وذلك بعد ما ولدت (الرضا) وكناها بام البنين اما لقبها فهو (شقراء)

صفاته :

دخل على الرضا وهو بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا : ان امير المؤمنين المأمون لما نظر فيما ولاه الله من الامور فرآكم اهل البيت اولى من قام بالامر في الناس ، ثم نظر في اهل البيت فرآك اولى بالناس من كل واحد فرّد هذا الامر اليك ، والامانة تحتاج الى من يأكل الجشب ، ويلبس الخشن ويركب

الحمار ، ويعود المريض ، ويشيع الجنائز ، وكان الرضا متكأ فاستوى جالسا ثم قال :

« كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس اقبية الديباج المزررة بالذهب ، وجلس على متكآت آل فرعون ، وحكم وأمر ونهى ، وانما يراد من الامام القسط والعدل ، واذا قال صدق ، واذا حكم عدل ، واذا وعد انجز ، ان الله لم يحرم ملبوساً ، ولا مطعماً ، وتلا قوله تعالى (قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)

وعن ابراهيم بن العباس — كما روى الصدوق — انه قال : ما رأيت ولا سمعت باحد افضل من ابي الحسن الرضا ، ومن زعم انه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه ، شاهدت منه ما لم اشاهد من احد وما رأيته جفا احداً بكلامه ، ولا رأيته قطع على احد كلامه ، حتى يفرغ منه ، وما رد احداً عن حاجة يقدر عليها ، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قط ، ولا رأيته يشتم احداً من مواليه ومماليكه ، وما رأيته تفل ، ولا رأيته يقهقه في ضحكة بل كان ضحكه التبسم ، وكان اذا خلا ونصب مائدته أجلس عليها مواليه ومماليكه حتى البواب والسائس . وعن ياسر الخادم قال **« الرضا اذا خلا جمع حشمه كلهم عنده الصغير والكبير ، فيحدثهم ويأنس بهم ، ويؤنسهم ، وروي انه دعا يوما بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقال له بعض اصحابه ، جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال : ان الرب تبارك وتعالى واحد والام واحدة ، والاب واحد ، والجزاء بالاعمال » وعن محمد بن ابي عباد قال كان جلوس الرضا على حصير في الصيف ، وعلى مسح في الشتاء ، ولبسه الغليظ من الثياب حتى اذا برز للناس تزين لهم .**

علمه وفضله

روى الصدوق وغيره عن ابراهيم بن العباس انه قال : ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قط الا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الى وقته وعصره ، وعن ابي الصلت الهروي قال : ما رأيت اعلم من علي بن موسى الرضا ولا رآه عالم الا شهد له بمثل شهادتي ، ولقد سمعت علي بن موسى الرضا يقول : كنت اجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون ، فاذا أعيى الواحد منهم عن مسألة اشار اليّ باجمعهم ، وبعثوا الي بالمسائل فاجبت عنهم .

وقال ابن شهر اشوب وقد روى عنه جماعة من المصنفين ، منهم:ابو بكر الخطيب في تأريخه ، والثعلبي في تفسيره ، والسمعاني في رسالته ، وابن المعتز في كتابه ، وغيرهم . وعن كتاب (نثر الدرر) قال سأل الفضل ابن سهل علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلس المأمون فقال : يا ابا الحسن الناس مجبرون ؟ فقال : الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب ، قال : فطلقون ؟ قال: الله احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه

ولاية عهد الخلافة العباسية

كان الرشيد قد بايع لابنه محمد الامين بن زبيدة وبعده لولده الثاني عبدالله المأمون وبعدهما لاخيهما المؤتمن وجعل امر عزله وابقائه بيد المأمون وكتب بذلك صحيفة واودعها في جوف الكعبة وقسم البلاد بين الامين والمأمون فجعل شرقيها للمأمون وأمره بسكنى (مرو) وغربيها للامين وامره بسكنى بغداد فكان المأمون في حياة ابيه في مرو ثم ان الامين بعد موت ابيه في خراسان خلع اخاه المأمون عن ولاية العهد فقامت قيامة المأمون ووقعت الحرب بينهما ، ولما قتل اخاه الامين واستقل بالسلطنة وجرى حكمه في

شرق الارض وغربها ، كتب الى الرضا يستقدمه من المدينة الى خراسان ، فامتنع واعتل بعلل كثيرة ، فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتى علم الرضا انه لا يكف عنه فاجابه ، فبعث المأمون رجاء بن ابي الضحاك وياسر الخادم الى المدينة ليشخصا اليه الرضا ومحمد بن جعفر عم الرضا ، وجماعة من آل ابي طالب وذلك في سنة مائتين من الهجرة

روى المسعودي في اثبات الوصية : ان المأمون استقبل الرضا واعظمه واكرمه واظهر فضله واجلاله ، وقال المفيد لما وصلوا الى مرو أنزلهم المأمون دارا ، وانزل الرضا دارا،ثم انفذ اليه : اني اريد ان اخلع نفسي من الخلافة واقلدك اياها فما رأيك في ذلك ؟ فانكر الرضا هذا الامر وقال له : اعيذك بالله يا امير المؤمنين من هذا الكلام وان يسمع به احد ، وجرت في ذلك مخاطبات كثيرة حتى قبل ولاية العهد ، فخرج الفضل بن سهل فاعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى الرضا ، وانه قد ولاه عهده ، وأمرهم بلبس الخضرة التي هي شعار العلويين ، بدل السواد الذين هو شعار العباسيين، روى الصدوق في (العيون) ان البيعة للرضا كانت لخمس خلون من شهر رمضان سنة احدى ومائتين ، ثم ان المأمون زوجه ابنته ام حبيبة في اول سنة اثنتين ومائتين وسمى للجواد ابن الرضا ابنته (ام الفضل) ، وامر فضربت له الدراهم والدنانير وطبع عليها اسم الرضا ، وأمر ان يخطب له على المنابر وكتب الى الآفاق بذلك وخطب للرضا في كل بلد بولاية العهد



بعض المسكوكات التي ضربت باسم الامام الرضا في ولاية عهده

العهد الذي كتبه المأمون بولاية عهد الرضا

اما العهد الذي كتبه المأمون فقد ذكره عامة المؤرخين وقد كتبه المأمون بخطه وانشأه ووقع عليه الامام الرضا بخطه وهذا هو نصه ، ويليه نص عهد الامام الرضا[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب كتبه عبدالله بن هرون الرشيد امير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده ، اما بعد فان الله عز وجل اصطفى الاسلام دينا واصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه ، وهادين اليه ، يبشر اولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم ، حتى انتهت نبوة الله الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم على فترة من الرسل ، ودروس من العلم وانقطاع من الوحي ، واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين ، وجعله شاهداً لهم ، ومهيمنا عليهم ، وانزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، بما احل وحرّم ، واوعد ، وحذر وأنذر ، وأمر به ونهى عنه ، لتكون له الحجة البالغة على خلقه (ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحي من يحيي عن بيّنة وان الله لسميع عليم) فبلغ عن الله رسالته ، ودعا الى سبيله بما امره به من الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن ثم بالجهاد والغلظة ، حتى قبضه الله اليه ، واختار له ما عنده صلى الله عليه وآله وسلم الوحي والرسالة ، جعل قوام الدين ، ونظام امر المسلمين بالخلافة واتمامها وعزها ، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي بها تقام فرائض الله وحدوده ، وشرائع الاسلام وسننه ، ويجاهد بها عدوه فعلى خلفاء الله طاعته فيما استخلفهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم

١ اعيان الشيعة ـ ق٢ج ٤ ص ١٣٨

ومعاونتهم على اقامة حق الله وعدله ، وامن السبيل ، وحقن الدماء ، وصلاح ذات البين ، وجمع الالفة ، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم ، واختلاف ملتهم وقهر دينهم ، واستعلاء عدوهم ، وتفرق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة ، فحق على من استخلفه الله في ارضه ، وائتمنه على خلقه ، ان يجهد لله نفسه ، ويؤثر ما فيه رضى الله وطاعته ، ويعتد لما الله موافقه عليه ، ومسائله عنه ، ويحكم بالحق ، ويعمل بالعدل فيما حمّله الله وقلّده ، فان الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال الله عز وجل (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) وبلغنا ان عمر بن الخطاب قال « لو ضاعت سخلة بشاطىء الفرات لتخوفت ان يسألني الله عنها » وايم الله ان المسؤول عن خاصة نفسه ، الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله ، ليعرض على امر كبير ، وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسؤول عن رعاية الامة ، وبالله الثقة ، واليه المفزع ، والرغبة في التوفيق ، والعصمة والتسديد والهداية الى ما فيه ثبوت الحجة ، والفوز من الله بالرضوان والرحمة: وأنظر الامة لنفسه ، وأنصحهم لله في دينه وعباده من خلائفه في ارضه : من عمل بطاعة الله وكتابه ، وسنة نبيه عليه السلام في مدة ايامه وبعدها ، وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده ، ويختاره لامامة المسلمين ، ورعايتهم بعده وينصبه علما لهم ، ومفزعا في جمع ألفتهم ، ولم شعثهم وحقن دمائهم ، والامن باذن الله من فرقتهم وفساد ذات بينهم واختلافهم ، ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم ، فان الله عز وجل جعل العهد بعد الخلافة من تمام امر الاسلام وكماله ، وعزه وصلاح اهله ، وألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه

له من بعدهم ما عظمت به النعمة ، وشملت فيه العافية ونقض الله بذلك مكر اهل الشقاق والعـداوة ، والسعي في الفرقة ، والتربص للفتنة ولم يزل امير المؤمنين منذ أفضت اليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها ، وثقل محملها ، وشدة مؤونتها ، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها ، فانصب بدنه ، واسهر عينه ، واطال فكره فيما فيه عزالدين ، وقمع المشركين ، وصلاح الامة ، ونشر العدل ، واقامة الكتاب والسنة ، ومنعه ذلك من الخفض والدعة ، ومهنأ العيش علما بما الله سائله عنه ، ومحبة ان يلقى الله مناصحا له في دينه وعباده ، ومختارا لولاية عهده ورعاية الامة من بعده افضل ما يقدر عليه في ورعه ، ودينه وعلمه ، وارجاهم للقيام في امر الله وحقه ، مناجيا له تعالى بالاستخارة في ذلك ، ومسألته الهامة ما فيـه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره، معملا ـ في طلبه والتماسه في اهل بيته من ولد عبدالله بن العباس وعلي بن ابي طالب ـ فكره ونظره ، مقتصرا مما علم حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغا في المسألة عمن خفي عليه امره جهده وطاقته ، حتى استقصى امورهم معرفة ، وابتلى اخبارهم مشاهدة ، واستبرى احوالهم معاينة ، وكشف ما عندهم مسألة ، فكانت خبرتـه بعد استخارته الله ، واجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين جميعا : علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الناصع ، وورعه الظاهر ، وزهده الخالص ، وتخليه من الدنيا وتسلمه من الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه متواطية ، والالسن عليه متفقة ، والكلمة فيه جامعة ، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا ، وناشيا ، وحدثا ، ومكتهلا ، فعقد له بالعقد ، والخلافة من بعده ، واثقا بخـيرة الله في ذلك ، اذ عـلم الله انه فعله ايثاراً له وللدين ، ونظرا للاسلام والمسلمين ، وطلبا للسلامة وثبات الحق والنجاة في اليوم الذي يقوم

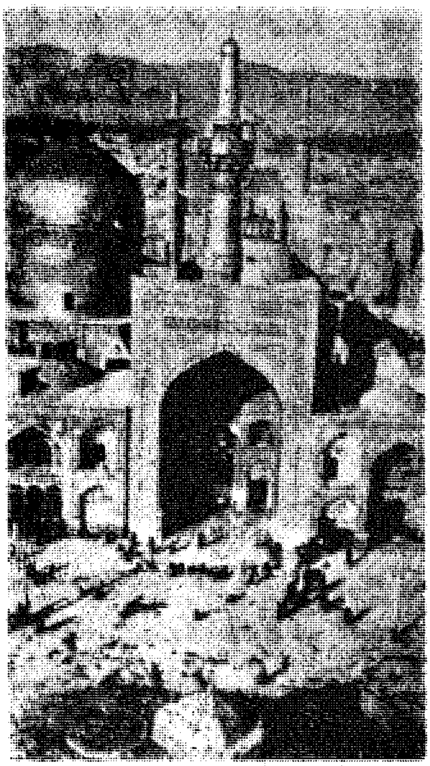
الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، ودعا امير المؤمنين ولده ، وأهل بيته ، وخاصته ، وقواده ، وخدمه ، فبايعوا مسرعين ، مسرورين ، عالمين بايثار امير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده ، وغيرهم ممن هو آشك منه رحما ، وأقرب قرابة وسماه (الرضا) اذ كان رضاً عند امير المؤمنين ، فبايعوا معشر أهل بيت امير المؤمنين ، ومن بالمدينة المحروسة من قواده ، وجنده ، وعامة المسلمين ، لأمير المؤمنين ، وللرضا من بعده علي بن موسى على اسم الله وبركته ، وحسن قضائه لدينه وعباده ، ببيعة مبسوطة اليها ايديكم ، منشرحة لهـا صدوركم ، عالمين بما أراد امير المؤمنين لها ، وآثر طاعة الله ، والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين الله على ما ألهم امير المؤمنين من قضاء حقه في رعايتكم ، وحرصه على رشدكم وصلاحكم راجين عائدة ذلـك في جمع ألفتكم ، وحقن دمائكم ، ولم شعثكم ، وسد ثغوركم ، وقوة دينكم ، واستقامـة أموركم ، وسارعوا الى طاعة الله وطاعة امير المؤمنين فانه الأمر الذي ان سارعتم اليه ، وحمدتم الله عليه ، عرفتم الحظ فيه ان شاء الله .

وكتب بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة احـدى ومائتين » .

وهذا ما كتبه الامام علي بن موسى «الرضا» بخطه على ظهر العهد .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الفعال لما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعـلم خائنة الا عين ، ومـا تخفي الصدور ، وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين ، أقول وأنا علي الرضا بن موسى بن جعفر : ان امـير المومنين عضده الله بالسداد ، ووفقه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل ارحاماً قطعت ، وأمن نفوسنا فزعت ، بـل احياها وقد تلفت ،


جانب من صحن الامام الرضا بمشهد

وأغناها اذ افتقرت ، مبتغياً رضى رب العالمين ، لا يريد جزاء من غيره ، وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وانه جعل الى عهده ، والامرة الكبرى: إن بقيت بعده ، فمن حل عقدة أمر الله بشدها ، وفصم عروة أحب الله ايثاقها ، فقد أباح حريمه ، وأحل محرّمه ، اذ كان بذلك زارياً على الامام ، منتهكاً حرمة الاسلام ، بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات ، ولم يعترض بعدها على العزمات ، خوفاً من شتات الدين ، واضطراب حبل المسلمين ، ولقرب امر الجاهلية ، ورصد فرصة تنتهز ، وبائقة تبتدر ، وقد جعلت الله على نفسي إذ استرعاني امر المسلمين وقلدني خلافته ، العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته ، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وان لا اسفك دماً حراماً ، ولا أبيح فرجا ، ولا مالاً الا ما سفكته حدود الله ، وأباحته فرائضه ، وان أتخير الكفاة جهدي وطاقتي ، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فانه عز وجل يقول (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً) وان احدثت ، او غيرت ، او بدلت ، كنت للغير مستحقاً ، وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، واليه ارغب في

التوفيق لطاعته ، والحؤول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين ، والجامعة والجفر يدلان على ذلك (وما ادري ما يفعل بي ولا بكم إن الحكم الا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين) لكني امتثلت امر امير المؤمنين ، وآثرت رضاه ، والله يعصمني واياه ، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً وكتبت بخطي بحضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والفضل بن سهل ، وسهل بن الفضل ، ويحى بن اكثم ، وعبدالله بن طاهر ، وثمامة بن اشرس ، وبشر بن المعتمر ، وحماد بن النعمان ، في شهر رمضان سنة احدى ومائتين » .

من اقواله وحكمه

لم يخنك الأمين ولكن إئتمنت الخائن .

الصمت باب من ابواب الحكمة .

صديق كل امرىء عقله ، وعدوه جهله .

وسئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال : العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعاً ، ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمتنّ على الله ولله المنّة عليه.

يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة اجزاء ، تسعة منها في اعتزال الناس ، وواحد في الصمت .

أحسنوا جوار النعم فانها وحشية ما نأت عن قوم فعادت اليهم ، ان شر الناس من منع رفده ، وأكل وحده ، وجلد عبده .

من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن خاف أمن ، ومن اعتبر ابصر ، ومن ابصر فهم ، ومن فهم علم ، وصديق الجاهل في تعب ، وأفضل المال ما وفي به العرض ، وأفضل العقل معرفة الانسان نفسه ،

والمؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق ، واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، واذا قدر لم يأخذ اكثر من حقه .

اولاده :

روي ان له ابناً واحداً وهو ابو جعفر الجواد ، وعن بعضهم ان له ولدين ، هما محمد ، وموسى ، وفي (كشف الغمة) ان له خمسة ذكور ، وبنتاً واحدة وهم محمد القانع ، الحسن ، جعفر ، ابراهيم ، الحسين ، عائشة .

وفاته :

اختلف المؤرخون في سبب موت الامام الرضا فقيل انه أكل عنباً ومات منه ، وقيل بل مات مسموماً كما روى هرثمة ابن اعين من انه مات مسموماً بالعنب والرمان اللذين قدما له وروى ابو الفرج في (مقاتل الطالبيين) عن ابي الصلت انه دخل على (الرضا) فقال يا ابا الصلت قد فعلوها : اي سقوني السم ، وقد شاع ذلك واشتهر حتى قال في ذلك ابو فراس الحمداني :

باؤا بقتل الرضا من بعد بيعته   وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا

وقال دعبل بن علي الخزاعي :

شككت فما ادري أمسقى بشربة   فابكيك ام ريب الردى فيهون

قبض يوم الجمعة وقيل يوم الاثنين آخر صفر او في السابع عشر منه بطوس من ارض خراسان في قرية يقال لها (سنا آباد) من رستاق نوقان سنة ثلاث او اثنتين ومئتين المصادف ٨١٨م وهو ابن خمس وخمسين سنة او اثنتين وخمسين او احدى وخمسين ودفن في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد الى جانبه مما يلي القبة في دار حميد بن قحطبة الطائي .

الامام التاسع

محمد الجواد

بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب

ولادته

هو تاسع ائمة اهل البيت ولد بالمدينة ليلة الجمعة في التاسع عشر من شهر رمضان او في النصف منه او العاشر من شهر رجب سنة خمس وتسعين ومائة (٨١٠)م ويؤيد قول ولادته في رجب الدعاء المأثور الذي اوله (اللهم أسالك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب) .

امه ام ولد ، يقال لها سبيكة ، روي انها كانت من اهـــل بيت مارية القبطيـــة وتكنى ام الحسن وكنيته ابو جعفر الثاني لان جده محمد الباقر يكنى بأبي جعفر الاول ولقبه الجواد، والتقي، والمنتجب ، والقانع .

صفاته

كان اسمر شديـد الادمة ولذلك نعته ابن ابي داود بالاسود ، وكان يرتدي افخر الملبوس ولقد روى الصدوق بسنده عن علي بن مهزيار قال : رأيت ابا جعفر الثاني(الجواد) يصلي الفريضة وغيرها في جبة خزّ طاروي، وكساني جبة خز ، وذكر انه لبسها على بدنه وصلى فيهـا وامرني بالصلاة فيها .

وكان افضل اهل زمانه علما، وعملا، وورعاً، وعبادة، وسخاء، وكرما، وفي جميع صفات الفضل، وقد روي عنه من انواع العلوم واجوبة المسائل المشكلة الشيء الكثير .

وقد نقلت عن اتساع دائرة فقهه وإحاطته بالاحكام وعمقـه العجائب والغرائب ومن ذلك كان استفتاء يحيى بن اكثم له عن مُحرم قتـل صيدا فما يكون حكمه ؟ فقال له ابو جعفر الجواد :

أقتله في حل او حرم ؟ عالماً كان المُحرم ام جاهلاً ؟ قتله عمداً او خطأً ؟ حراً كان المُحرم او عبداً ؟ صغيراً كان ام كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل ام معيداً ؟ من ذوات الطير كان الصيد ام من غيرها؟ من صغار الصيد كان ام من كباره؟ مصراً على ما فعل ام نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد في اوكارهـا ام نهاراً وعياناً ؟ مُحرماً كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرماً ؟

وقد شرح بعد ذلك هذه الاحوال ليحي بن اكثم وأبـان له ان الأحكام لتختلف باختلاف هذه الأوضاع ثم ادلى بحكم كل قضية !!

قال الطبرسي في اعلام الورى . كان الامام محمد الجواد قد بلغ في وقته من الفضل والعلم والحكم والآداب مع صغر سنه لم يساوه فيها احد من ذوي الاسنان من السادة وغيرهم ولذلك كان المأمون مشغوفاً به لمـا رأى من علو

رتبته وعظيم منزلته في جميع الفضائل فزوّجه ابنته، وكان متوفراً على إعظامه وتوقيره وتبجيله . قال المفيد كان الامام بعد علي بن موسى الرضا ، ابنه محمد بن علي المرتضى بالنص عليه، والاشارة من ابيه اليه، وتكامل الفضل فيه، وكان المأمون قد شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ اهل زمانه وقال ــ لما آراد المأمون ان يزوج ابنته ام الفضل أبا جعفر بن علي بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه وخافوا ان ينتهي الأمر عنده معه الى ما انتهى اليه مع ابنه الرضا ، فخاضوا في ذلك واجتمع معهم اهل بيته الادنون منه وقالوا ــ ننشدك الله يا امير المؤمنين ان تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فانا نخاف ان تُخرج به عنا امراً قد ملكنّاه الله، وتنزع منا عزاً قد البسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك فالله الله ان تردنا الى غمّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل الى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيرهم ، فقال لهم المأمون « اما ما كان بينكم وبين آل ابي طالب فأنتم السبب فيه، ولو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم ، واما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان به قاطعاً للرحم ، وأعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا، ولقد سألته ان يقوم بالأمر وانزعه عن نفسي فأبى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، واما ابو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على اهل الفضل كافة في العلم والفضل مع صغر سنه ، والأعجوبة فيه بذلك ، وانا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا ان الرأي ما رأيت فيه » .

واستأذن الجواد المأمون في الحج وخرج من بغداد ومعه زوجته (ام الفضل) وآقام بالمدينة وهي معه حتى توفي المأمون في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين

وبويع اخوه المعتصم في شعبان من تلك السنة فتخوف المعتصم من الجواد ومكانته في القوم فطلبه الى بغداد فتجهز وخرج من المدينة الى بغداد وحمل معه زوجته ام الفضل.

وقال المسعودي في (اثبات الوصية) لما انصرف ابو جعفر الجواد الى العراق لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبران ويعملان الحيلة في قتله حتى سماه.

وروى العياشي في تفسيره عن زرقان صاحب احمد بن ابي داود (قاضي المعتصم) قال:

رجع ابن ابي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فسألته فقال: وددت اليوم اني قد مت منذ عشرين سنة فقلت لم ذاك؟ فقال لما كان من هذا الاسود ابي جعفر محمد بن علي بن موسى، قلت وكيف ذلك؟ قال ان سارقاً اقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء وأحضر محمد بن علي فسألنا عن القطع في اي موضع يجب ان يقطع فقلت من الكرسوع (وهو طرف الزند الناتىء مما يلي الخنصر) فقال وما الحجة في ذلك فقلت لأن اليد هي الأصابع والكف الى الكرسوع يقول الله تعالى في التيمم (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) واتفق معي على ذلك قوم وقال آخرون بل يجب القطع من المرفق لأن الله تعالى لما قال (وايديكم الى المرافق) دل على ان حدّ اليد هو المرفق. فالتفت الى محمد بن علي فقال ما تقول في هذا يا ابا جعفر؟ فقال تكلم القوم فيه يا امير المؤمنين، قال دعني مما تكلموا به اي شيء عندك؟ قال اعفني من هذا، قال اقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك فيه، قال اما اذ أقسمت عليّ بالله فاني اقول انهم اخطأوا فيه السنّة، فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الأصابع فيترك الكف، قال وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

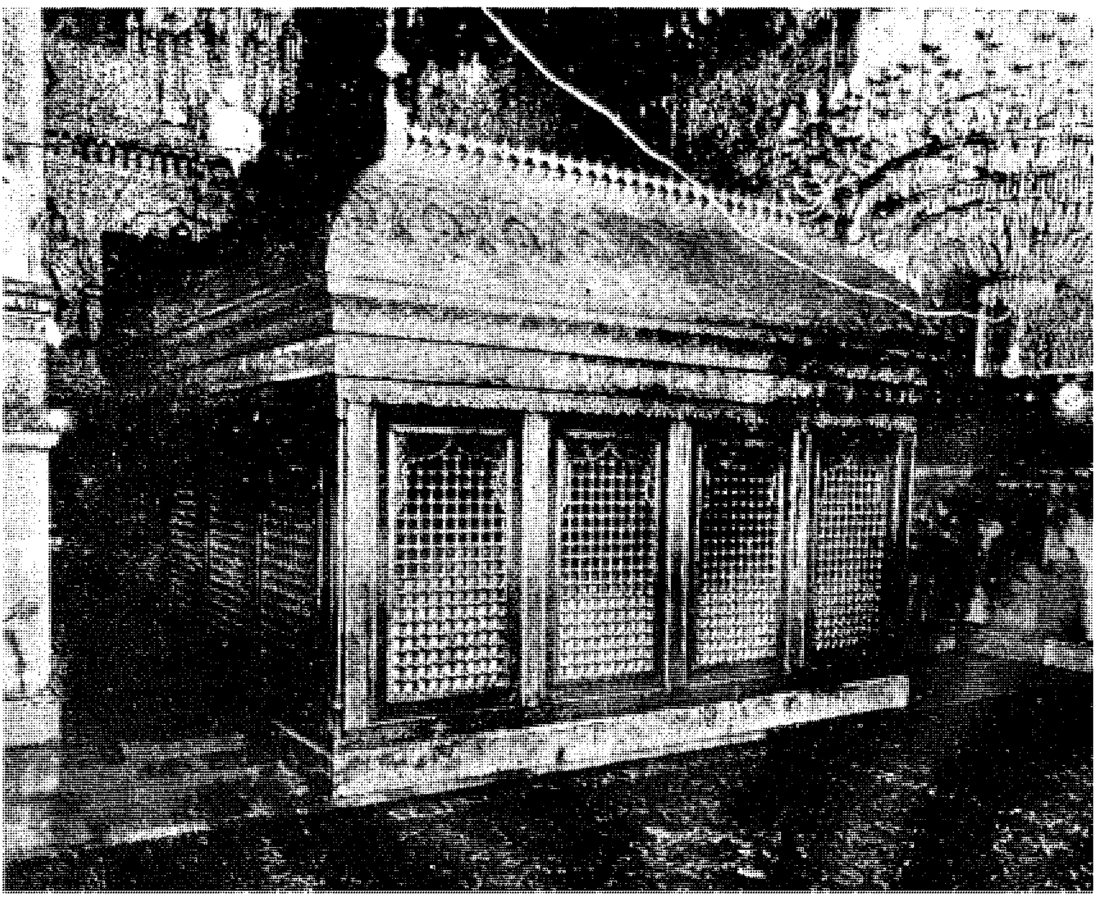
السجود على سبعة اعضاء : الوجه ، واليدين ، والركبتين ، والرجلين .

فاذا قطعت يده من الكرسوع ، او المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تعالى (وان المساجد لله) يعني به هذه الاعضاء السبعة التي يسجد عليها ، وما كان لله لم يقطع، فأعجب المعتصم ذلك وأملي وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف .

من اقواله وحكمه

روي عن الامـــام ابي جعفر الشيء الكثير من الحكم والآداب والأدعية البليغة ومن هذه ما جرى على الألسن مجرى الأمثال قوله :

مرقد الأمامين الكاظمين في (الكاظمين)



من اطاع هواه اعطى عدوّه مناه

ومن هجر المداراة قاربه المكروه

ومن عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح

ومن لم يعرف الموارد أعيته المصادر ، ومن انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة .

راكب الشهوات لا تستقال له عثرة

كفى بالمرء خيانة ان يكون أميناً للخونة

عزّ المؤمن غناه عن الناس ، لا يضرك سخط من رضاه الجور

اولاده

اولاده اربعة : علي الهادي ، وموسى(١) وفاطمة ، وإمامة

وفاته

وكانت وفـــاته ببغداد يوم السبت او الثلاثاء في اواخر ذى القعدة سنة عشرين ومائتين وله خمس وعشرون سنة وشهران وثمانية وعشرون يوماً سنة (٨٣٥)م ودفن في مقابر قريش (الكاظمين بالجانب الغربي) .

---

(١) موسى المبرقع قبره بقم مشهور وعليه قبة عالية مات ليلة الاربعاء ولثمان ليال بقين من ربيع الآخرة سنة ٢٩٦ ودفن بداره .

الطيب، العسكري، وهذا اللقب الاخير يشترك به هو وابنه الحسن لان المحلة التي سكناها بسامراء كانت تسمى (عسكراً) .

صفاته :

قال الشيخ المفيد في (الارشاد) وكان الامام بعد ابي جعفر ابنه الحسن علي بن محمد لاجتماع خصال الامامة فيه وتكامل فضله، وانه لا وارث لمقام ابيه سواه، وثبوت النص عليه بالامامة والاشارة اليه من ابيه بالخلافة وقال ابن حجر في (الصواعق) كان ابو الحسن الهادي وارث ابيه علماً وسخاء . وقال علي جلال في كتابه (الحسين) كان الامام الهادي فقيهاً فصيحاً جميلاً مهيباً . ويقول القطب الراوندي في (الخرايج) كان الامام علي الهادي قد اجتمعت فيه خصال الامامة وتكامل فضله وعلمه وخصال الخير ، وكانت اخلاقه كلها خارقة للعادة كأخلاق آبائه ، وكان بالليل مقبلاً على القبلة لا يفتر ساعة ،وقال ابن شهر آشوب في (المناقب) كان الامام اطيب الناس بهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، اذا صمت علته هيبة الوقار ، واذا تكلم سماه البهاء، وهو من بيت الرسالة والامامة ومقر الوصية والخلافة.

أشخصه المتوكل العباسي من (مدينة الرسول) الى (سامراء) وهو في سن العشرين وأكثر بقليل قال سبط ابن الجوزي في (التذكرة) كان سبب إشخاص ابي الحسن الهادي من المدينة هو ان المتوكل كان شديد البغض لعلي واولاده فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة وميل الناس اليه فخاف منه وقد كتب اليه (بريحة) العباسي صاحب الصلاة بالحرمين بذلك ، فدعا المتوكل بقائد من قواده وهو يحي بن هرثمة وضم اليه ثلاثمائة فارس وكتب معه كتاباً لطيفاً الى علي الهادي وأمره ان يسير الى المدينه وان يحضر الامام ، قال يحي فلما وصلت مدينة الرسول وبلغ اهلها مجيىء ولأي سبب

الامام العاشر

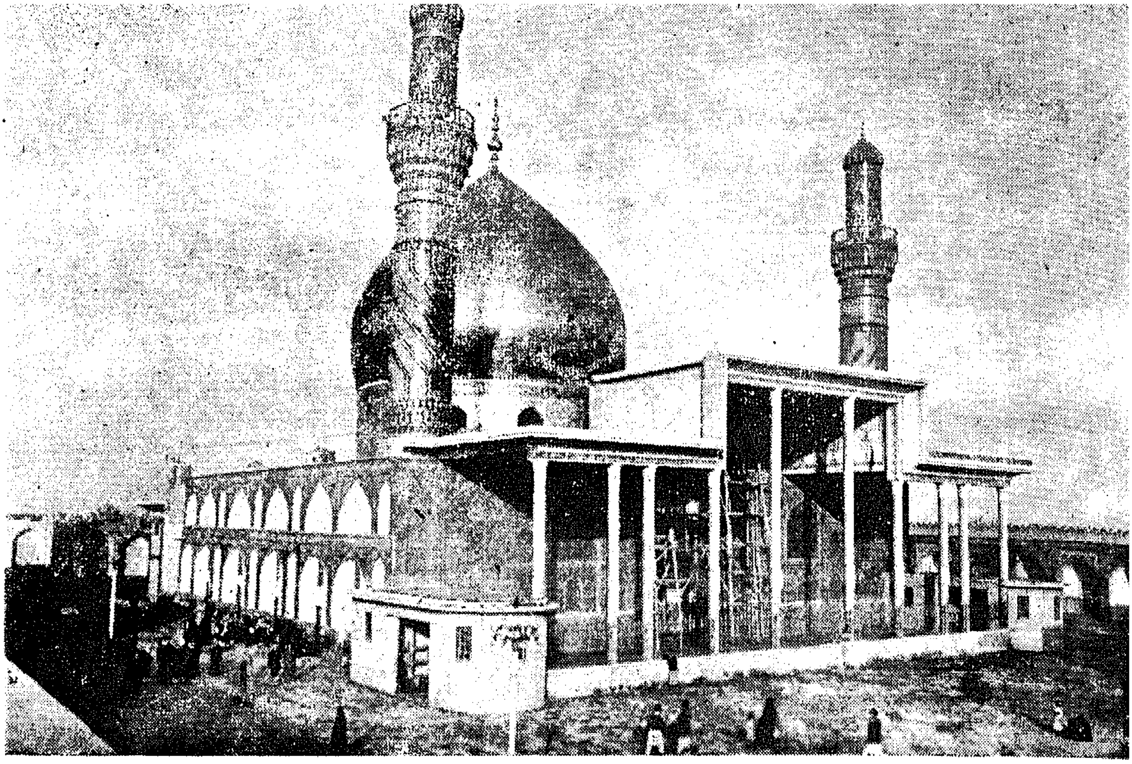
ابو الحسن علي الهادي

بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب

ولادته

هو الامام العاشر من أئمة اهل البيت . ولد بقرية من نواحي المدينة المنورة يقال لها (صربا) وهذه القرية على ثلاثة اميال من (المدينة) المنورة أسسها الامام الكاظم . ولد يوم الجمعة أو الثلاثاء النصف من ذي الحجة او في شهر رجب سنة اثنتي عشرة ومائتين، وروى الكليني انه ولد في رجب سنة ٢١٤ المصادف ٨٢٩ م .

امه ام ولد واسمها (**سمانة**) **المغربية** ، ويكنى بأبي الحسن لا غير ، اما **ألقابه** فهي الهادي ، النجيب ، المرتضى ، النقي ، العالم ، الفقيه ، المؤمن



مرقد الأمامين علي الهادي والحسن العسكري بسامراء

ضجوا ضجيجاً عالياً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي الهـــادي ، وقامت الدنيا على ساق، لانه كان محسناً اليهم ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل الى الدنيا فجعلت أسكنهم ، واحلف لهم اني لم اؤمر فيه بمكروه وانه لا بأس عليه ، ثم فتشت منزله فلم اجد فيه الا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي، واحسنت عشرته ، فلما وصلت به الى بغداد (قال المسعودي) فخرج اسحق بن ابراهيم وجملة القواد فتلقوه — واسحق بن ابراهيم هو والي بغداد — قال يحي فقال لي يا يحي ان هذا الرجل قد ولده رسول الله ، والمتوكل هو من تعلم ، فان حرضته عليه قتله ، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة ، فقلت له والله ما وقعت منه الا على كل امر جميل ، ثم صرت الى (سرّ من رأى) فبدأت بوصيف التركي فأخبرته بوصوله ، فقال والله لئن سقطت منه شعرة لا يطالب بها سواك ، فعجبت كيف وافق قوله قول اسحاق ، فلما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسـلامة

نيته وورعه وزهادته واني فتشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وان اهل المدينة خافوا عليه فاكرمه المتوكل واحسن اجازته وروى الناس عنه من اجوبة المسائل في الفقه وغيره من انواع العلوم الشيء الكثير ومن اخباره مع المتوكل ما روى ابن خلكان في (الوفيات) انه « سعي بالامام الهادي الى المتوكل بان في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته اهل قم ،وانه يطلب الامر لنفسه وانه عازم على الوثوب ، فبعث اليه جماعة من الاتراك فهجموا عليه داره ليلاً فوجدوه على الارض وعليه مدرعة صوف وهو جالس على الرمل مستقبل القبلة يقرأ القرآن ويترنم بآيات من الوعد والوعيد وليس بينه وبين الارض بساط الا الرمل فحمل على حاله الى المتوكل والمتوكل في مجلس الشراب فدخل عليه والكاس في يد المتوكل فلما رآه هابه وعظمه واجلسه الى جانبه وناوله الكاس التي كانت في يده فقال والله ما يخامر لحمي ودمي قط ، فأعفني فاعفاه، ثم قال له انشدني شعراً فقال اني قليل الرواية للشعر فقال لا بد ، فانشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... واودعوا حفراً يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعدما رحلوا ... اين الاسرة والتيجان والحلل ؟
اين الوجوه التي كانت محجبة ... من دونها تضرب الاستار والكلل ؟
فافصح القبر عنهم حين سايلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قال فبكى المتوكل حتى بلّت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون وصرفه معظماً مكرماً »

من اقواله وحكمه

من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك

من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره

الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون

من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه

الناس في الدنيا بالاموال وفي الآخرة بالاعمال

وقال لشخص وقد اكثر من افراط الثناء عليه : اقبل على شانك فان كثرة الملق يهجم على الظنة ، واذا حللت من اخيك في محل الثقة فاعدل عن الملق الى حسن النية

المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان

خير من الخير فاعله ، واجمل من الجميل قائله ، وارجح من العلم حامله وشر من الشر جالبه ، واهول من الهول راكبه ،

اولاده

اربعة ذكور وبنت واحدة وهم :

ابو محمد الحسن ، الحسين ، محمد المعروف (بالسيد محمد سبع الدجيل) جعفر ، [1] وعائشة

وفاته

قال المسعودي في (اثبات الوصية) اعتل ابو الحسن علي الهادي علته التي توفي فيها فاحضر أبا محمد ابنه واوصى اليه ، ثم توفي شهيداً مسموماً

قال ابن بابويه سمه المعتمد ، قال المسعودي ولما توفي اجتمع في داره جملة بني هاشم

(١) وادعى جعفر بالامامة فسمي بجعفر الكذاب

الامام الحادي عشر

ابو محمد الحسن العسكري

بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ،
بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته

هو الحادي عشر من ائمة الشيعة ولد بالمدينة الطيبة يوم الجمعة او الاثنين في ربيـــع الاول او الثامن من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين مادف ٨٤٥ م وشخص الى العراق بشخوص والده اليها ، امه ام ولد يقال ها (سوسن) او (حديثه) او (سليل)قال السيد الامين وهو الاصح ومن الجائز انها تسمى بجميع ذلك ، وكانت من النساء الصالحات ، العارفات ، كنيته ابو محمد ، واشهر القابه (العسكري) ويلقب ايضاً بالتقي ، والخالص ، والزكي ، وكان ابوه وجده يعرف كل واحد منهم بابن الرضا

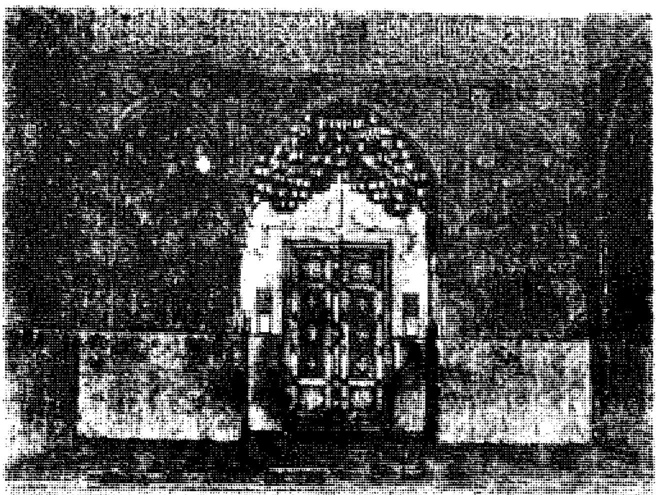
صفاته

قال المفيد في (الارشاد) كان الامام بعد ابي الحسن بن علي بن محمد ابنه ابا محمد الحسن بن علي لاجتماع خلال الفضل فيه ويقدمه على كافة اهل عصره فيما يوجب له الامامة ويقتضي له الرياسة من العلم والزهد ، وكمال العقل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الاعمال المقربة الى الله جل اسمه ثم لنص ابيه عليه واشارته بالخلافة اليه . ثم اورد جملة من الاخبار الدالة على نص ابيه عليه بالامامة من بعده ، ويظهر من الروايات ان ابا الحسن العسكري واخاه الحسين بن علي يسميان بالسبطين تشبيهاً لهما بجديهما السبطين (الحسن والحسين)

وقال القطب الراوندي في (الخرايج) كان الحسن العسكري اخلاقه كاخلاق رسول الله وكان رجلاً اسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، حديث السن له جلالة وهيبة وهيئة حسنة يعظمه العامة والخاصة اضطراراً ، يعظمونه لفضله ، ويقدمونه لعفافه ، وصيانته وزهده ، وعبادته وصلاحه ، واصلاحه ، وكان جليلاً ، نبيلاً ، فاضلاً ، كريماً ، يحمل الاثقال ولا يتضعضع للنوائب ، اخلاقه خارقة للعادة على طريقة واحدة ، وفي جملة من الروايات ان ، (المعتمد) كان قد حبس ابا محمد الحسن العسكري ، روى المفيد بسنده عن الكليني انه دخل العباسيون على صالح بن وصيف عند حبس ابي محمد فقالوا له ضيّق عليه ولا توسّع ، فقال لهم ما اصنع به وقد وكلت به رجلين شر من قدرت عليه فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام الى امر عظيم ، ثم امر باحضار الموكلين فقال لهما : ويحكما ما شانكما في امر هذا الرجل فقالا ما نقول في رجل يصوم النهار ، ويقوم الليل كله ، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة ، فاذا نظر الينا ارتعدت

فرائصنا ، وداخلنا ما لا نملكـــه من انفسنا ، فلما سمع العباسيون ذلك انصرفوا خائبين

وبسنده انه حبس ابو محمد الحسن العسكري عند علي بن اوتاش ، وكان شديـد العداوة لآل محمد غليظا على آل ابي طالب فما اقام الا يوماً حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره اليه اجلالاً له واعظاماً ؛ وخرج من عنده وهو احسن الناس بصيرة واحسنهم فيه قولاً .



مدخل الروضة العسكرية بسامراء

وفي اعيان الشيعة قال روى الكليني في (الكافي) والصدوق في (كمال الدين) بسنديهما عن جماعـــة وبين الروايتين تفاوت بالزيادة والنقصان ونحن نجمع بينهما — قالوا حضرنا في شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين بعد وفاة الحسن العسكري بثماني عشرة سنة او اكثر مجلس احمد بن عبدالله بن خاقان وهو عامل السلطان يومئذ على الخراج والضياع بكورة قم ، وكان شديد النصب ، والانحراف عن اهل البيت ، فجرى في مجلسه ذكر المقيمين من آل ابي طالب (بسر من رأى) ومذاهبهم وصلاحهم واقدارهم عند السلطان فقال ما رأيت ولا اعرف (بسر من رأى) رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد

بن علي الرضا في هديه وسكونه ، وعفافه ، ونبله ، وكرمه عند اهل بيته والسلطان وبني هاشم كافـــة ، وتقديمهم اياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك حاله عنـد القواد ، والوزراء ، والكتاب ، وعامة الناس . كنت يوماً قائماً على رأس ابي وهو يوم مجلسه للناس اذ دخـــل حجابه فقالوا : ابو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له ، فتعجبت منه ومنهم من جسارتهم ان يكنّوا رجلا بحضرة ابي — ولم يكن عنده الا خليفة ، او ولي عهد ، او من امر السلطان ان يكنى — فدخل رجل اسمر اعين حسن القامة ، جميل الوجه جيد البدن ، حديث السن له جلالة وهيئة حسنة فلما نظر اليه ابي قام فمشى اليه خطوات ، ولا اعلمه فعل هذا باحـــد من بني هاشم ، والقواد ، واولياء العهـــد ، فلما دنا منه عانقه ، وقبل وجهه ، وصدره ، ومنكبيه ، واخذ بيده واجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس الى جنبه مقبلا عليه بوجهه ، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه ، وابويه ، وانا متعجب مما ارى منه اذ دخل الحاجب فقال جاء (الموفق) وهو اخو المعتمد الخليفة العباسي — وكان الموفق اذا دخـــل على ابي تقدمه حجابه وخاصة قواده — فقاموا بين مجلس ابي وبين باب الدار سماطين الى ان يدخل ويخرج فلم يزل ابي مقبلا على ابي محمد يحدثه حتى نظر الى غلمان الموفق ، فقال له حينئذ اذا شئت جعلني الله فداك ابا محمد ثم قال لحجابه : خذوا به خلف السماطين لا يراه هـــذا — يعني الموفق — فقام وقام ابي فعانقه ومضى فقلت لحجاب ابي وغلمانه ويحكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة ابي ، وفعل به ابي هذا الفعل ؟ فقالوا هذا علوي يقال له الحسن بن علي ويعرف بابن الرضا ، فازددت تعجباً ولم ازل يومي ذلك قلقاً متفكراً في امره ، وامر ابي ، وما رأيته منه حتى كان الليل ، وكانت عادته ان يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج اليه من المؤامرات وما يرفعه الى السلطـــان فلما صلى وجلس جئت

فجلست بين يديه ، فقال ألك حاجة ؟ فقلت نعم ، فان اذنت سألتك عنها، قال أذنت، قلت: من الرجـــل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال والكرامة وفدّيته بنفسك وابويك ؟ قال يا بني ذاك امام الرافضة ، الحسن بن علي المعروف بابن الرضا . وسكت ساعـــة ، ثم قال : لو زالت الامامة عن خلفاء بني العباس ما استحقها احد من بني هاشم غيره لفضله ، وعفافه ، وصيانته ، وزهده ، وعبادته وجميل اخـلاقه ، وصلاحه ، ولو رايت اباه رايت رجلاً جزلاً ، نبيلا ، فاضلا ، فازددت قلقاً ، وتفكراً ، وغيظاً على ابي وما سمعته منه فيه ورايته من فعله به ، فلم تكن لي همة بعد ذلك الا السؤال عن خبره ، والبحث عن امره ، فما سألت احداً من بني هاشم والقواد ، والكتاب ، والقضاة ، والفقهاء ، وسائر الناس الا وجـدته عندهم في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع اهل بيته ومشائخه فعظم قدره عندي اذ لم ار له ولياً ولا عـدواً الا وهو يحسن القول فيه ، والثناء عليه ، فقال له بعض من حضر مجلسه من الاشعريين فما حال اخيه جعفر ؟ فقال ومن جعفر فيسأل عن خبره او يقرن به ؟ ولقـــد ورد على السلطان واصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجبت منه وما ظننت انه يكون ، وذلك انه لما اعتل الحسن بعث الى ابي ان الرضا قد اعتل ، فركب من ساعته الى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم امير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته فيهم (نحرير) وامرهم بلزوم دار الحسن وتعرف حاله ، وبعث الى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف اليه وتعهده صباحاً ومساءاً ، فلما كان بعد ذلك بيومين او ثلاثة أُخبر انه قد ضعف ، فركب حتى بكر اليه وأمر المتطببين بلزوم داره ، وبعث الى قاضي القضاة وامره ان يختار عشرة ممن يوثق به في دينه وورعه، وامانته، فبعث بهم الى دار الحسن وامرهم بلزومه ليـــلا ونهاراً ، فلم يزالوا

هناك حتى توفي ، فلما ذاع خبر وفاته صارت (سر من رأى) ضجة واحدة : مات ابن الرضا ، ثم اخذوا في تجهيزه وعطلت الاسواق، وركب بنو هاشم ، والقواد ، والكتاب ، والقضاة ، والمعدلون ، وسائر الناس الى جنازته فكانت (سر من رأى) يومئذ شبيهاً بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان الى ابي عيسى بن المتوكل فامره بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة دنا ابو عيسى منه ، فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية ، والقواد ، والكتاب ، والقضاة ، والمعدلين ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف انفه على فراشه وحضره من خدم امير المؤمنين فلان ، وفلان ومن المتطببين فلان وفلان ، ثم غطى وجهه وصلى عليه وكبر خمساً ، وامر بحمله فحمل من وسط داره ، ودفن في البيت الذي فيه ابوه ، وروي انه مضى مسموماً وقد سمّه المعتمد

من اقواله وحكمه

من الفواقر التي تقصم الظهر جارٌ ان راى حسنة اطفاها ، وان راى سيئة افشاها .

حب الابرار للابرار ثواب للابرار ، وحب الفجار للابرار ، فضيلة للابرار ، وبغض الفجار للابرار زين للابرار ، وبغض الابرار للفجار خزي على الفجار ،

وقال لشيعته « اوصيكم بتقوى الله ، والورع في دينكم ، والاجتهاد لله ، وصدق الحديث ، واداء الامانة الى من ائتمنكم من بر او فاجر ، وطول السجود ، وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم : صلوا في عشائرهم ، واشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وأدوا حقوقهم ، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه ، وصدق في حديثه ، وادى الامانة ،

وحسن خلقه مع الناس ، قيل هذا شيعي ، فيسرني ذلك ، فاتقوا الله وكونوا زيناً ، ولا تكونوا شيناً ، جروا الينا كل مودة ، وادفعوا عنا كل قبيح ، فانه ما قيل فينا من حسن فنحن اهله ، وما قيل من سوء فما نحن كذلك ، لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله ، وتطهير من الله »

من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم

لا يعرف النعمة الا الشاكر ولا يشكر النعمة الا العارف

ان للسخاء مقداراً فان زاد عليه فهو سرف ، وللحزم مقداراً فان زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصار مقداراً فان زاد عليه فهو بخل ، وللشجاعة مقداراً فان زاد عليه فهو تهور

وفاته

توفي (بسر من راى) يوم الجمعة مع صلاة الغداء لثمان خلون من ربيع الاول على المشهور سنة ستين ومائتين ٨٧٣ م وعمره ثمان وعشرون او تسع وعشرون سنة

الامـام الثاني عشر

محمد بن الحسن

بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته :

هو محمد بن الحسن العسكري الامام الثاني عشر الذي تنتهي عنده الامانة عند الشيعة الاثني عشرية ويوصف باسماء متعددة وكنى كثيرة اشهرهـــا (المهدي) وصاحب الزمان ، والامام المنتظر ، والحجة ، ولد ليـلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ (بسر من رأى) وفي عصر المعتمد ، وامه ام ولد واسمها (نرجس) وقيل انها احدى بنات قيصر الروم .

صفاته

ابيض الوجه ، ناصع الجبين ، اشم الانف ، كث اللحية ، اكحل العينين ، براق الثنايا ــ كما استخرجه الامين من مختلف الروايات ــ وهو شثن الكفين ،

معطوف الركبتين ، وقيل انه يشبه رسول الله في خلقه الرضي ، وجـاء في رواية (النعماني) انه يشبه النبي في الخلق والخلق وسمي بالمنتظر لان خروجه منتظر حين يعم العالم الجور والظلم وتنعدم الانسانية ويسود الضلال بين الناس وتضمحل المقاييس فيخرج مؤيداً بمشيئة الله (ويملك شرق الارض وغربهـا فيملأ الارض قسطاً وعـدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) ونصوص اخرى تقول (ويقسم المال بالسوية ، ويعدل في الرعية ، ويفصل في القضية)

وقد انكر البعض وجود المهدي اصلاً وقال البعض انه لم يولد بالمرة وقال البعض بل توفي وهو صغير وذلك بسبب ما احيط به من جو الكتمان الذي اقتضته الاحوال السياسية يومذاك واستدعت اخفاءه الا عن المقربين والصالحين من الادنين اليه الذين تولوا السفارة بينه وبين بقية شيعته والرد على استفتاآتهم ومشاكلهم ، وقد قضى ورود ذكره - من قبل أكابر اهـل السنة فضلاً عن الشيعة ، ورجال التاريخ، ورواة الحديث والاخبار ، عند مختلف المذاهب - على كل شبهة وكل ظن ، وقـد لخص (الامين) في استعراضه لسيرة المهدي من طرق اهل السنة طائفة كبيرة من الاحاديث والاخبار التي تخص المهدي وكونه الامـام الثاني عشر ، وكونه المنتظر كما هو عليه رأي الشيعة الاثني عشرية من انه سيخرج ويملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

ومن المفيد الاشارة الى من قال بوجود المهدي ووافق الشيعة من علمـاء اهل السنة كأبي سالم كمال الدين محمد بن طلحة القرشي النصيبي (الشافعي) في كتابه (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول) فقد قال عنه « المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر » ثم قال « واما مولده (فبسر من رأى) في ثالث وعشرين رمضان سنة ٢٥٨ للهجرة » .

وكأبي عبدالله محمد بن يوسف الكنجي (الشافعي) في كتابه (البيان في اخبار صاحب الزمان) ويشتمل هذا الكتاب على خمسة وعشرين بابـ؟

وتناول في كل باب من الابواب الاربعة والعشرين عدة أحاديث عن احوال (صاحب الزمان) من طريق اهل السنة .

وكنور الدين علي بن محمد بن الصباغ (المالكي) في (الفصول المهمة في معرفة الائمة) فقد جاء في الفصل الثاني عشر قوله (الفصل الثاني عشر ، في ذكر ابي القاسم الحجة الخلف الصالح ابن ابي محمد الحسن الخالص وهو الامام الثاني عشر ، وتأريخ ولادته ، ودلائل امامته الخ) وحين تطرق المؤلف في كتابه هذا الى ذكر الامام الحسن العسكري والد المهدي قال بهذا النص : «وخلف ابو محمد الحسن رضي الله عنه من الولد ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق ، وكان قد اخفي مولده ، وستر امره لصعوبة الوقت وخوف السلطان ان يطلبه من الشيعة وحبسهم ، والقبض عليهم »

وكشمس الدين ابي المظفر يوسف بن عبدالله البغدادي (الحنفي) المعروف بسبط ابن الجوزي (١) في كتابه (تذكرة خواص الامة في معرفة الائمة) بعد ان أتى على ترجمة الامام حسن العسكري بهذا اللفظ « ذكر اولاده - اي اولاد العسكري - منهم محمد الباقر الامام (فصل) هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وكنيته ابو عبدالله وابو القاسم وهو الخلف الحجة وصاحب الزمان والقائم والمنتظر والتالي وهو آخر الائمة » .

وكالشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي الاندلسي في كتابه (الفتوحات المكية) الذي نقل عنه الشعراني في (اليواقيت والجواهر) ما هذا نصه « وعبارة الشيخ محي الدين في الباب السادس والستين والثلاثماية من (الفتوحات)

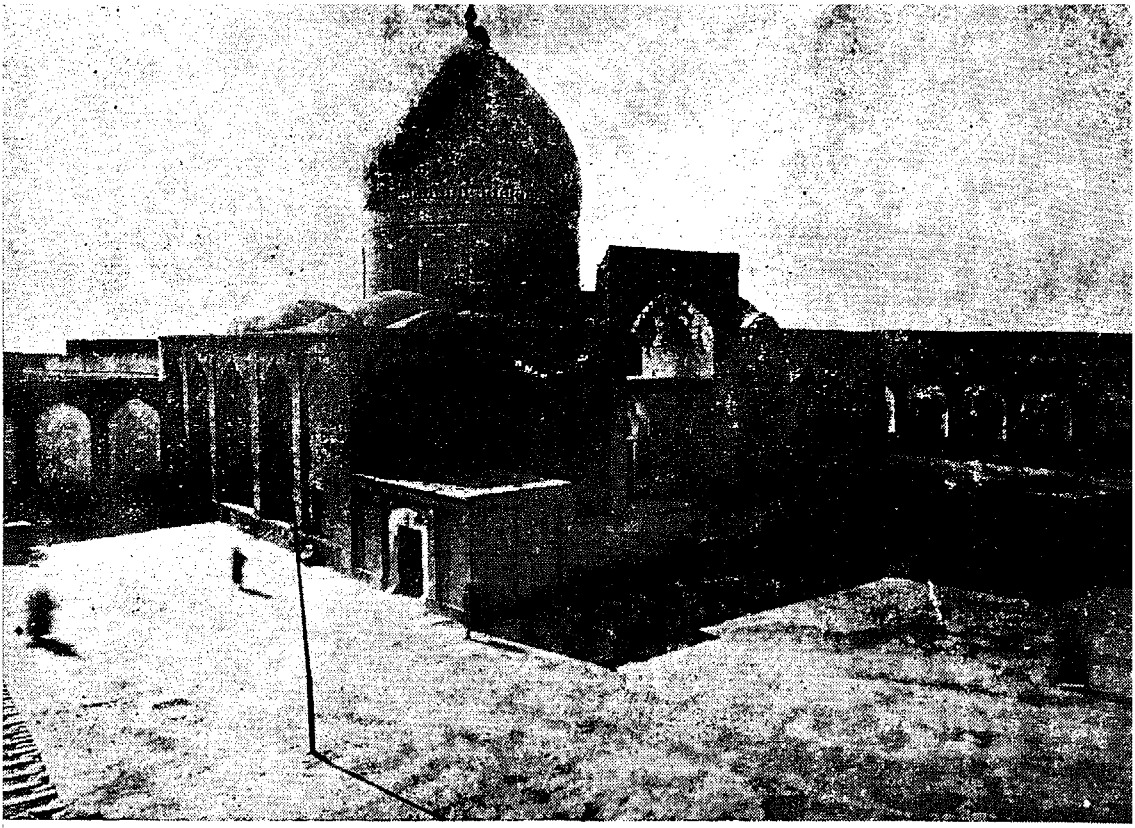
- سبط ابن الجوزي هو ابن بنت العالم الواعظ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن التيمي البكري « الحنبلي » المعروف بابن الجوزي ، وكان سبطه حنبلياً في شبيبته كجده لامه ثم صار حنفياً

« واعلموا انه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلىء الارض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها ... الخ »

وكالشيخ عبد الوهاب الشعراني المصري في كتاب (اليواقيت والجواهر، في بيان عقائد الاكابر) قال الشعراني ما لفظه « المبحث الخامس والستون في بيان ان جميع اشراط الساعة التي اخبرنا بها الشارع حق لا بد ان تقع كلها قبل قيام الساعة وذلك كخروج المهدي » ـ الى ان قال ـ وهو من اولاد الامام الحسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ .. الخ »

وكالحافظ محمد بن محمود البخاري (الحنفي) في كتاب (فصل الخطاب) على ما نقلُ ما لفظه : « ولما زعم ابو عبد الله جعفر بن ابي الحسن علي الهادي رضي الله عنه وادعى ان اخاه الحسن العسكري رضي الله عنه جعل الامامة فيه سمي الكذاب وهو معروف بذلك، وابو محمد الحسن العسكري ولده محمد رضي الله عنهما معلوم عند خاصة اصحابه وثقات اهله » .

وكثير غير هؤلاء من أكابر رجال الحديث والتاريخ الذين وردت تراجمهم في المعاجم والاعلام بشيء كثير من التجلة وأشير الى كتبهم بشيء كثير من الاعجاب ممن خص كل كتابه او بعض فصوله او قسما من اخباره بالحجة المهدي، ومن هؤلاء السيد جمال عطاء الله في كتابه (روضة الاحباب) ونور الدين عبد الرحمن بن قوام الدين الجامي (الحنفي) وقيل الشافعي، في كتابه (شواهد النبوة) وهو صاحب كتاب (نفحات الانس) ، بالفارسية و (سلسلة الذهب) الذي طعن فيه بطوائف (الرافضية) على حد قول صاحب كتاب (الشقائق النعمانية) ومع ذلك فقد أفاض في ذكر المهدي



مدخل السردا المعروف بسرداب الغيبة في سامراء

وغالى في ايراد معجزاته ، والعارف عبد الرحمن من مشائخ الصوفية وقد ذكرت اخباره في كتاب (مرآة الاسرار) [١] .

١ ـ وفي السرداب المعروف بسرداب الغيبة يقول السيد محسن الامين في ج ١ ص ٤٥٧ من اعيان الشيعة « ومن الوهم ان يعتقد البعض بوجود المهدي في سرداب سامراء بل هو توهم فاسد، وانما يتبركون بهذا السرداب ويتعبدون فيه من باب التبرك باثار الصالحين لأنه قد سكنه ثلاثة من أئمة اهل البيت عليهم السلام وكان سرداب دارهم التي في سامراء .

عقائد

الشيعة وأصول دينهم

كتبها

جعفر الخليلي

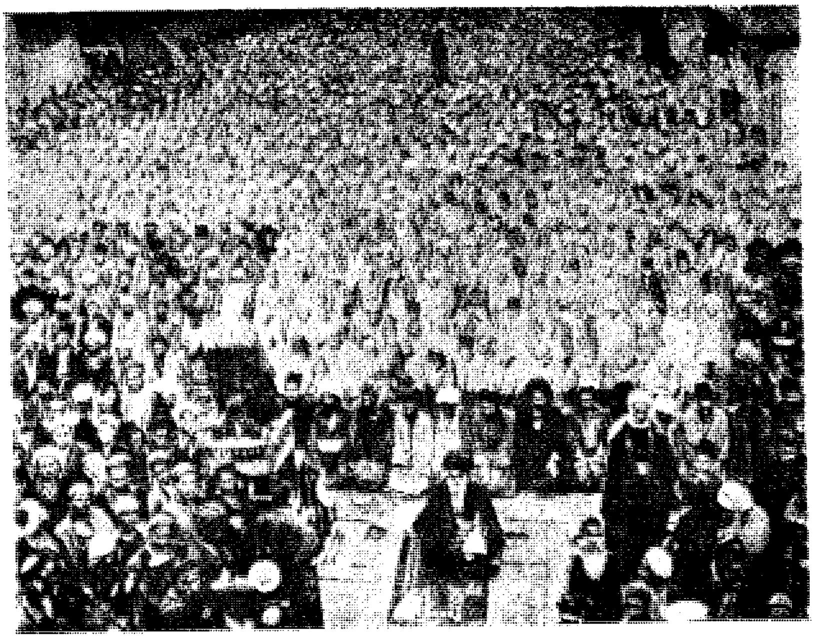
عقيدة الشيعة وأصول دينهم

الشيعة الامامية الاثنا عشرية هم الاكثرية العامة بين طوائف الشيعة ، وانما سموا بالاثني عشرية لانهم يحصرون أئمتهم في اثني عشر اماماً ، وهذا احد الاختلافات المهمة بينهم وبين طوائف المسلمين والشيعة الآخرين ، ويسمى الشيعة الامامية (بالجعفرية) ايضاً ذلك لتلقي قواعد فقههم وأصول مذهبهم من الامام السادس جعفر بن محمد الصادق ولان تجاهرهم بالتشيع كان ابرز وأظهر في ايام الصادق (ع) في القرن الثاني الهجري .

اما نفوس الشيعة اليوم فليس هنالك احصاء مضبوط يمكن الركون اليه والكثير ممن عنوا بالاحصاء اعتمدوا التخمين اكثر من الاعتماد على الاحصاءات الرسمية ، ولعل للعواطف دخلاً في الزيادة والنقصان الوارد في التخمينات وفي الاحصاءآت الرسمية ، ومع ذلك فهذه التخمينات لم تتجاوز المائة مليون عداً للشيعة الاثني عشرية حسب الاستنتاجات .

وكثافة سكان الامامية في العالم هي في (العراق) و (ايران) و (الهند)

و (الباكستان) و (لبنان) وشرقي افريقيا كزنجبار ودار السلام ، وعلى ان العتبات المقدسة من مراقد أئمة الشيعة الامامية هي المراكز الدينية والعواصم المذهبية ، فان هذه المراكز والعواصم تتنقل اهميتها حسب العوامل



اكثر من عشرين الف مصل يصلون صلاة العيد في احد ميادين كربلاء

الاجتماعية ، والحوادث السياسية والاقتصادية ، ومع ذلك فكثيراً ما انحصرت الزعامة الروحية والمرجعية المذهبية ، ودراسة العلوم الدينية ، والفلسفية ، واللغة والادب (بعتبة) دون اخرى ، وكثيراً ما تساوت الاهمية العلمية والزعامة في عتبتين او اكثر في زمن واحد من حيث الاهمية العلمية والزعامة الروحية بحيث يتعذر تفضيل عتبة على اخرى من حيث اهميتها الرزحية ولكن هذا لا يعني ان مركز الزعامة الروحية وقف على مركز (العتبة)

فكثيراً ما انحصرت الزعامة الدينية الكبرى كلها او جلها في مدن ليست لها علاقة بالعتبات المقدسة كبغداد ، والحلة ، واصفهان مثلا ، ومع ذلك فقد احتفظت بعض العتبات بكونها عاصمة للشيعة الاثني عشرية لمدة اطول بسبب عوامل تخص نبوغ ساكنيها من العلماء ، ونشاط العلم ، ومدى الشهرة التي اكتسبتها ، وان من هذه العتبات التي احتفظت بزعامة الشيعة مدة اطول هي (النجف) التي تعتبر اليوم المرجع المهم ، ومصدر الفقه الشيعي، ومنبع الفتاوى المذهبية بين اغلب مراكز الشيعة الامامية .

« يقول الشيخ علي الشرقي للشيعة مدن علمية تعاقبت في الظهور حسب الاحوال الاجتماعية والسياسية التي تنقلت بهم من مركز الى مركز ومن وقت الى وقت فكانت (الكوفة) وكانت (قم) ثم (الحلة السيفية) ثم (حلب) ثم (شيراز) ثم (اصفهان) ثم (كربلاء) ثم (النجف) ، وربما كانت (جبع) احدى مدن عاملة و (الصباغية) احدى مواقع البطائح ، و (الرماحية) احدى مدن خزاعة في الفرات الاوسط من المراكز العلمية »

وكل هذه المدن كان لها في بعض الاوقات السلطة الزمنية والدينية وكانت محطات علمية توزع تلاميذها على الاقطار الشيعية ويهاجر اليها رواد العلم وطلابه وفي كل منها حتى اليوم اثار علمية ففي (قم) زوايا ومدارس وخوانق قديمة ، وفي شيراز محلة كبيرة تعرف بمحلة العلماء وللعرفان الشيرازي والادب الشيرازي انتشار وشهرة ، وكل تاريخ (الحلة) علم وادب ، وكتاب المسائل الحلبية يشهد بما كان لحلب من تاريخ الشيعة ؛ وتكثر في (اصفهان) وبلاد (عاملة — لبنان) المدارس التاريخية والمحلات العلمية ، وقبور العلماء الشهيرة ، واكثر الكتب الحية والتآليف الممتعة التي بين ايدينا اليوم هي : للقمي ، والحلبي ، والحلي ، والشيرازي ، والعاملي ، والاصفهاني ، والرازي،

والحائري ، والغروي ، وقد انتقل النتاج الفكري من كل هذه المـدن الى النجف » (١)

والشيعة يعنون بالعلم ، والفن ، والادب عناية خاصة ، ويلتزم فقهاؤهم بالاحاطة التامة باللغة العربية حتى وان كانوا من غير العرب ، وبالتاريخ الاسلامي ، والادب العربي لما يتوقف على ذلك من امور تتعلق بتفسير القرآن وفهم مغازي الحديث ، والخبر ، وما ترمي اليه الشريعة من فلسفة ربما تطلبت استعراض الاديان الاخرى ومقارنتها بالدين الاسلامي ، لذلك نبغ من الشيعة عدد كبير من رجالات الفقه وعلم الكلام ، واللغة ، والادب والفنون بمختلف صورها ، وقد الفت في ذلك كتب متعددة تطرقت الى هذه الملكات والمواهب ، ومن اهم هذه الكتب التي صدرت في العصر الاخير كتاب للسيد حسن الصدر الكاظمي باسم (الشيعة وفنون الاسلام) تناول فيه بحث تقدم الشيعة في العلوم والفنون الاسلامية بصورة واسعة ، وقد ترجم هذا الكتاب لاهمية موضوعه الى لغات اجنبية (٢)

الاسلام والايمان في عقيدة الشيعة

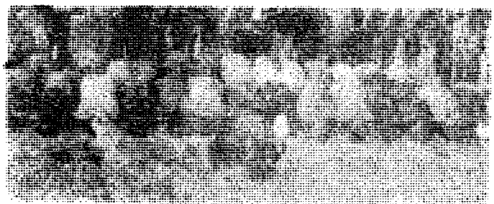
والشيعـة الاثنا عشرية مسلمون ، ويعتقدون ان الاسلام هو النطق بالشهادتين : بان يقول المسلم او من يدخل الاسلام ١ – اشهد ان لا اله الا الله ٢ – وان محمداً عبده ورسوله ، ، وعلى ان الاسلام والايمان مترادفان ويطلقان على معنى اعم (٣) ولكن الايمان اعلى درجة من الاسلام «٤»

(١) الاحلام الشيخ علي الشرقي ص ٤٠

(٢) الشيعة – السيد محمد صادق الصدر من ٦٢ (٣) اصل الشيعة واصولها ص ٥٨

(٤) اعيان الشيعه ج ١ ص ٤٥٢

« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » ومع ذلك فالاسلام والايمان وحدة تعتمد بالمعنى الاعم على ثلاثة اركان وهي التوحيد ، والنبوة ، والمعاد فلو انكر الرجل واحداً منها فليس بمسلم ولا مؤمن ، واذا دان بتوحيد الله ونبوةسيد الانبياء محمد «ص» واعتقد بيوم الجزاء « من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر » فهو مسلم حقاً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم : دمه ، وماله ، وعرضه حرام



الشيعة يؤدون صلاة الجماعة في لندن في المسجد الاسلامي العام

ويطلـــق الاسلام والايمان على معنى اخص، وهو يعتمد عـلى تلك الاركان الثلاثة ، وركن رابع آخر ، وهو العمل بالدعائم التي بني عليهـا الاسلام وهي خمس :

الصلاة ، والصوم ، والزكاة، والحج، والجهاد

وبالنظر الى هذا قالوا « الايمان اعتقاد بالجنان ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان »

« من آمن بالله ورسوله وعمل صالحاً » فكل مورد في القرآن اقتصر على ذكر الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، يراد به الاسلام والايمان بالمعنى الاول ، وكل مورد اضيف اليه ذكر العمل الصالح يراد به المعنى الثاني

اصول الدين

واصول الدين عند الشيعة الامامامية خمسة :

الاول — التوحيد

الثاني — العدل

الثالث — النبوة

الرابع — الامامة

الخامس — المعاد

ومن الواجب عند الشيعة ان يتدبر المسلم اصول دينه وعقائده بالتتبع، واعمال الفكر ، واخذ العقيدة بهذه الاصول عن طريق العقل ، فلا يجوز تقليد الغير في العقيدة ما دام الله قد وهبه عقلاً يجب عليه ان يستخدمه ، ويمرّنه في النظر الى الاشياء لاكتساب المعرفة ، وفهم الامور ، واخذها بميزان البصيرة والاصول المنطقية الصحيحة ، قال تعالى :

(سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

وقد ذم الله المقلدين في كتابه العزيز بقوله : (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً) كما ذم من يتبع ظنونه ورجمه بالغيب فقال : (ان يتبعون الا الظن)

والحقيقة ان العقول هي التي فرضت علينا النظر في الخلق ومعرفة خالق الكون كما فرضت علينا النظر في دعوة النبي فلا يصح عند الشيعة تقليد الغير في ذلك مهما كان ذلك (الغير) منزلة وخطراً) [١]

وقد اجمع العلماء قاطبة على ان اصول الدين لا يكفى فيها الظن وان وصل الى رتبة الاطمئنان وتاخم العلم والاعتقاد[٢] وان المعرفة واجبة ،وهي عند الشيعة اصلية ومأخوذة من قول الامام علي بن ابي طالب « اول الدين المعرفة » وبناء على هذا فان الواجب يقضي بأن تجيء المعرفة باصول الدين الخمسة عن طريق الدليل والايمان العقلي ، وجاء في ذم التقليد ايضاً قوله

١ — عقائد الشيعة ص ٦ ٢ — رروضة المسائل ص ٤

تبارك وتعالى(انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) وقوله (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقوله (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وتقطعت بهم الاسباب) [1]

اما التقليد في الفروع فقد جوزه الشيعة الامامية وقيدوا انفسهم به

---

١ ــ الانسان واول الواجبات

١ ـ الوجود والتوحيد

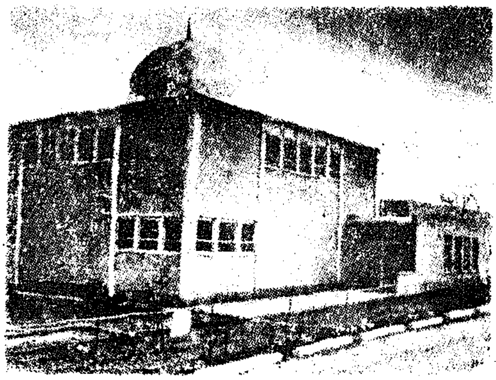
والركن الاول عند الشيعة هو ان يعتقد المسلم بوجود الله ووحدانيته وكونه متصفاً بجميع صفات الكمال ومنزهاً عن جميع صفات النقص وعن كل ما يقتضي الحدوث ، وهي ما تسمى بالصفات الثبوتية والصفات السلبية اما الصفات الثبوتية فهي ثمان :

١ ــ قادر مختار ٢ ــ عالم ٣ ــ حي ٤ ــ مريد كاره ٥ ــ مدرك ٦ ــ قديم ازلي باق ابدي ٧ ــ متكلم ٨ ــ صادق ، واما الخالق ، والرازق ، والمحي ، والمميت وامثالها فهي من صفات الافعال

اما صفات الله السلبية فهي سبع :

١ ــ ليس بمركب ٢ ــ ليس بجسم ٣ ــ ليس محلاً للحوادث ٤ ــ ليس بمرئي لا في الدنيا ولا في الآخرة ٥ ــ ليس له شريك ٦ ليس بمحتاج ٧ ــ نفي المعاني والصفات عنه

ولكل صفة من الصفات المذكورة الثبوتية والسلبية ادلة عقلية ذات وجوه متعددة ، تجعل العقيدة راسخة بوجود الله ووحدانيته واتصافه بتلك الصفات الثبوتية والسلبية فلوجود الله عز وجل ادلة متعددة نضرب مثلاً منها ما اورده الشيخ محمد رضا فرج الله من امثلته الخاصة قال :



جامع الشيعة في الولايات المتحدة

«لا شك ان الموجود من حيث هو منحصر في اثنين : مفيض للوجود ، ومفاض عليه الوجود ، وبعبارة اجمل: منعم ومنعم عليه ، ولا بد للاول من كونه موجوداً لذاته من غير احتياج الى من يفيض عليه الوجود وينعمه به . بل ان ذاته علة لوجود الغير وللانعام عليه ، ولا بد للثاني من احتياجه الى علة له خارجة تفيض به عليه الوجود وتنعم به عليه ، ولو كان من افاض الوجود وانعم به يحتـــاج الى من يفيض عليه الوجود وينعمه به ايضاً للزم ان لا يوجد موجود اصلاً ، لان الفرض ان من يفيض الوجود به لا يفيض الا بعد ان يفاض عليه الوجود من الغير وينعم به فهو اذاً قبل الانعام بافاضة الوجود عليه غير موجود ،

وعلى هـــذا الفرض وبهذا القياس فلا موجود ابداً ، ولتوضيح ذلك فلنضرب مثلاً مصغراً بسلسلة من موجودات عشرة فنقول :

اذا كان (العاشر) الذي هو نهايـــة السلسلة يستقي فيض وجوده من (التاسع) فهو قبل وجود (التاسع) لم يكن موجوداً ،

ولنأت الى (التاسع) ونقول اذا كان التاسع يستقي فيض وجوده من (الثامن) فهو اذا قبل وجود (الثامن) لم يكن موجوداً ايضاً

وهكـــذا كل لاحق في العدد يستقي وجوده من سابقه حسب الفرض ، فهو غير موجود قبل وجود سابقه حتى نصل الى (الاول) الذي هو مصدر افاضة الوجود عليها وهو ان كان يستقي وجوده من غيره فهو غير موجود

ايضاً ، فلا وجود (للعشرة) حينئذ لفقدان من يفيض عليها الوجود ، وهو الاول الذي افاض الوجود على الثاني حسب الفرض ، لان ذلك الاول يفقد من يفيض الوجود عليه ، فهو ليس بموجود ، وعلى هذا التقرير فلا موجود في الكون ، بل لا كون ، ولا موجود ، الا اذا كان ذلك الاول لم يستق فيض وجوده من غيره ، واذا كان كذلك فهو اذاً (الموجود لذاته) وهو علة العلل ، وهو موجد الكون ، ومفيض الوجود ، والمنعم به ، فلا محيص عن ان الله تعالى موجود بذاته لذاته منذ الأزل والى الأبد » (١)

اما ما يتعلق بوحدة الوجود فراي الشيعة فيه وفلسفتهم مأخوذة من كلمة امير المؤمنين في الله حيث يقل :

(توحيده تمييزه عن خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)

وهي اجمع كلمة لقواعد التوحيد ، ، والتجريد ، والتنزيه ، ودحض التشبيه ، والصحيح الذي لا غبار عليه ان حقيقة الوجود من حيث هي واحدة لا تعدد فيها ولا تكرار بل كل حقيقة من الحقائق ، وماهية من الماهيات ايضاً بالنظر الى ذاتها مجردة عن كل ما سواها يستحيل تعددها وتكررها . ومن قواعد الحكمة المتفق عليها ان (حقيقة الشيء لا تتثنى ولا تتكرر ، والماهيات انما تتكثر وتتكرر بالوجود) (٢)

ويتمسك الشيعة في عقيدتهم بالوجود بقول الامام الصادق « العبودية جوهرة كنهها الربوبية » والتي يمثلها لبيد الشاعر في قوله :

(الا كل شيء ما خلا الله باطل)

والذي قال فيه النبي (ص) « اصدق كلمة قالها الشاعر لبيد »

---

(١) الانسان واول الواجبات ص ٣٠ (٢) الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في الفردوس الاعلى ص ١٥٠

والتوحيد هو الايمان بان الله واحد لا شريك له وان ما جاء به القرآن الكريم (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) وقوله تعالى : (وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) ان هذا هو اساس العقيدة التي يجب ان يثبتها المنطق ويقيمها العقل في الذهن ،

والمقصود من ان الله (موجود وحي) هو انه ليس مثل الجمادات ، وليس لانه ذو روح ، والقول بانه (مدرك) اي انه يبصر ولكن لا بعين ، ويسمع ولكن ليس باذن ، بل يدرك جميع المبصرات والمسموعات ، والقول بانه (متكلم) هو انه ينطق ولكن ليس بلسان ، بل يوجد الكلام في بعض مخلوقاته ، والقول بانه (ليس محلاً للحوادث) اي للامور والصفات الحادثة ومعنى (نفي المعاني والصفات عنه) هو ان صفاته ليست مغايرة ، بل هي عين ذاته ، .

ويعتقد الشيعة ان كل ما ورد من النقل مما ظاهره خلاف ذلك مثل (الرحمن على العرش استوى) و (الى ربها ناظرة) و (جاء ربك) و (يد الله فوق ايديهم) و (مكروا ومكر الله) و (لو شاء ربك لآمن من في الارض) و (لو شاء الله ما اقتتلوا) وغير ذلك فيجب رده وتأويله الى ما حكم به العقل ، او ايكال علمه اليه تعالى[١]

---

١) السيد محسن الامين « اعيان الشيعة » ج ١ ص ٤٥٣

٢ - العدل

هو الركن الثاني من اصول الدين ومفهومه تنزيه الخالق عن فعل القبيح وعن وضعه الشيء في غير موضعه فهو غير ظالم وغير جائر في حكمه وقد حكت طبيعة هذا العدل آيات من القرآن الكريم في قوله تعالى :

(أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون)

وقوله (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن انفسهم يظلمون)

وقوله (لا يكلف الله نفساً الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)

وقوله (وما الله يريد ظلماً للعباد)

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير الى عدله والى حثه تعالى الخلق على العدل وتجنب فعل القبيح ، وكما ان وجود الله ووحدانيته قد قامت على ادلة عقلية فللعدل هذا ادلة ذات وجوه متعددة تقوم على قواعد العقل والمنطق تفرض على كل شيعي مدرك مناقشتها والايمان بها عن طريق العقل وليس عن طريق التقليد فلو كان الله يفعل الظلم والقبح فان الأمر في

ذلك لا يخلو عن اربع صور :

١ ـ ان يكون جاهلاً بالأمر فلا يدري انه قبيح

٢ ـ ان يكون عالماً به ولكنه مجبور على فعله ، وعاجز عن تركه

٣ ـ ان يكون عالماً به وغير مجبور على فعله عليه ولكنه محتاج الى فعله

٤ ان يكون عالماً به وغير مجبور عليه ولا يحتاج اليه ، فينحصر في ان يكون فعله له تشهياً وعبثاً ولهواً وكل هذا المفروض محال على الله تعالى وتستلزم صوره النقص فيه ، وهو محض الكمال ، فيجب ان نحكم بانه منزه عن الظلم وفعل ما هو قبيح وقد وردت الأدلة العقلية في مواطنها المفصلة من الكتب تنزيهاً له تعالى من الظلم وفعل القبيح

ويقول الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ان (العدل) ليس اصلاً مستقلاً من صفات الله بل هو مندرج في نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال والكمال ، فهو شأن من شؤون التوحيد ولكن الاشاعرة لما خالفوا (العدلية) وهم المعتزلة ، والامامية ، فانكروا الحسن والقبح العقليين وقالوا ليس الحسن الا ما حسّنه الشرع وليس القبيح الا ما قبّحه الشرع ، وانه تعالى لو خلد المطيع في جهنم والعاصي في الجنة لم يكن قبيحاً لانه يتصرف في ملكه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون حتى انهم اثبتوا وجوب معرفة الصانع ووجوب النظر في المعجزة لمعرفة النبي من طريق السمع والشرع لا من طريق العقل لانه ساقط عن منصة الحكم فوقعوا في الاستحالة والدور الواضح

اما العدلية ـ الشيعة والمعتزلة فقد قالوا ان الحاكم في تلك النظريات هو

---

١ ـ الشيخ محمد رضا المظفر في « عقائد الشيعة » ص ١٦

العقل مستقلاً ، ولا سبيل لحكم الشرع فيها تأكيداً وارشاداً والعقل يستقل بحسن فعل الافعال وقبح بعض آخر ، ويحكم ان القبيح محال على الله لانه حكيم ، وفعل القبيح مناف للحكمة وتعذيب المطيع ظلم ، والظلم قبيح ، وهو لا يقع منه تعالى ، وبهذا اثبتوا لله صفة (العدل) وافردوها بالذكر دون سائر الصفات اشارة الى خلاف الأشاعرة مع ان الأشاعرة في الحقيقة لا ينكرون كونه تعالى عادلاً غايته ان العدل عندهم هو ما يفعله ، وكلما يفعله فهو حسن ، نعم انهم انكروا ما اثبته المعتزلة والامامية من حكومة العقل وادراكه للحسن والقبح على الحق جل شأنه قائلين انه ليس للعقل وظيفة الحكم بان هذا حسن من الله وهذا قبيح منه (١)



جماعة من الشيعة يؤدون صلاة الجماعة بجامع الشيعة في هامبورك

وتفرعت من راي الاشاعرة فكرة (الجبر) وهي تقابل فكرة (الاختيار) وحرية الارادة عند الشيعة والمعتزلة فقد قال الاشاعرة بان الانسان مجبور او ما يشبه ذلك على ما يقع منه ، وقالت (الامامية) بل هو مختار وحر في اعماله ، وانما ملكة الاختيار وصفته كنفس وجوده من

---

(١) اصل الشيعة واصولها ص ٧٤

الله ، فهو الذي خلق العبد وأوجده مختاراً ، ويقول الشيعة لو كان العباد مجبورين على افعالهم لما صحت مواخذة العاصي منهم، ولا اثابة المطيع بـــل تكون المواخذة حينذاك ظلماً ، لان الغاصي مجبور على فعل الطاعة ايضاً ، وعلى هذا فلن تكون هناك مثوبة او عقوبة ، ولا وعد ، ولا وعيد ، ولا جنة، ولا نار ، ولا سائل ولا مسؤول لان الله سبحانه خلق الخلق واجبرهم على افعالهم سواء ا كانت طاعة او معصية

على ان (للاختيار) عند الشيعة حدوداً معينة فليست هي اختيارات بكل معنى الـكلمة وانما هي امر بين امرين تتضمنه كلمة الامام الصادق

« لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين »

وهي من معضلات المسائل التي اخذت دوراً مهماً في التحليل والمناقشة طوال القرون الماضية : (فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليهم حاصبا ، ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (١)

(لا يكلف الله نفساً الا وسعها ، لهـا ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) (٢)

(فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عنـــد الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) (٣)

وباختصار فان عقيدة الشيعة في الجبر والاختيار النظريتين اللتين شغلت افـكار طوائف المسلمين: ان الاعمال صادرة عن العباد باختيارهم ، وليسوا مجبورين عليها ، وانها ليست فعلاً لله تعالى ولا مخلوقة له خلق تكوين ، بـل

---

١ ـــ سورة العنكبوت -٢ سورة البقرة

٣ ـــ سورة البقرة .

خلق تمكين ، بمعنى انه تعالى خلق في العبد القدرة على الفعل والترك ، وخلق فيه الجوارح التي يقدر بها على الفعل ، والادوات التي يتوصل بها اليه ولو شاء منعه لمنعه ، وبين له طريق الخير ، وامره باتباعه ، وأراه طريق الشر ، ونهاه عن سلوكه ، فاذا عصاه فبسوء اختياره ، واذا اطاعه فبتوفيقه واقداره [١]

١ ـ السيد محسن الامين

٣ـ النبوه

وعن طريق العقل يجب على المسلم ان يؤمن بأن من العـدل ان يرسل الله الى عباده مبشراً وهادياً يعلم الناس الاحكام ، ويبيّن لهم الحلال مـن الحرام ويرشدهم الى طريق الصواب ويحكم بينهم بالعدل ، وان ذلك واجب على الله تعالى باعتباره لطفـاً منه ، واللطف واجب على الاله الذي مرت صفاته في تعريف ذاته من قبل ، وقد يكون الايمان بوجوب ارسال الانبياء يمثل جانباً من (العدل) بحيث لا يمكن ان يستقيم هذا العدل تماماً من غير وجود بشير او نذير ، او هاد ، او مرشد ، يتمثل في صورة نبي يأتي الى عباده ليعلمهم ما ينبغي عليهم ان يتعلموه ليعملوا به ، ومـا ينبغي عليهم ان يتعلموه ليتجنبوه حتى يكونوا صلحاء .

قال سبحانه وتعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)

وقال (وارسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً)

وقال (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيـاً الى الله باذنه وسراجاً منيراً)

وقال تعالى (ولقد ارسلنا فيهم منذرين)

وقال (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)

وغير ذلك من الآيات التي يؤمن بمنطوقها الشيعة كركن ثالث من اركان الدين الخمسة ويناقشونها منطقياً حتى يؤمنوا بواقعها بالأدلة القاطعة .

والفرق بين النبي وبين الرسول امور أهمها : ان النبي قد لا يكون مبعوثاً من الله الا لفئة خاصة ، وطائفة معينة ، والرسول هو المبعوث الى الناس سواء أكانت طائفة منهم كيونس في قوله تعالى (وأرسلناه الى ماية الف او يزيدون) ام اليهم عامة على ان تكون للرسول شريعة ابتدائية كانت كشريعة آدم او منقطعة محدودة منسوخة كشريعة موسى وعيسى ، او ناسخة لجميع الشرائع كشريعة محمد[١] .

ويعتقد الشيعة الأمامية ان جميع الانبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد مرسلون لدعوة الخلق الى الحق ، وان محمداً هو خاتم الأنبياء وسيد الرسل كما يعتقد الشيعة الامامية بكفر كل من اعتقد او ادعى النبوة بعد النبي محمد ص [١] .

وان الكتاب الموجود في ايدي المسلمين هو الكتاب الذي انزله الله للاعجاز والتحدي ولتعليم الاحكام ، وتميز الحلال من الحرام وانه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، ويتمسك الشيعة الاثنا عشرية في كون ان القرآن سالم عن النقص والزيادة والتحريف بمنطوق الآية الكريمة (انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون)

---

١ ـ الاعتقاد الصحيح ، تلخيص الشيخ فرج الله .

٢ ـ اصل الشيعة ص ٦٦

اعجاز القرآن

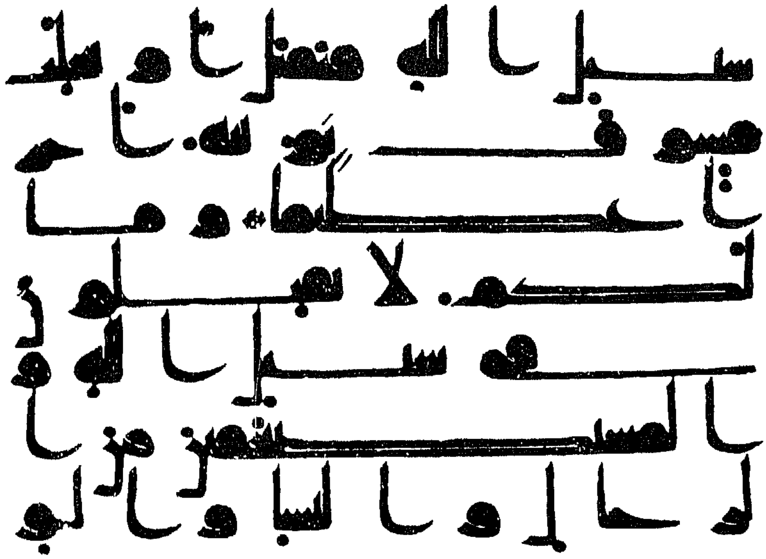
ودليل اعجاز القرآن هو البلاغة التي لم تتغير مدلولاتها ومفاهيمها بتغير الزمن ما دامت هنالك لغة اسمها اللغة العربية ، والشيعة الامامية يرون ان هذه المعجزة يجب ان تمشي الى جانب القرآن وتظل شاخصة مدى العمر ولهم على ذلك ادلة عقلية ونقلية ، فقد سحر القرآن العرب منذ اللحظة الاولى سواء منهم في ذلك من دخل في الاسلام او من لم يدخله فقد كان القرآن العامل الحاسم في ايمان من آمنوا في أوائل الدعوة ، يوم لم يكن لمحمد حول او طول ، ويوم لم يكن للاسلام قوة ولا منعة ، وقصة ايمان عمر بن الخطاب (رض) في وقعة تولي بن المغيرة نموذجان من قصص كثيرة للايمان وللتولي ، فلقد جاء ان النبي كان يصلي في المسجد ، والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي لاستماعه أعاد قراءة الآية ، فانطلق الوليد حتى أتى الى مجلس قومه من بني مخزوم فقال :

« والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الجن ، والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان اسفله لمغدق ، وانه يعلو وما يعلى » ثم انصرف الى منزله .

فقالت قريش صبأ والله الوليد ، ولتصبون قريش كلهم ، فأوفدوا اليه أبا جهل يحتال لصرفه عن الاسلام ان كان قد نوى الدخول فيه ، وما زال بهْ حتى قام معه الى مجلس قومه فقال لهم :

« تزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط ؟ وتزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهّن ؟ وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب » .

ويسألهم ويجيبونه : كلا في كل سؤال ، حتى اعياهم ان يردوا كلامه فسألوه رأيه في تفسير بلاغة القرآن ؟ ففكر ثم قال :



القرآن المنسوب خطه الى امير المؤمنين «ع»

« ما هو الا سحر يؤثر ، اما رأيتموه يفرق بين الرجـــل وأهله وولده ومواليده فهو ساحر وهذا هو السحر المبين » .

فالى ذاك يشير القرآن الكريم « انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ؟ ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم ادبر واستكبر ، فقــال ان هذا الا سحر يوثر » .

سحر يوثر ، يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ... تلك قولة رجل يتقاعس عن الاسلام ويتكبر ان يسلم لمحمد ، ويعتز بنسبه ، وماله ، وولده وليست قولة رجل آمن فهو يعلل ايمانه بهذا السحر الذي لا يغالب ، وانهــا لأدل على (سحر القرآن) للعرب من كل كلام يقوله المؤمنون ، لأنها لا تقال ولدى قائلها حيلة للسكوت عنها او مفر من الاعتراف بها [1] .

١ ـ السيد قطب في (التفسير الفني للقرآن) ص ١١ ـ ١٢



قطعة من المصحف المنسوب خطه للأمام الحسن بن علي «ع»

وشاهد آخر من نمط الوليد بن المغيرة من علماء هـــذا العصر يتمثل في أبيـــاته أعجاز القرآن الذي يتمسك بـه الشيعة كأهم ركن للنبوة لا يجوز التشكيك فيه عندهم ، وهو الدكتور شبلي شميل الذي يقول في قصيدتـــه المشهورة :

دع من محمد في صدى قرآنه ... مـا قد نحاه للحمة الغايات
اني وان أكُ قد كفرت بدينه ... هـــل اكفـّـرن بمحكم الآيات
ومواعظ لو انهم عملوا بهـــا ... ما قيدوا العمران بالعـــادات

الى قوله :

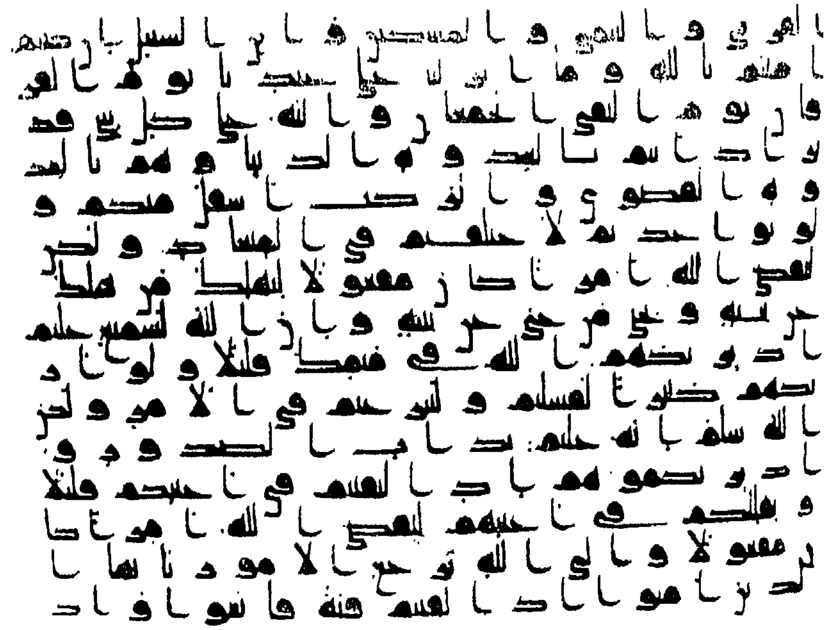
ببلاغة القرآن قد خلب النهى ... وبسيفه انحى على الهامات[1]

١ ـ المعجزة الخالدة ـ لهبة الدين ص ١٢ ـ ١٣

والقرآن في حد ذاته خير آية تـدل على صحة رسالة محمد وبعثته ويقول (جوديون بورت) :

« ان القرآن قد صرح بدعوة كل من يدعي البلاغـــة والفصاحة في ذلك الزمان الى السباق والمباراة ليخرج كل بضاعته ، او يجلب كل جواده للرهان، فعجز الكل عن ان يأتوا ولو بسورة واحدة من مثله » .

« قل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سورة بني اسرائيل .



القران المنسوب خطه للامام زين العابدين « ع »

وقد قيل ان (لبيد ابا ربيعة) وهو من أهـل اليمن ، وأحد أصحاب المعلقات السبع التي علقت في الكعبة قـــد استهل قصيدته وهو جاهلي وثني بهذا البيت :

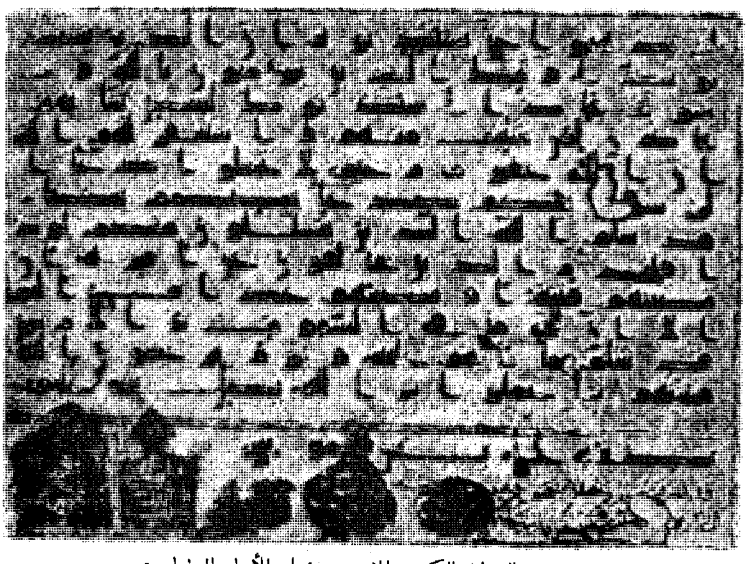
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائـــل

وقد عجز الشعراء عن ان يأتوا بمثل القرآن حتى نزلت سورة (براءة) وعلقت في الكعبة كما كانت تعلق القصائد ، فلما قرأها (لبيد) قال :

« ما هذا الا الوحي والالهام الذي اوحاه الله » فآمن بذلك الوحي وقبل الاسلام [١] وما يتعلق بالعمل بالقرآن قال الله تعالى :

(ورتل القرآن ترتيلا) وقال امير المؤمنين علي في توضيحه «اي بيّنه تبياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ، ولا تنثره نثر الرمل ، ولكن اقرعوا قلوبكم القــاسية ولا يكن همّ احدكم آخر السورة » فرتله ترتيـــلاً وقف عند وعده ووعيده ، وتفكر في امثاله ومواعظه ، واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده [٢] .

هذه خلاصة عقيدة الشيعة في النبوة والقرآن الذي جاء به النبي محمد .



صفحة من القرآن الكريم المنسوب خطه للأمام الرضا «ع»

١ ـ الاعتذار ، محمد والقرآن (لجون دبون بورت) ترجمة عباس الخليلي ص ٧٣

٢ ـ الاخلاق للسيد عبدالله شبر ص ٥٨

٤ ـ الامامة

والامامة هي الاصل الرابع في معتقدات الشيعة الامامية وهي أصل الخلاف بين الشيعة وسائر الطوائف الاسلامية ، فالشيعة الامامية تعتقد بان لامامة منصب يعهد به النبي الى من يخلفه ليكون مرجعاً من بعده يرجع اليه لناس في تفهم الشريعة وحكمتها وتوضيح رسالة الاسلام وفقهه ومغازيه ولكل امام ان يعهد بالامامة الى من يليه وهي وظائف دينية لا تتم بالانتخاب والاختيار من قبل الناس واجماعهم وانما هي تعاليم مقدسة يتلقاها امام عن امام عن النبي الذي لا يقول شيئاً ولا يعمل شيئاً الا ما يتفق مع رضاالله واشائته ، فهي منصوص عليها من الله تعالى وان البحث في (الامامة) كالبحث في النبوة عند الشيعة لا يجوز فيه تقليد الاجداد والاباء والزعماء وانما يجب تمحيص الامر على ضوء القواعد العقلية ليتم الايمان بان الامام هو خليفة النبي ونائبه العام المتبع في حفظ نواميس الشريعة واقامة كيان الملة والحافظ لقوانينها دينية كانت او دنيوية

وقد ذهب المسلمون في الخلافة عن النبي بعد وفاته مذاهب شتى وسلكوا

مسالك متعددة اهمها من يرى ان الخلافة تجب عقلاً على الله سبحانه وتعالى ومنهم من يرى انها تجب عقلاً على الناس ، ومنهم من يرى وجوبها عليهم سمعاً ، ومنهم من لا يرى وجوبها اثباتاً لا في العقل ولا في السمع ، ومنهم من يرى غير ذلك

ولكن الأهم من تلك المذاهب مذهبان ما زالا ولا يزالان الى ان يشاء الله ما يشاء

المذهب الأول – من اوجبها عقلاً على الله تبارك وتعالى وبهذا تؤمن الشيعة الامامية بان الامامة تأتي بنص من النبي وهو حين يختار خليفته فانما يصدع بأمر الله ويمثل في هذا الاختيار مشيئته ليكون بعد النبي هادياً ومرشداً بما أمر الله ونهى عنه ، وكما تجب على المسلمين طاعة رسول الله وتحرم معصيته تجب طاعة الامام وتحرم معصيته

المذهب الثاني – من اوجبها على الناس فانه يجب عنده ان يختار الناس من انفسهم اماماً لهم ينصبونه عليهم ، ينشر فيهم العدل والانصاف ويدفع عنهم الضرر والخلاف ولا يلزم فيه الاتصاف بشيء غير وقوع الاختيار عليه (١)

ويعتقد الشيعة الامامية وهم من حملة المذهب الاول بان الدليلين العقلي والقرآن يؤيدان رأيها في الامامة ، فمن الأدلة العقلية ان الله الذي انزل قرآنه وشريعته لم يرد بهذه الشريعة الا تفهمها ورسوخها في اذهان المسلمين وان اسس هذه الشريعة وفروعها ليست من الامور التي يكفي فيها عمر النبي وجهاده كفيلاً لشرحها والايمان بمبادئها ، ولما كان النبي محمد خاتم النبيين ولن يأتي بعده نبي كان من المقتضيات الواجبة ان يعين النبي من يخلفه من بعده

---

(١) الانسان واول الواجبات ص ١٣٠

اماماً لئلا يقــع الهرج والمرج في الامة ولا سيا والعهد بعبادة الاوثان لم يزل قريباً

ويرى الشيعــة ان النبي لو كان قد ترك اختيار الامامة للامة من بعده لطمع بها من ليس لها اهــلا ولطغى جانب السياسة على الجوانب الاخرى واصطبغ الدين بصبغة زمنية بحتة تزيد على الحدود التي عينها الله في كتابه وشريعته ، وبذلك قد يتمزق الاسلام ، وتتدهور كلمة المسلمين ، وتتدهور وتضعف كلمة التوحيد ، ويمكن ان يدعيها كل قريب للنبي وكل رئيس مطاع وكل مهاجري باسم المهاجرين وكل انصاري باسم الانصار وفي ذلك ما فيه من اختلال في الأمر ، وفساد في النظام ، خصوصاً وان الدين الاسلامى لم تقو أواصره بعد وتعاليم الاسلام لم ترسخ اركانها ،

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم »

فالعقل والحالة هذه يحكم بوجوب نصب شخص يقع اختياره نصاً ليؤمن به المسلمون اماماً ينفرد بالمزايا التي يجب ان تتوفر في الامام

والدليل الثاني الذي يتمسك به الشيعة الامامية هو القرآن الكريم الذي نصت آياته على جعل الخلافة من الامور التي يخص الله وحــده تعيينها ، واصطفاؤها سواء أكان المصطفى نبياً او اماماً فليس للناس فيه اختيار او انتخاب ،

وكثيرة هي الآيات التي يستــدل بها الشيعة الامامية على اصطفاء الله الانبياء والائمة وورثة الانبياء الذين يعهد اليهم النبي بوصيته كائمة من بعده تنفيذاً لارادة الله ومشيئته اذ يقول الله عن نبيه (وما ينطق عن الهوى) فاختياره لخليفته من بعده تجسيم لارادة الله واشائته

ومن هــذه الآيات قول الله عز وجل في المصطفين من الانبياء والأسر

والأقوام (ان الله اصطفى آدم وحواء ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)

وقول الله تعالى (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) .

وقوله (وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات)

وقوله (وجلعنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يؤمنون)

وقوله تعالى (انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق)

وقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائق في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم)

وقوله (ثم جعلناكم ، خلائق في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

وقوله (هو الذي جعلكم خلائق في الارض فمن كفر فعليه كفره)

الى غير ذلك من الآيات التي يستدل بها الشيعة الامامية على ان الامامة يعهد بها النبي الى من يقوم بها بعده

صفات الامام

ويعتقد الشيعة ان مجموعة من الصفات يجب ان تتوفر في الامام لكي يحق له ان يكون اماماً فيجب ان يكون افضل الناس في صفات الانسانية من الصدق والعدل ، والامانة والعفة وكرم الخلق ثم يجب ان يكون افضل الناس من حيث العقل والعلم والحكمة ، وتكون قوة الالهام عند الامام والتغلغل في اعماق الحقائق ومعرفتها وهي التي تسمى بالقوة القدسية ، يجب ان تكون غاية في السمو ، فلقد ثبت في الابحاث النفسية ان كل انسان له ساعة او ساعات في حياته قد يعلم فيها بعض الأشياء من طريق الحدس الذي هو فرع من الالهام بسبب ما اودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك ، وهذه القوة تختلف شدة وضعفاً وزيادة ونقصاً في البشر باختلاف افرادهم فيطفر ذهن لانسان في تلك الساعة الى المعرفة من دون ان يحتاج الى التفكير وترتيب

المقدمات والبراهين وتلقين المعلمين ويجد كل انسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة في حياته فيجوز ان يبلغ من قوته الالهامية اعلى الدرجات واكملها وهذا ما قرره الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون (١)



إستقبال الشيعة لاحد الروحانيين في افريقيا الغربية

ولم تكن هذه الصفات وحدها المفروضة في الامام وانما يجب ان يكون الامام كالنبي معصوماً عند الشيعة ، والعصمة هي ان يكون النبي وخلفاؤه من بعده وهم الائمة الاثنا عشر معصومين من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن بل يرى الشيعة ان العصمة تشمل اكثر من ذلك فتعصم الامام من الخطأ والهوى والميول العاطفية لان الأحكام والفتاوى والقواعد ستختل موازينها اذا ما رافقتها الاخطاء والميول العاطفية والظنون ، والشبه ، لذلك يجب ان تصدر الاحكام عن قواعد ثابتة راسخة ، ويجب ان تكون الاقوال كاملة ودالة على معانيها لا يعتورها شيء من الشبه والنسيان ، لذلك اعتبر الشيعة صفة العصمة اساسية في الائمة كما هي اساسية في النبي محمد (ص).

امامة علي واولاده

والامامة بناء على ما مر منصب إلهي ينص به النبي على الامام وينص

١ — عقائد الشيعة للشيخ محمد رضا المظفر ص ٤٦

الامام به على من يخلفه ويدل النبي الامة عليه ويامرهم باتباعه ، ويعتقـد الشيعة ان الله سبحانه وتعالى امر نبيه بان ينص على علي وينصبه علماً للناس من بعده ويقول الشيـخ محمد الحسين كاشف الغطاء (١) وكان النبي يعلم ان تبليغه الامة بامامة علي من بعده سيثقل على الناس وقـد يحملون ذلك على المحاباة والمحبة من النبي لابن عمه وصهره ، ومن المعلوم ان الناس في ذلك اليوم والى هذا اليوم ليسوا في مستوى واحد من الايمان واليقين بنزاهة النبي وعصمته عن الهوى والغرض ولكن الله سبحانه لم يعذره في ذلك فاوحى اليه :
« يا ايها النبي بلغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

فلم يجد النبي بدأ من الامتثال بعد هذا الانذار الشديد فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم) فنادى وجلهم يسمعون :

— « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟

فقالوا « اللهـم نعـم »

فقال — « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » الى آخر ما قال مما اوردته الكتب من غير طريق الشيعة ثم أكـد ذلك في مواطن اخرى تلويحاً وتصريحاً واشارة ونصاً ، حتى ادّى الوظيفة ، وبلغ عند الله المعذرة ولكن كبار المسلمين بعد النبي تأولوا تلك النصوص نظراً منهم لصالح الاسلام حسب اجتهادهم — فقدموا واخروا ، وقالوا (والامر يحدث بعده الامر)

وامتنع علي وجماعة من عظماء الصحابة عن البيعة اولاً (١) ثم رأى ان امتناعه من الموافقة والمسالمة ضرر كبير على الاسلام بل ربما ينهار الاسلام من اساسه وهوئه بعد في اول نشوئه وترعرعه ، والاسلام عند علي وهو اول من أسلم وآمن بالاسلام — من العزة والكرامة ، والحرص عليه ، والغيرة ،

---

١ - اصل الشيعة واصولها ص ٦٦

١ - اقرأ تفصيل ذلك في بحث الشيعة والتشيـع من هذا الجزء

بالمقام الذي يضحي له نفسه ، وانفس ما لديه، فكم قد قذف بنفسه في لهوات المنايا تضحية للاسلام ...

ويقول كاشف الغطاء (وزيادة على ذلك فقد رأى علي ان الرجل الذي تخلف على المسلمين قد نصح للاسلام ، وصار يبذل جهده في قوته واعزازه ، وبسط رايته على البسيطة ، وهذا اقصى ما يتوخاه امير المومنين من الخلافة والامرة فمن ذلـك كله تابع وبايع حيث رأى ان بذلك مصلحة الاسلام وهو على منصبه الالهي من الامامة وان سلم لغيره التصرف والرئاسة العامة ، فان ذلك المقام مما يمتنـــع التنازل عنه بحال من الاحوال ، اما حين انتهى الامر الى معاوية وعلم ان موافقته ومسالمته وابقاءه والياً فضلاً عن الامرة ضرر كبير وفتق واسع على الاسلام لا يمكن بعد ذلك رتقه ، لم يجد بدأ من حربه ومنابذته »(٢)

وعلى هذا فالامام بعد رسول الله ووصيه وخليفته هو الامام علي بمقتضى النصوص الواردة ، وبعده ابنه الحسن ، ثم اخوه الحسين بن علي ، ثم ابنه علي زين العابـــدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الـــكاظم ، ثم ابنه علي الرضا ، ثم ابنه محمـــــد الجواد ، ثم ابنه علي الهادي ، ثم ابنه الحسن العسكري ، ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي الغائب الذي يعتقـــد الشيعة بظهوره حين يعم الظلم والجور فيملأ الدنيا عدلاً وأمناً

وقد الفت في الوصية ، وصية رسول الله لعلي ، كتب متعددة منذ الصدر الاول للاسلام حتى القرن الرابـــع الهجري واورد الشيـــخ محمد الحسين كاشف الغطاء اسماء طائفة من الكتب المؤلفة عن الوصية قبل القرن الرابـــع ، ومن هذه الكتب

---

٣ اصل الشيعة واصولها ص ٦٧ - ٦٨

١ — الوصية لهشام بن الحكم

٢ — الوصية للحسين بن سعيد

٣ — الوصية للحكم بن مسكين

٤ — الوصية لعلي بن المغيرة

٥ — الوصية لعلي بن الحسن بن الفضل

٦ — الوصية لابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال

٧ — الوصية لاحمد بن محمد بن خالد البرقي صاحب (المحاسن)

٨ — الوصية للمؤرخ الجليل عبد العزيز بن يحي الجلودي

واكثر هؤلاء من اهل القرن الاول والثاني ، اما اهل القرن الثالث فلهم مؤلفات كثيرة وواسعة منها

١ — الوصية لعلي بن رياب

٢ — الوصية ليحي بن المستفاد

٣ — الوصية لمحمد بن احمد الصابوني

٤ — الوصية لمحمد بن الحسن بن فروخ

٥ — الوصية والامامة للمؤرخ علي بن الحسين المسعودي صاحب مروج الذهب

٦ — الوصية لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي

٧ — الوصايا لمحمد بن علي الشلمغاني المشهور

٨ — الوصية لموسى بن الحسن بن عامر (١)

اما ما اؤلف بعد القرن الرابع باسم الوصية فانه من الكثرة بحيث لا يستطاع حصره هذا اضافة الى ما ورد عن الوصية باسم الخلافة والامامة معاً ظلت التآليف فيه متصلة حتى يومنا هذا ، وآخر ما صدر بهذا

١ — المصدر المتقدم ص ٦٩

الخصوص من الاحاطة الشاملة بالوصية ، والعهد ، والخلافة ، هو موسوعة الغدير للشيخ عبد الحسين الامين الذي توسع في جمعه لأخبار الوصية وحديث الغدير توسعاً كبيراً ، واحسن ما صدر على الاطلاق كتاب (المراجعات) وهو ما جرى من اسئلة وأجوبة بين العالمين الكبيرين الشيخ سليم البشري والسيد عبد الحسين شرف الدين ، وعقيدة الشيعة بالائمة انهم هم اولو الأمر الذين قال عنهم سبحانه وتعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) وانهم عيبة علمه ، واركان توحيده ، وهم كما جاء ذكرهم في كتاب الله المجيد (عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانهم (الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) فكل امرهم من امر الله وكل نهيهم من نهيه ، وان طاعتهم طاعة الله تعالى ، ومعصيتهم معصيته ، ووليهم وليه ، وعدوهم عدوه ، ولهذا يعتقد الشيعة ان الاحكام الشرعية الالهية يجب ان تستقى من معينهم ، وانهم آل بيت النبي الذي قال النبي عنهم :

(انهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)

والدليل القطعي عند الشيعة دال على وجوب الرجوع الى آل البيت بكونهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله المنزلة ومن هذه الأدلة :

قول النبي وهو الذي اتفقت عليه رواة الحديث من اهل السنة والشيعة بدون اي اختلاف في الرواية او مضمونها وهو :

(انني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً ، انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)

والائمة بشر في عقيدة الشيعة لهم ما للناس ، وعليهم ما على الناس ، وميزتهم تنحصر في انهم عباد مكرمون ، حازوا على الدرجات العالية من التقوى والصفات السامية والاخلاق الحميدة لذلك استحقوا ان يكونوا ائمة

وان المغالين فيهم كفرة في رأي الامامية ، فالائمة لا يردون لله قضاء ، ولا يعفون لمذنب ذنباً ، ولا يغنون ولا يفقرون ، ولا يرفعون ، ولا يحطون ، فهم عباد الله الصالحون يلجأ اليهم الملتجيء تمسكاً ، ويلوذ باضرحتهم اللائذ مصلياً ومتعبدا ، ومتوسلاً الى الله طلباً للمثوبـــة ، متخذاً من أضرحتهم المقدسة وسائل للابتهال الى الله ، يزورهم معترفاً بفضلهم ، مجـــدداً عهده بولايتهم ، وهذا وليس غيره ما تنص عليه العقيدة ، واحسن ما يمثل عقيدة الشيعـــة الامامية في حقيقة ائمتهم قول الامام الصادق وهو يوصي شيعته قائـــلاً :

« ما جاءكم عنا مما يجوز ان يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحـــدوه وردوه الينا ، وما جاءكم عنا مما لا يجوز ان يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه الينا »

٥ ـ المعـاد

والمعاد هو الركن الخامس من اصول الدين وهو ان يعتقد المسلم بان الله سيبعث النفوس ويعيد لها الحياة من جـديد في يوم القيامة متجسدة بنفس جسدها ليحاسب كل نفس بما عملت فليس من العدل ان يتساوى المجرم وغير المجرم ، والمسيء والمحسن، في الحياة ، وليست الدنيا هذه الا ممراً ومعبراً الى الآخرة يقتص فيها الله هناك من المـــذنبين ، والعابثين والاشرار وينتصف للمظلومين من الظالمين،ويثيب الذين عملوا الصالحات على اعمالهم وقد أيد المعاد جميع ارباب الشرايع والأديان وعـــدوا الاعتراف بعودة الانسان الى الحياة ركناً اساسياً في اديانهم

ويمكن حصر الاقوال العامة الدينية منها وغير الدينية عن (المعاد) في اربعة أقوال :

أولها ــ انكار المعاد مطلقاً لا جسماً ولا روحـاً ، وهو قول الملحدين الذين ينكرون مبدأ الحياة ووجود الله فكيف بالمعاد والبعث من جديد

ثانيها ــ الاعتراف بالمعاد الروحاني دون الجسماني بانين آراءهم على ان

الارواح بسيطة مجرده ، والبسيط المجرد باق ، والاجسام مركبة من شتى العناصر فاذا خرجت الروح تفككت اجزاء الجسم والتحق كل جسم بعنصره وانعدم ، لذلك لن يشمل المعاد شيئاً غير الروح

وثالثها — القول بالمعاد الجسماني فقط وهو ما يعتقد به بعض المسلمين الذين يقصرون (المجرد) على الله وحده فلا يعتقدون ان هنالك روحاً مجردة ، وانما كل ما في الوجود بعد الله اجسام يميز بعضها عن بعض اللطافة والكثافة

رابعاً — وهو الذي عليه الشيعة والغالبية العامة من المسلمين وهو القول بالمعاد الروحاني والجسماني اي معاد هذا الجسد الذي كان في الدنيا بروحه وجسمه يوم القيامة

والواضح المعلوم ان كل شخص من البشر مركب من جزئين الجزء المحسوس وهو (البدن) الذي يشغل حيزاً من الفضاء والذي يشاهد بالعين الباصرة ، والجزء الذي لا يحس بالعين الباصرة وانما يحس بالبصيرة ، ويشهد العيان والوجدان هما فوق كل دليل ان هذا البدن المحسوس الحي المتحرك بالارادة لا يزال يلبس صورة ويخلعها ، وتفاض عليه اخرى وهكذا لا تزال تعتور عليه الصور منذ كان نطفة ، فعلقة ، فعظاماً ، فجنيناً ، فمولوداً ، فرضيعاً ، فغلاماً ، فشاباً ، فكهلاً ، فشيخاً ، فميتاً، فتراباً ، وفي ذلك هو هو لم يتغير ذاته وان تبدلت احواله وصفاته ، فهو يوم كان رضيعاً هو نفسه يوم صار شيخاً هرماً لم تتبدل هويته ، ولم تتغير شخصيته بل هناك اصل محفوظ يحمل كل تلك الاطوار والصور وليس عروضها عليه ، وزوالها عنه من باب الانقلاب ، فان انقلاب الحقائق مستحيل ، فصورة (المنوية) لم تنقلب (دموية) او (علقيه) ولكن زالت صورة (المني) وتبدلت بصورة (الدم) وهكذا فالصورة متعاقبة متبادلة ، لا متعاقبة منقلبة ،

وهذه الصور كلها متعاقبة في الزمان لضيق وعائه ، مجتمعة في وعاء الدهر لسعته ، والمتفرقات في وعاء الزمان مجتمعات في وعاء الدهر ، ولا بد من محل حامل وقابل لتلك الصور المتعاقبة ما شئت فسمه مادة ، او هيولى ، وكما ان المادة ثابتة لا تزول ، فكذلك الصور كلها ثابتة ، والشيء كما نعرف لا يقبل ضده ، والموجود لا يصير معـــدوماً ، والمعدوم لا يصير موجوداً ، وان انقلاب الحقائق مستحيل

— الروح او النفس المجردة —

ولقد ثبت عند العلماء (الفسيولوجيين) تحقيقاً ان كل حركة تصدر من الانسان بل ومن الحيوان تستوجب احتراق جزء من المادة العضلية والخلايا الجسمية ، وكل فعل ارادي ، او عمل فكري لا بد وان يحصل منه فناء في الاعصاب ، واتلاف من خلايا الدماغ ، بحيث لا يمكن لذرة واحدة من المادة ان تصلح مرتين للحياة ، ومهما يبد من الانسان بل مطلق الحيوان من عمل عضلي ، او فكري ، فالجزء من المادة الحية التي عرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماماً ثم تأتي مادة جديدة تأخذ محل التالفة ، وتقوم مقامها في صدور ذلك العمل مرة ثانية ، وحفظ ذلك الهيكل من الانهيار والدمار ، وهكذا كلما ذهب جزء خلفه آخر ، خلـــع ولبس ، وكلما اشتد ظهور الحياة وتكاثرت مزاولة الأعمال الخارجية ازداد تلف المادة وتعويضها وتجديدها ، وهذا التلف الدائم لا يزال يعتوره التعويض المتصل من المادة الحديثة الداخلة في الدم ، المتكونة من ثلاث دعائم ، هي : دعائم الحياة واسسها الجوهرية (— الهواء ، والماء ، والغذاء) ولو فقد الانسان واحداً منها ولو بمدة قصيرة هلك وفقد حياته ،

وهذا العمل التجديدي عمل باطني سري لا يظهر في الخارج الا بعد دقة

في الفكر ، وتعمق في النظر ، ولكن عوامل الائتلاف ظاهرة للعيان ، يقال عنها انها ظواهر الحياة ، وما هي في الحقيقة الا عوامل الموت لانها لا تتم الا بائتلاف اجزاء من انسجتنا البدنية ، واليافنا العضوية ، فنحن في كل ساعة نموت ونحيا ، ونقبر وننشر ، حتى تأتينا الموتة الكبرى ونحيا الحياة الاخرى

وعليه فاننا في وسط تنازع هـذين العاملين : عامل الائتلاف وعامل التعويض، يفنى جسمنا ويتجدد في مدار الحياة عدة مرات، بمعنى ان جسمنا الذي نعيش به من بدء ولادتنا الى منتهى أجلنا في هذه الحياة تفنى جميع أجزائه في كل برهة ، وتتحصل اجزاء يتقوم بها هذا الهيكل وليس فيها جزء من الاجزاء السابقة ولا يمكن تقدير هذه البرهة على وجه التحقيق يعني في اي مقدار به تتلاشى تلك الاجزاء جميعاً وتتجدد غيرها بموضعها

والمنسوب الى العالم الفسيولوجي (مولينت) ان مدة بقائها ثلاثين يوماً ثم تفنى جميعاً ، اما المنقول عن (فلورنس) بان المدة هي سبع سنين ،وقد اجرى العلماء المحققون في هذه الاعصار الامتحانات الدقيقة في بعض الحيوانات كالارانب وغيرها فاثبت لهم البحث والتشريح تجدد كل انسجتها بل وحتى عظامها ذرة ذرة في مدة معينة

واذا ثبت هذا التغيير ثبت وجود (النفس المجردة) بسهولة من قوة التذكر والتفكر ، فلو كانت قوة التذكر والتفكر مادية وقائمة في خلايا الدماغ وانها الجسد او جزء من الجسد لكان اللازم ان نضطر في كل سبع سنين الى تجديد كل ما علمناه وتعلمناه سابقاً ، والوجدان عندنا ان تجدد المادة المتواصل لم يندثر بسببه التفكر والتـذكر منا ولم يحدث ادنى تغيير في ذاكرتنا ولم تخب اي شعلة من علومنا ، ومعارفنا وهو اقوى دليل على وجود قوة فينا مدركة ، شاعرة ، مجردة عن المـادة ، باقية بذاتها ، مستقلة في وجودها بقيمومية مبدئها ، محتاجة الى آلاتها المادية في تصرفها ، متحدة معها في ادنى

مراتبها ، وان دثور المادة لا يستوجب دثورها ، ولا دثور شيء من كمالاتها ، وملكاتها ، ولا من مدركاتها ، ولا من معلوماتها ، كيف لا ؟ ولا تزال تخطر على بالنا في وقت الهرم امور وقعت لنا أيام الشباب، بل ايام الصبا وما قبله، وكيفما كان فان من الوضوح بمكان ان كل ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا ، وعدم تغيرها مع تغير وتبدل جميع ذرات اجسامنا

شبهة الاكل والمأكول في معاد الجسد

وان كسرة الخبز التي نأكلها وفدرة اللحم التي نمضغها وتدخل في جوفنا تعتور عليها عدة صور تخلع صورة وتلبس اخرى من الكيموس الى ان تصير دماً ، ثم توزعه حكمة الله فتجعل من ذلك الدم لحماً ، وعظماً ، وشحماً ، وعصباً ، وكبداً ، وقلباً ، وطحالاً ، الى آخر ما يحتوي ويتكون منه هذا الهيكل الانساني والجسد الحيواني ، فكيف نشأ من هذه الكسرة سبعون نوعاً من الأنواع المختلفة ، والأجناس المتباينة ، فاين العظم من اللحم ، واين الشحم من الغاز واين الغاز من المخ ، واين المخ من الشعر ؟ وهكذا وهلم جرا ، كل هذا تكوّن من لقمة الخبز ، كل هذه الأنواع مندمجة مطوية ؟ ام انقلبت وتحولت من صورة الى صورة ، ومن حقيقة الى اخرى ، ومهما قيل فيها فان تلك اللقمة التي تدخل في جوفنا وتتصرف بها المشيئة تلك التصاريف المتنوعة لم تدخل هي في كياننا ولم تصر جزءاً من اجسامنا ، بل تطورت عدة اطوار ، وتعاورتها صورة بعد صورة ، ودخلت في معامل ميكانيكية وتحليلات كياوية ، الى ان بلغت هذه المرحلة ونزلت من اجسامنا بتلك المنزلة

وان ما يرد من الاعتراض على امكان بعث الانسان الى الحياة روحاً وجسداً ، واستحالة معاده على هيكله السابق بسبب ما يتداخل من كل

جسم في جسم اخر ، مما يتعذر به معاقبة المذنب وقد شاركت في جسده اجزاء من جسد الصالح ، او مكافأة الصالح حسداً وقد شاركت في تكوين جسده اجزاء من جسد الطالح ، فان مثل هذا الاعتراض يرده الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، بما مر من التفاعلات والتحليلات ويضرب المثل بقوله : « فلو ان مؤمناً أكل كل لحم في بدن الكافر ، او اكل الكافر كل لحم في بدن المؤمن فلا لحم الكافر صار جزءاً من بدن المؤمن ، ولا لحم المؤمن دخل في بدن الكافر ، بل اللحم لما دخل في الفم وطحنته الاسنان وهو الهضم الاول زالت الصورة اللحمية منه ، وارتحلت الى رب نوعها (حافظ الصور) واكتست المادة صورة اخرى ،وهكذا صورة بعد صورة، ومن القواعد المسلمة عند الحكماء بل عند كل ذي لب (ان الشيء بصورته لا بمادته) فاين اذن تقع شبهة الآكل والمأكول » ويزيد هذا وضوحاً ان جميع المركبات العنصرية يطرد فيها ذلك الناموس العام ناموس التحول والتبدل والتبدل والدثور ، والتجدد ، انظر حبة العنب مثلاً فهل هي الا ماء وسكر؟ وهل فيها شيء من الخمر ، او الخل او الكحول ولكنها بالاختمار تصير خلاً ثم خمراً ثم غازاً او بخاراً وهكذا ، أترى ان العنب صار جزءاً من الخل ؟ والخل صار جزءاً من الخمر ؟ اذن فمن اين تجيء شبهة الآكل والمأكول » ؟ [1]

وعلى المسلم ان يؤمن بالمعاد بالدليل العقلي بصفته ركناً ولا يجوز تقبله من قبل المدركين اعتباطاً او بطريق التقليد ، اما كيف يعود الميت ، ومتى يعود ؟ ، فان المسلم غير مكلف بمعرفته ، وان عدم جواز التقليد في اصول الدين يراد منه عدم كفاية الظن ، ووجوب لزوم القطع واليقين ، لا لزوم

١ ـ هذه الفقرة وما قبلها مقتبسة من رأي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء « الفردوس الاعلى »

اقامة الحجـــج والبراهين ، وانما اقامة هذه الحجج لنفسه بحيث تقنع عقلاً بصحته

ويتلخص الايمان بالمعاد في ان يعتقد المسلم ، والشيعة الامامية خاصة ، ان الانسان عائد الى الحياة يوم يريد الله ذلك وان الذي يعود يوم القيامة يعود بنفسه المتعلقة به فليس المعاد للحساب عما فعل هو جسم الانسان فقط كما يرى البعض ، ولا مثيله ، ولا روحـــه كما يرى البعض الآخرون وانما يعود بروحه وجسمه ،

اما ما نص على المعاد من الآيات القرآنية فهو كثير جداً ومنه :

(واتقوا الله الذي اليه تحشرون)

* * *

(ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون)

* * *

(قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

* * *

(والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون)

* * *

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى)

* * *

(وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور)

* * *

(ثم انكم يوم القيامة تبعثون)

* * *

(ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا يا ويلنا

من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ، وصدق المرسلون)

* * *

(وان الى ربك المنتهى ، وانه هو اضحك وابكى وانه هو أمات واحيا وان عليه النشأة الاخرى)

* * *

(ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)

* * *

(أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة او حديداً او خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا ، قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريباً)

ملخص اعتقاد الشيعة

هذا هو ملخص اعتقاد الشيعة الامامية واصول دينهم ومذهبهم وهو لا يختلف عن اصول الدين عند طوائف المسلمين الاخرى وفي مذاهب الشيعة الآخرين الا في (الامامة) بمفهوم الشيعة الاثني عشرية والا في مسائل طفيفة تخص صفات الله ، اما الاختلاف في الفروع فعلى رغم كثرتها فانها اختلافات غير اساسية ومبعثها في الغالب الاجتهاد

والشيعة الامامية من الاصوليين الذين يحرمون التقليد في اصول الدين الخمسة ويفرضون الايمان والتمسك بها عن طريق العقل والمناقشة ويجوزون هذا التقليد في الفروع ذات العلاقة بالاحكام من العبادات والمعاملات ويرون في الرجوع الى المجتهد الافضل والاعلم في احكام دينهم اساساً لسلامة الحكم والفتاوى من الاشتباهات والاخطاء

ويتعين المجتهد الأفضل والاعلم عند الشيعة الاصوليين عن طريق التواتر وليس عن طريق الانتخاب والاختيار، والتواتر هذا نوع يؤكده مرور الزمن. فمع مرور الزمن يزيد رصيد المجتهد من الاجماع وبـــذلك تتعين ارجحيته في افضلية الرجوع اليه في الاحكام الشرعية

والاجتهاد ، درجة علمية يبلغها المجتهد بملكاته فيستطيع بمقتضاها تنقية الاخبار من الشوائب والبت في الاحكام المتضاربة ، والقطع بها ، وتتوقف سلامة هذه الاحكام على سلامة ذوق المجتهد وابتعاده عن التعقد والجمود فضلاً عن تبحره في الفقه ، لذلك ما قد يستسيغه هذا في الاستنباط قد لا يستسيغه الآخر من المجتهدين لان الاختلاف في الذوق والسليقة وليس في القواعد

الشيعة والتشيع

كتبه

الشيخ عبد الواحد الانصاري

قاضي بغداد السابق والمحامي الشرعي بمحاكم العراق

الشيعة والتشيع

(الشيعة) من الكلمات العربية المألوفة والمعروفة في قاموس اللغة العربية وهي بمعنى المتابعة والمناصرة والموالاة وأصبحت تطلق على الفرقة والجماعة التي تابعت وناصرت الامام علياً ـ ع ـ واعتقدت بامامته بنص رسول الله ـ ص ـ بأنه الخليفة من بعده مباشرة كما هو عليه مذهب الشيعة الجعفرية الامامية الاثنى عشرية (١) .

ومن مشتقات هذه الكلمة (التشيع) اي الانتساب ، والانضمام ، والاتباع ، وتشيع فلان لفلان ، اي اتبعه ، وناصره ، ووالاه ، اما متى اصبحت كلمة الشيعة صفة لازمة يعرف بها الموالون والمحبون والتابعون لعلي بن ابي طالب (ع) ثم اصبحت مذهباً للسائرين على نهج الأئمة الاثني عشر من بعده فهو محل خلاف بين المؤرخين والباحثين عن احوال الشيعة والتشيع .

ترى جماعة الكتاب والمؤرخين قديما وحديثاً ان الشيعة والتشيع لعلي

---

١ ـ هذا التعريف للشيخ المفيد

(ع) ظهرت في عهد النبي (ص) ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني (١) وابن عساكر (٢) وغيرهم من القدمـــاء وأحمد امين (٣) والمؤلفون والكتاب من الشيعة الامامية من المتأخرين .

ويروي البعض انهـــا ظهرت بعــد وفاة النبي (ص) منهم ابو الحسن النوبختي صاحب كتاب فرق الشيعة ، ويرى البعض انهـــا ظهرت في حصار عثمان، منهم صاحب الفهرست ابن النديم، ويرى الدكتور طه حسين انها ظهرت بعد وفاة الامام علي (ع) وان كلمة الشيعة أطلقت على اصحاب علي (ع) وأصحاب معاوية في صحيفة التحكيم (٤) ويرى الشيخ ابو زهرة المعاصر انها عرفت بمصر ونشأت فيها (٥) .

فلو طابقنا هذه الآراء مع ما ترويه الشيعة والسنّة من الحديث عن النبي (ص) ايدنا الرأي الأول ووجدنا ان الشيعة بمعنى الموالاة لعلي ظهرت في عهد النبي (ص) وهو الذي وصف اتباع علي ومحبيه والموالين له بالشيعة .

روى ابن حجر العسقلاني في الصواعق (ص ٩٦) عن الجاحظ جمـــال الدين الزرندي عن عبدالله ابن العباس قال: لما أنزل الله تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عنــد ربهم جنـــات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه »

قال رسول الله (ص) لعلي ، « هم انت وشيعتك تـأتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي اعداؤك غضابى مقحمين» كما أورد هذا الحديث ابن الأثير في كتابه النهاية ــ مادة ــ قمح .

واخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس قـــال : نزلت هذه الآية

---

(١) ـ الصواعق (١٥٩) (٢) ـ اصل الشيعة واصولها لكاشف الغطاء ص ٨٧ (٣)ـ ضحى الاسلام (ص ٢٠٩ ـ ج ـ ٣) (٤) ـ علي وبنوه (٥) ـ كتاب زيد عن الشيعة والتشيع .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية الخ » في علي وأهل البيت (ع) وقد عده ابن حجر في (صواعقه) من جملة الآيات التي نزلت فيهم (ع) كما في الفصل الأول من باب (١١) ص ٩٦ النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤ هـ .

وأخرج الحاكم في الكتاب نفسه بالاسناد الى علي (ع) قال : «قبض رسول الله (ص) وأنا مسنده الى صدري فقال : يا على ألم تسمع قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية الخ) هم انت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض يدعون غراً محجلين » .

وأخرج الطبراني كما في الصواعق ص ٩٦ قال : (قال : رسول الله (ص) لعلي اول اربعة يدخلون الجنة : انا ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وشيعتنا عن ايماننا وعن شمائلنا .)

وأخرج الديلمي في المصدر نفسه قال : (قال : رسول الله (ص) يا علي قد غفر الله لك ولولدك وذريتك ولأهلك وشيعتك ولمحبي شيعتك الخ ..

وأخرج احمد بن‌حنبل في المناقب كما في المصدر نفسه (ان رسول الله(ص) قال : لعلي اما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا ؟ .)

وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل في تفسير آية (المودة) في مجمع البيان بالاسناد الى ابي امامة الباهلي قال : (قال رسول الله — ص — ان الله خلق الانبياء من شجر شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة فانا اصلها ، وعلي فرعها ، وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها ، واشياعنا اوراقها ، فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ثم قال : (قل لا اسئلكم عليه من اجر لا المودة في القربى) .

هذه وغيرها هي الاحاديث المروية عن طرق اهل السنة ، اما الاحاديث المروية عن طرق الشيعة الامامية فكثيرة في كتبهم ومؤلفاتهم لا سيما كتب الحديث والتفسير نكتفي بالقدر الذي اوردناه على سبيل الاستشهاد وهو من كتب غير الشيعة ، لتأييد الرأي القائل بأن التشيع لعلي (ع) ظهر في عهد الرسول (ص) وانتشر بين الصفوة المختارة من صحبه الكرام السابقين الى الاسلام من المهاجرين والانصار كما دل على ذلك موقفهم من علي (ع) بعد وفاة النبي (ص) واعلانهم بأن الامام بعد النبي (ص) هو علي بن ابي طالب (ع) ولا يصح العدول عنه الى غيره .

يحدثنا التاريخ الاسلامي الذي دونت حوادثه في العهد الأموي والعباسي وتصرفت في سرد اخباره ايدي الحكام في العهدين تصرفاً يؤيد سلطانهم ويحد من نشاط التشيع وابطال دعوته المعارضة لحكمهم وأحكامهم ، يحدثنا هذا التاريخ ان جماعة خيرة الصحابة تمنعوا عن بيعة ابي بكر (رض) ، وقالوا بوجوب بيعة علي (ع) بعد النبي وان جماعة الانصار بعد ان خف عنهم هول المصاب ، وعظمة الرزء الذي أصابهم بفقدهم رسول الله شعروا بأنهم قد فرطوا في حق علي ، وان بيعتهم لأبي بكر كانت قد أطاحت بحق علي

ان الرواة والمحدثين متفقون على ان الهاشميين ، وبني المطلب ، وسلمان ، والمقداد ، وأبي ذر ـ وعمار ـ وحذيفة بن اليمان ـ وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت ، وعبادة بن الصامت ، والبراء بن عازب ، وقرة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري ، وأبا الهيثم بن التيهان ـ وأبي بن كعب ـ والزبير بن العوام (١) وأنس بن الحرث ، امتنعوا عن بيعة ابي بكر ووقفوا بجانب علي وتحصن

---

١ ـ كان الزبير من محبي علي ـ ع ـ وصرفه عن ولده عبدالله ، وكان الامام يقول ما زال الزبير منا آهل البيت حتى صرفه عنا ولده ـ ترجمته في الاصابة .

الكثير منهم في دار فاطمة (ع) (١) .

ومن يتتبع سير الحوادث التي حدثت بعد بيعة ابي بكر (رض) مباشرة يجد شيئاً من الندم قد خامر بعض الانصار وكثيراً من المهاجرين بحيث راح البعض يعتذر الى علي من تسرعه وخذلانه ، اما علي فقد لزم بيته بعد ان فرغ من دفن رسول الله (ص) وأحسن من يصور لنا تلك الحوادث بمختلف الأخبار والروايات التي وصلت الينا من المؤرخين القدماء والمتأخرين هو صاحب شرح النهج عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي ،وأحسن من يصوره من المتأخرين هو عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه — الامام علي بن ابي طالب ـ الجزء الاول الطبعة الثالثة : يقول الدكتور عبد الفتاح في ص ـ ١٧٩ من كتابه المذكور :

مؤتمر بياضة

« اجتمع سلمان الفارسي ، والمقداد بن الاسود الكندي ، وابو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر وعبادة بن الصامت ، وحذيفة بن اليمان ، والبراء

---

١ ـ يقول احمد عباس صالح رئيس تحرير مجلة الكاتب المصرية في مقال له في عدد كانون الثاني ١٩٦٥ بعنوان « الصراع بين اليمين واليسار في الاسلام » :

« عارض علي بن ابي طالب والمجموعة التي تمثل الجماهير في البيعة لأبي بكر ، بل ان علياً اعتبر اجتماع السقيفة في غيبته تآمراً من جانب عمر بن الخطاب ، كان علي وصحبه الى جانب النبي يبكونه ، ويعدون العدة لدفنه ، وعلى حد تعبير بعض المؤرخين كانت جثة النبي لم تبرد حتى اندفع عمر بأبي بكر الى السقيفة ليبتوا في امر خليفة رسول الله وحين ابلغ علي بالنبأ ثار ورفض البيعة . ورفضها معه حزبه وانصاره ، واستمر علي وصحبه ممتنعين عن البيعة ستة شهور كاملة . وكانت غالبية المسلمين مع الاتجاه الذي يمثله علي واصحابه ، اعني ان جماهير المسلمين العريضة كانت مع هذا الاتجاه ، لأن النبي نفسه كان زعيمه ، وواضع مبادئه الاساسية الخ »

ج . خ

بن عازب ، وابو الهيثم بن التيهـان وغيرهم من خيرة صحب الرسول (ص) الذين تخلفوا عن بيعة ابي بكر اقتناعاً منهم بـأن في الناس سواه اولى منه بالبيعة ومن كل الناس اذا اجتمع كل هؤلاء واجمعوا الكلمة فلقد آن ان يعود الحق اخيراً الى ذويه،التأم الجمع (في فضاء بني بياضة) تحت الليل وأقبلوا على الأمر يمحصونه ليروا أنسب الحلول فقال عمار :

ـ ما لتيم وهذا الأمر ؟ انه كان لرسول الله (ص) وهو من بعده في خير الناس بعد رسول الله (ص) اما لقد ظلمت الأنصار . فأجابه البراء :

ـ يا أبا اليقظان انما الرجل انتزعه بحق قريش وعاونه صاحباه ، فقـال حذيفـه :

ـ ان الانصار لتريد ان تنقض ما كان منها :

فسأله عمار : ـ أتعلم ذلك حقاً ؟

فأجابه ـ : والله ما كذبت ثم والله ليكونن ذلك ، فقال المقداد :

ـ فهذا والله خير وليردن الحق الى صاحبه من بعد .

فقال سلمان ـ : فان ـ أبى الرجل ؟

فأجابه ابو ذرر ـ : ـ فدعوه انه ليس ولا صاحباه الا ثلاثة من المهاجرين.

قال البراء ـ : والله لا يراني أبداً أبايـع ابن ابي قحافة وفي الناس علي ابن ابي طالب .

قال عمار ـ : ما الرأي ؟

قال المقداد ـ : الرأي ان نعيد الأمر شورى بين المهاجرين .

قال عمار ـ : أصبت وهذه الانصار تريد ان تنقض امر السقيفة .

ويقول عبد الفتاح في ص ٢٠٧ من كتابه (الامـام علي بن ابي طالب)

« ندم الانصار على ما سلف منهم حتى سال الأسف بنفوسهم كل مسيل وأخذ

الندم يتجمع في النفوس حتى امتلأت به ففاض يلتمس على الالسن ومن بين الشفاه وكانت قريش صاحبة احقاد فوقفت لعواطف القوم بالمرصاد . لاتني تحصي عليهم الحروف قبل الالفاظ ، وتعده خروجاً على طاعة السلطان ان يتحدث الناس بسجايا سواه . وبدأ الحديث مديحا يقابله مديح ، وثناء امام ثناء ثم صار جدلا حتى ترددت كلمات السيف ، والقتل ، والقتال بين فريق الحاسدين البغاة . وكانت الانباء لا تفتأ تأتي عليّا بما يدور بين الحزبين فيزيد انطواء على نفسه . وكان الانصار يودون لو انه طلع عليهم فاصابوا بظهوره بينهم قوة تؤلب حوله الرجال وتدفع بقضيته الى الامام ولكنه ظل كما اعتزم مؤثرا ان يبقى بعيدا عن المعترك خشية ان يفتتن بـه الناس وما تجيء في اعقاب هذا الافتتان من انقسام الامة في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الاسلام ولم يغير مسلكه ان جاءت جموعهم اليه ذات يوم تحيط بداره وتهتف باسمه ، داعية اليه ، منـادية اياه، ان يبرز لها تبايعه ،وتعيد له ما ضاع من حقـه المسلوب ».

ويقول : في ص ٢٠٩ في سرد الحوادث

« وقف سهيل بن عمرو يحف به اعيان قريش يخطب ويقول : يا معشر قريش ان هؤلاء الناس قد دعوا الى انفسهم ، والى علي بن ابي طالب ، وعلي في بيته لو شاء لردهم ، الا فادعوهم الى صاحبكم ، والى تجديد بيعته ، فان اجابوا ، والا فاقتلوهم ،.. فوالله اني لارجو الله ان ينصركم عليهم كما نصرتم بهم » ص ٢١٠

ثم تلاه من بعد الحرث بن هشام احد بني مخزوم آل ابي جهل فقال :

« ايها الناس ان يكن الانصار قد تبوأوا الدار والايمان من قبل ونقلوا رسول الله الى دورهم من دورنا فآووا ونصروا فانهم قد لهجوا بامر ان ثبتوا

عليه قد خرجوا بما وسموا به وليس بيننا وبينهم معاتبة الا السيف »

وقال عكرمة بن ابي جهل :

« لولا قول رسول الله : الأئمة من قريش، ما انكرنا إمرة الانصار . . انحدروا الى القوم فان أبوا فاقتلوهم»

وفي ص ٢١٩ و ٢٢٠ من المصدر نفسه :

« انطلق عمرو بن العاص الى مسجد المدينة يتناول بلسانه ما كان من الانصار اذ ارادوا ان ينصروا عليا بعد خذلان فيفيض في نقدهم ويمعن قال وهو قائم يخطب الناس : « والله لقد دفع الله عنا من الانصار عظيمة ولما دفع عنهم اعظم ، كادوا ان يحلوا حبل الاسلام كما قاتلوا عليه ، ويخرجوا منه كما دخلوا فيه .... الا انهم قاتلونا بالامس فغلبونا على البدء ولو قاتلناهم لغلبناهم على العاقبة »

وان ما يؤيد صحة عزم الانصار على مناصرة الامام وندمهم على ما فرطوا في حقه هو موقف الامام منهم بعد تحريض الموتورين من اعيان قريش على قتالهم فحين اخبر الفضل بن العباس عليا ــع ــ بمقالة عمرو غضب الامام وجاء الى المسجد فدعا اليه الناس ، حتى تجمعوا وقام فيهم يقول :

« يا معشر قريش ان حب الانصار ايمان ، وبغضهم نفاق ، ان حب الانصار ايمان وبغضهم نفاق ، لقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم . يا معشر قريش ان الله قد رغب لنبيكم عن مكة فنقله الى المدينة وكره له قريشا فنقله الى الانصار ، يا معشر قريش انا قدمنا على الانصار دارهم فقاسمونا الاموال ، وكفونا العمل ، حاربنا بهم الناس ، وانتصرنا ببذل غنيهم ، وايثار فقيرهم ، يا معشر قريش اذكروا ان الله تعالى انزل آية من القرآن جمع فيها الانصار خمس نعم اذ قال « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر

اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة بما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » الا ايها الناس ان عمرو بن العاص قام مقام من آذى فيه الميت والحي ، ساء به الوتر ، وسربه الموتور ، فاستحق من الحاضر الجواب ، ومن الغائب المقت ، فمن احب الله ورسوله احب الانصار ، وليكفف عنا بن العاص نفسه »[1].

عاد الامام الى بيته ولزم محرابه يجمع القرآن ولم يستمع لنداء الانصار وهتاف الهاتفين من حول داره لانـه كان كعادته يقظا ، حذرا ، منصرفا عن دنيا الناس ، حريصا على وحدة الصف ، بقدر حرصه على حفظ الدين الذي جاهد في سبيل نشر رسالته ، كان يحز في قلبه وهو يرى الدخلاء في الدين يريدون الوقيعة بشريعة الله ، والكيد بمن آمن بالله ورسوله حقا ، وكان يرى اي بادرة تبدر منه في تأييد الانصار عمليا تؤدي حتماً الى قيام حرب اهلية ، واشتباك مسلح قد يقضي على حياة الصفوة المختارة المؤمنة من اصحاب محمد – ص – والقضاء عليهم هو القضاء على دين الله ، وشريعة سيد المرسلين ، فرأى في الصبر على هذا حجى ، فصبر وفي القلب شجى .

اشتدت الازمة بين الهاتفين لعلي –ع– وبين خصومهم حتى بات التصادم المسلح على وشك الوقوع بين الفريقين فاشار عمر على ابي بكر (رضي) ان يجد في الامر ويسرع في اخضاع علي ومن معه للبيعة مهما كلف الامر[2]

فالطريقة التي يصورها لنا بعض المؤرخين ومنهم مؤرخو الشيعة الامامية لكيفية بيعة الامام علي –ع – لابي بكر تجعلنا نعتقد بانها كانت اضطرارية

١ – شرح النهج الجزء –٧– مجلد –٢– من – ص – –١٣– الى –ص– ١٩ – طبع دار الفكر ببيروت .

٢ – شرح النهج (الجزء –٧– مجلد –٢– من –ص–١٣–ص–١٩) طبع دار الفكر ببيروت.

حمل الامام عليها حرصه على الدين ، وحقن الدماء ، وكان للاضطرابات التي حدثت في القبائل الحديثة العهد بالاسلام بالاضافة الى الاضطرابات الداخلية التي باتت على وشك التصادم المسلح بين المهاجرين والانصار الاثر الكبير في حمل الامام على البيعة ، فقد رأى في امتناعه من الموافقة والمسالمة ضرراً كبيراً على الاسلام بل ربما كان ينهار الاسلام من اساسه وهو بعد في اول نشوئه وترعرعه ، والاسلام عند علي وهو اول من آمن به حياة العزة ، والكرامة ، والسعادة في المجتمع ، وهو بالمقام الذي يجب ان يضحي له نفسه وانفس ما لديه ، فكم قد قذف بنفسه في المهالك تضحية للاسلام ، ودفاعاً عن كيانه وسواء أكانت بيعة الامام ــ ع ــ لابي بكر (رض) اضطرارية او كما يقول بعضهم جبرية ، فان شيعة الامام قد بايعت هي الاخرى ابا بكر ومن ولي الامة بعده ، ولما صارت الخلافة الى علي استبسلت شيعته تحت لوائه في حرب الناكثين والقاسطين من الفئة الباغية والمارقين في البصرة، وصفين ، والنهروان[1] .

ويحدثنا ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة عبد الرحمن بن بزي الانصاري وفي ترجمة عمار بن ياسر بان عدد الذين حضروا مع علي في صفين من اصحاب بيعة الشجرة كانوا ثمانماية نفر من اصل الف واربعمائة ممن شهدوا مع النبي ــ ص ــ الحديبيه ، وبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة ، اما الذين حضروا مع علي ــ ع ــ ممن حضر وقعة بدر فكان عددهم ١٧٨ بدرياً ، استشهد من اهل بيعة الرضوان ثلثمائة وستون رجلا كما اشتشهد من اهل بدر ثلاثة وستون نفرا .

---

١ ــ يقول الشيخ كاشف الغطاء : واذا كان علي قد رأى ان الرجل الذي تخلف على المسلمين قد نصح للاسلام وصار يبذل جهده في قوته واعزازه وبسط رايته على البسيطة وهذا اقصى ما يتوخاه امير المؤمنين من الخلافة والامرة فمن ذلك تابع وبايع حيث يبغي بذلك مصلحة =

كل ما مر يدل على ان تاريخ شيعة علي قديم يرجع الى زمن النبي (ص) وان التشيع والتحزب والتابعية عند النفوس الكبيرة عبارة عن مزاج وعقيدة تتنافى مع المصالح المادية والشخصية تنافياً كبيراً ، وان جميع الذين وقفوا الى جانب علي وشايعوه وصادقوه وزاملوه في ايام النبي وهو في ساحة الحرب يذب عن الاسلام او الذين احجموا عن بيعة ابي بكر (ض) وحاولوا ان يبايعوا علياً بالاكراه ، او الذين وقفوا الى جانب علي واستشهدوا بين يديه

= الاسلام وهو على منصبه الالهي من الامامة وان تسلم غيره التصرف والرياسة العامة فان ذلك المقام يمتنع التنازل عنه بحال من الاحوال، اما حين انتهى الامر الى معاوية وعلم ان موافقته ، ومسالمته ، وابقاءه والياً فضلا عن الامرة ضرر كبير وفتق واسع على الاسلام لا يمكن بعد ذلك رتقه لم يجد بدا من حربه ومنابذته (راجع فصل الامامة من عقائد الشيعة من هذا الكتاب)

يقول احمد عباس صالح رئيس تحرير مجلة الكاتب المصرية في عدد كانون الثاني ١٩٦٥ « وثبت امية التي كانت تناضل منذ الجاهلية للسيطر على مكة حتى اذا جاء الاسلام عدته محاولة لهدم سلطانها ، والاستئثار به دونها ثم لم تلبث هي واحلافها ان غيرت خطتها واصبح التسلل الى مراكز الصدارة هو غايتها »

ويقول في عدد نيسان من نفس السنة : « قاد معاوية جيش الشام وهو الرجل الذي يمثل النقيض من علي تماماً ، هو شخصية فريدة جمعت فيه كل خصائص الرجل الذي لا تشل حركته اية قيمة من القيم الدينية والانسانية ، انه ابن ابي سفيان الشهير ، وابن تلك المرأة التي مضغت كبد حمزة عم النبي حين سقط قتيلا ، ان في نفس معاوية ارادة الانتصار الشخصي والغلب ، ان فيه قسوة الاعصار ، وعبقرية الغدر الغاشم ، انــه قطب السلب في الكون يتجه الى الشر ، اما الايجاب فيتجه الى الخير،وقد تصادم القطبان السالب والموجب بقدر ما تتيح الامكانية البشرية ان تكون سلباً مطلقاً او ايجاباً مطلقاً » وقال احمد عباس صالح بعد ذلك « لقد تربى معاوية في حجر ابي سفيان رأس القوى الرجعية في مكة ، وتربى علي في حجر النبي بكل ما تحمله النبوة من فداء وتضحية وايجابية للخير المطلق »

في حرب البصرة ، وحرب صفـــين ، وحرب النهروان ، كانوا اولي مزاج وعقيدة لا يستطيع ان يحولهم عن عقيدتهم طمع ولا جاه ، ولا اية امنية من اماني الحياة ، وهؤلاء هم زبدة المسلمين الذين حضر بعضهم بدراً ، وأُحداً ودافعوا عن النبي والاسلام دفاع المؤمن المستميت ، وزاملوا علياً ورافقوه وآمنوا به منذ عرفوه وكلهم اوجلّهم من اصحاب النبي ومن خيرة رجالات الاسلام ، ودعائمه .

اسباب التشيع

والتشيع في اهدافه وتعاليمه يمثل اهداف الاسلام وتعاليمه وجوهره ، فالتشيع في عقيدة الشيعة هو الايمان بالله وبرسالاته والموالاة لعلي واهل بيت النبي والاعتراف بامامته وتضيف الشيعة الامامية الاثنا عشرية منهم الاعتراف بالائمة الاحد عشر من اولاد علي على الترتيب المعروف عندهم ،

اما سبب التشيع لعلي فيقوم على اساسين : الاساس الاول وهو الاخبار والاحاديث والروايات الدينية اضافة الى ما يرويه التأريخ عن امامة علي وما يستدل به على هذه الامامة من سير الحوادث التي تتضمنها التواريخ القديمة والقريبة من عصور الخلافة ، خصوصاً الاحاديث المروية على السنة غير الشيعة ، والتواريخ المكتوبة باقلام غير شيعية ، فتجتمع كل هذه الاحاديث والاخبار والحوادث التأريخية وتؤلف عند الشيعي دعامة للتمسك بمشايعة علي ومتابعته ،

والاساس الثاني وهو المزاج ، المزاج الذي يجعلك ان تحترم كونفشيوس وانت بعيد عنه لمجرد ان تقرأ آراءه فكيف وانت تدرس سيرة من عجائب السير في عمق التفكير ، وحسن التصوير ، ونضج الرأي ، والخطابة والادب ،

والشجاعة والايمان ، ثم التواضع ثم المرح وانطلاق النفس والدعابة التي اخذها عليه البعض فقال (لولا دعابة فيه) بينما هي وحدها الدالة على النفس الطاهرة النقية الى آلاف من صفات الكمال التي حار الكثير من الفلاسفة في تصويرها وتقديرها فكيف بمن رأى علياً رأي العين ، وزامله في الحرب ، وماشاه واختبره في جميع الاحوال وهو يصاحب رسول الله ، وهو يعتزل في بيته ، وهو يحكم ، هذا المزاج هو الاساس عند الذين يكتفون باستعراض السير فيكونون شيعة بداعي مزاجهم ،

واننا نستعرض هنا باجمال بعض الاحاديث والروايات والاخبار التي يعود اليها سبب التشيع ، اما السيرة فسيتناولها جزء خاص من (قسم النجف) من موسوعة العتبات المقدسة ،

ان من أدلة الشيعة الامامية على نص النبي (ص) على امامة علي بالاسم حديث (غدير خم) المشهور الذي رواه ١٢٠ صحابياً و ٨٤ تابعياً وتجاوز طبقات رواته من ائمة الحديث عن ٣٦٠ راوياً وبلغ المؤلفون في حديث الغدير من السنة والشيعة ٢٦ مؤلفاً وخلاصته ان النبي — ص — في رجوعه من حجة الوداع ، وهي آخر حجة حجها ولم يمكث بعدها حتى توفي ووصل الى (غدير خم) جمع الناس وقام فيهم خطيباً وقال فيما قال : —

« ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين وانا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه ، فعلي مولاه ، قالها ثلاثاً ، ثم قال اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأبغض من ابغضه ، وادر الحق معه حيث دار ، الا فليبلّغ الشاهد الغائب (كتاب الغدير للاميني) (جزء — ١ — ص — ٩ — طبعة ١٣٧٢ هـ) وقد روي حديث من كنت مولاه فعلي مولاه في (الاصابة) في ترجمة الامام علي و (الاستيعاب) في ترجمته و (والألوسي) في كتاب (نثر اللالي ، على نظم الامالي) ١٧٢ طبع

بغداد كما رواه اكثر المفسرين من غير الشيعة في تفسير قوله تعالى « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك . وقد جمع العلامة الحلى ادلة النص على امامة علي في كتابه (الالفين) الذى سماه على عدد الادلة التي جمعها في الكتاب المذكور نذكر ما ورد منها عن طريق غير الشيعة :

١ . روى صاحب الاصابة في ترجمته للامام علي – ع – وصاحب (الاستيعاب) في ترجمته عن ام سلمة قالت: جمع النبي عليّا وفاطمة والحسن والحسين وادار عليهم رداءه ثم قال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس. فنزلت هذه الآية : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وذكر ابو الحمراء في ترجمته قال ان النبي – ص – كان يأتي منزل فاطمة في كل غداة فيقول : السلام عليكم اهل البيت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفي المصدرين المذكورين في ترجمة الامام – ع – ان النبي قال لعلي : انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي ولا ينبغي اذا ذهبت الا وانت خليفتي : وقال – ص – يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ، ورسوله ، ويحبه الله ورسوله فاستدعى عليا ودفع اليه الراية وقال – ص – من كنت مولاه فعلي مولاه وقال – ص – يا علي لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق ، وقال – ص – ان عليا ولي كل مؤمن من بعدي .

روى ابن الأثير في الكامل (ج (١) كيفيه دعوة النبي لعشيرته لما نزلت اية (وانذر عشيرتك الاقربين (قال : ما ملخصه ان النبي – ص – امر علياً ان يدعو عشيرته فجمعهم وهم اربعون رجلا يزيدون واحداً او يقلون واحداً وقال فيما قال (قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني ربي ان ادعوكم اليه فأيكم يؤزّرني على امري هذا فيكون اخي ووصي وخليفتي فيكم؟ فقال – ع – انا يا رسول الله بعد ان سكت القوم فأخذ النبي – ص – برقبته

وقال : ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا . وأطيعوا . فقام القوم يضحكون الخ .

وذكر صاحب الاصابة في ترجمة وهب بن حمزة قال: قال رسول الله ـ ص ـ ان علياً وليكم من بعدي ومن المصدرين المذكورين في ترجمته وفي (نثر اللالى) للالوسي (والصحاح الست): انا مدينة العلم وبابها علي فمن اراد العلم فليأت من الباب ، وفي المصادر المذكورة ان النبي استدعى علياً وفاطمة والحسن والحسين وراح يباهي بهم وفد نجران فنزلت هذه الآية (قل تعالوا ندعو ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله ، على الكافرين). وروى الالوسي في كتابه (نثر اللالي) في نظم الامالي ص ١٦٩ عن الحديث الذي اخرجه بن مردويه وابن عساكر والخطيب البغدادي عن اسماء وبنت عميس قالت : رأيت رسول الله ـ ص ـ في ثبير (وهو جبل في مكة والمدينة) وهو يقول : اشرف ثبير اشرف ثبير اللهم اني اسألك مما سألك اخي موسى بن عمران ان تشرح لي صدري وتيسر لي امري وتحل عقدة من لساني ليفقهوا امري واجعل لي وزيراً من اهلي اخي علياً اشدد به ازري وأشركه في امري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً .

ويجدر بنا ان ننقل ما اورده ابن حجر في كتابه (الصواعق) ص ٨٩ وص ٩٠ يقول : بعد ان اورد الآية الرابعة في شأن اهل البيت وهي قوله تعالى (وقفوهم انهم مسئولون) ان ما نقله المفسرون : ان الموقف والسؤال انما هو عن ولاية علي ابن ابي طالب واهل البيت فقد قال رسول الله ـ ص ـ في مواضع متعددة اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ومنها يوم (غدير خم) .

وقد سمى رسول الله ـ ص ـ القرآن وعترته بالثقلين لأن الثقل هو كل

نفيس وخطير وهذان كذلك اذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والاسرار والحكم العالية والأحكام الشرعية لذا حث النبي ــ ص ــ على الاقتداء والتمسك باهل بيته والتعظيم فيهم وقال : الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة اهل البيت .

وقيل سمي بالثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما ثم الذين وقع الحث عليهم انما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله اذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض ويؤيد الخبر السابق: ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم. وتميزوا عن بقية العلماء لان الله اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وفي احاديث الحث على التمسك بأهل البيت اشارة الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما ان كتاب الله العزيز كذلك ولهذا كانوا اماناً لأهل الأرض . ثم ان الأحق بالتمسك به منهم امامهم وعالمهم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من فريد علمه ورقائق مستنبطاته ولقد قال ابو بكر (ر ض) « علي عترة رسول الله » ــ ص ــ هذا بعض ما قاله ابن حجر في كتابه المذكور الذي جمع مناقب الامام علي وروى احاديث كثيرة في فضله فعلى طالب المزيد منهذه الاخبار مراجعته ، اضافة الى عدد من المؤلفات لغير الشيعة مما تضمن مثل هذه النصوص كمسند احمد بن حنبل ، والخصائص ، للنسائي ، و (نور الابصار) للشبنلجي ، و(ينابيع المودة) وغيرها ممن اعتمد الحديث والرواية والخبر في امامة علي وفضله .

يقول احمد امين في كتابه (يوم الاسلام) ص ٤١ طبعة ١٩٥٨ .

«اراد رسول الله ــ ص ــ في مرضه الذي مات فيه ان يعين من يلي الامر بعده ففي الصحيحين ــ البخاري ــ ومسلم ان رسول الله لما احتضرته الوفاة قال : هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، وكان في البيت رجال منهم عمر

بن الخطاب فقال عمر : ان رسول الله ـ ص ـ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف القوم فمنهم من قال : قربوا اليه يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من قال : القول ما قاله عمر ، فلما كثر اللغو والاختلاف عنده قال لهم : قوموا فقاموا ، وترك الامر مفتوحاً لمن شاء وجعل المسلمين طوال عصرهم يختلفون على الخلافة حتى عصرنا هذا .

وقال في ص ٥٢ « كان مجال الخلاف الاول بين الصحابة في بيت النبي ـ ص ـ والثاني في سقيفة بني ساعدة واخيراً تم الامر لأبي بكر على مضض ، وقال في ص ٥٤ وبايع عمر ابا بكر ثم بايعه الناس وكان في هذا مخالفة لركن الشورى ولذلك قال عمر : انها غلطة وقى الله المسلمين شرها وكذلك كانت غلطة بيعة ابي بكر لعمر »[١]

وكثيرة هي الروايات والاخبار التي تشير الى دعوة النبي للتشيع لعلي ، وقد كان يرمي حمل المسلمين المؤمنين من المهاجرين والانصار على الوقوف

---

١ – وفي التحقيق الذي اورده عباس العقاد في عبقرية الامام ص ١٦٤ ان اربعة من شهود سرية كانت مع علي قد جاءت الى النبي واشية بعلي فلما فرغ هؤلاء الاربعة من شهادتهم ضد علي اقبل عليهم رسول الله وقال ثلاثاً : « ما تريدون من علي ؟ ما تريدون من علي ؟ علي مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي » ويقول العقاد فيما يقول « ويلوح لنا ان النبي عليه السلام كان يحب علياً ويحببه الى الناس ليمهد له سبيل الخلافة في وقت من الاوقات، ويقول: والتزم في التمهيد لعلي وسائل ملموحة لا تتعدى التدريب والكفالة الى التقديم والوكالة ، ارسله في سرية الى « فدك » لغزو قبيلة بني سعد اليهودية ، وارسله الى اليمن للدعوة الى الاسلام ، وارسله الى « منى » ليقرأ على الناس سورة (براءة) ويبين لهم حكم الدين في حج المشركين وزيارة بيت الله ، وأقامه على المدينة حين خرج المسلمون الى غزوة « تبوك »

ثم يقول العقاد: « هذه فيما نعتقد اصح علاقة يتخيلها العقل، وتنبيء عنها الحوادث بين النبي وابن عمه العظيم » ص ١٦٦ .

بجانب علي للدفاع عن الدين ورد كل من تسول له نفسه الانحراف بتعاليمه واحكامه عن المقاصد التي شرعها الله وانزلها على رسوله فقد كان يعلم بما سيصيب الاسلام من بعده من انتكاسة على يد المناوئين له بعد ان انتصر عليهم في ثلاث معارك ـ بدر ـ واحد ـ والاحزاب ـ فاسلموا يوم فتح مكة ليسلموا على رؤوسهم التي طوقتها سيوف المهاجرين والانصار فدخلوا في دين الله وهم له كارهون واظهروا الطاعة له وتستروا بالاسلام وكتموا احقادهم وضغائنهم في صدورهم وراحو يتحينون الفرص للانقضاض على الدين ومحو معالمه من الدنيا .

ولبث النبي ـ ص ـ بعد الفتح يحذر المسلمين بين آونة واخرى من شرور من اسلم خشية القتل يوم الفتح فرأى أبا سفيان راكباً وولده يزيد آخذ بزمام بغلته ومعاوية يسوقها فقال « اللهم العن الراكب والقائد والسائق [١] وقال « اذا وجدتم معاوية على منبري فاقتلوه [٢] وقال ـ ص ـ الخلافة بعدي ثلاثون سنة وفي حديث آخر اربعون سنة ثم تكون ملكاً غضوضاً وقال ص ـ « رأيت في المنام كأن بني امية ينزون على منبري كما تنزو القردة [٣] وقال ـ ص ـ اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً [٤] وغير ذلك من الاحاديث التي رواها غير الشيعة قبل الشيعة التي تشير الى ما كان يضمره الأمويون وحلفاؤهم من الكيد والبطش للاسلام والمسلمين والاستيلاء على الخلافة وقلب نظام الحكم في الاسلام ولم يكن امر

---

(١) الشيعة والحاكمون عن المستدرك للحاكم ص ٦٩ (٢) نثر اللالي على نظم الامالي للالوسي ص ١٦٨ طبع بغداد ، وقد اورد هذا الحديث صاحب الاصابة في ترجمته «الخلافة بعدي ثلاثون سنة خلافة نبوة ، ثم ثلاثون سنة ملك وجبروت ولا غير فيما وراء ذلك .

(٣) حياة الحيوان ـ مادة القرد . وابن الاثير في حوادث سنة ٣٥

(٤) شرح النهج لابن ابي الحديد المجلد الثاني الجزء السابع ص ٨٨

الطلقاء خافياً على المسلمين فقد حذر عمر (ض) رجال الشورى منهم بقوله « لا تختلفوا فاذا اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وابن ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم وان هذا الامر لا يصلح للطلقاء وابناء الطلقاء » ترجمة عبدالله بن ابي ربيعه) في الاصابة .

هـــذا عرض مختصر جداً يقتضيه المدخل الى الموسوعة لبعض الأخبار الواردة عن علي والتي نعتبر السبب الاساسي للتشيـــع الى علي والائتمام به والتمسك بولائه .

الامامـــة

تقول التواريخ ان المسلمين قد اختلفوا بعد وفاة النبي — ص — في من يجب ان يتولى الامر من بعده وافترقوا الى فريقين قال احدهما وهم الشيعة ان الامامة هي الولاية العامة ومن الامور الهامة التي يتوقف عليها حفظ الدين وكيان الاسلام ورعاية شؤون المسلمين ، وان رسول الله لم يغفل عن امرها وخطرها وانه قد نص في حياته على ولاية علي ووجوب موالاته على المسلمين[١] فهو الولي وهو الامام من بعده والائمة من بعد علي هم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم البـاقر محمد ، ثم الصادق جعفر ، ثم الكاظم موسى ، ثم الرضا علي ، ثم الجواد محمد ، ثم الهادي علي ، ثم العسكري الحسن بن علي ثم

(١) من النصوص الصريحة على ولاية علي الاحاديث النبوية التي سبق ان اشرنا اليها ومنها قوله ص — (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقوله — ص — ان عليا وليكم من بعدي) وقوله (ان عليا ولي كل مؤمن من بعدي) وقوله لعلي : انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي ولا ينبغي ان اذهب الا وانت خليفتي كما قد مر ذكره .

المهدي محمد عليهم السلام والى هذا الرأي ذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية[١].

وقال الفريق الآخر : ان النبي ـ ص ـ خرج من الدنيا ولم يستخلف على دينه من يقوم مقامه وان كل من دعا الى كتاب الله والسنة والعمل بالعدل من قريش وجبت امامته ، والخروج معه والى هذا القول ذهب بقية المسلمين من غير الشيعة دون ان يكون الخلاف في الرأي بين الفريقين سبباً للشقاق والتفرقة او موجبا لتعطيل الاحكام والحد من نشاط الحركة الاسلامية وقد تقبل القائلون بالنص على امامة علي ـع ـ الامر الواقع وبايعوا لابي بكر بعد ان بايعه الاسلام ، واشترك الفريقان في الجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واعلاء كلمة التوحيد وهكذا ظل المسلمون من الفريقين يتمتعون بنعمة المؤاخاة والمحبة والصفاء يسود بينهما العدل والحكمة والمساواة حتى خلافة عثمان الذي وجد فيها الموتورون والامويون وسيلة لرسوخ اقدامهم وتولي الامارات[٢] والسيطرة . والاستيلاء على الحكم .

---

(١) مسند احمد ٥ – ٨٩ و ٣ – ٢٩ . والصواعق ص ٢٨ الفصل الثالث من الباب الاول ، السيوطي من تاريخ الخلفاء ص ٥ .ينابيع المودة ص ٤٣٧ و ٤٣٠ و ٤٤٢ .

٢ واجتزأ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية الامام ص ٦٥ الاسباب والمآخذ التي اخذت على عثمان وأدت الى التذمر واثارة الفتنة ايام خلافته فقال : « اهم هذه الاسباب انه خالف بعض السنن التي اتبعها النبي عليه السلام في الاذان والصلاة وانه ادنى اناساً من اقاربه كان رسول الله قد اقصاهم عن المدينة فاستدعاهم اليه بعد استخلافه واغدق عليهم المنح والاموال وانه اطلق العنان لابناء اسرته في الولاية والعمالة وانه منح سفيان بن حرب مائتي الف درهم ومنح الحارث بن الحكم زوج ابنته عائشة مائة الف درهم من بيت المال ، وانه توسع في بناء القصور وحرم بعض الصحابة وضرب بعضهم على مشهد من الملأ ضرب إهانة وايجاع . ولم تنقض سنوات على هذه الحال حتى كثر المترفون من جانب والمتربون من جانب اخر وشاع بين الجانبين ما يشيع دائماً في امثال هذه الاحوال من الملاحاة والبغضاء والتزيد بالتهم واللجاجة ، واضافة الاوهام الى الحقائق في خلق ذرائع الخلاف والشحناء » =

من لدن الطلقاء والمؤلفة قلوبهم[١] فقد تولى عدد من بني امية وآل ابي معيط مهات خطيرة منها ولاية الشام ، ومصر ، والكوفة ، والبصرة وهي اهم واخطر الولايات الاسلامية واغناها وعليها المعول في تمويل الخلافة الاسلامية[٢]

= والصحيح الذي لا يخامره شك هو ان سبب كل ذلك كان شيخوخة عثمان (ض) وما اتصف به من لين وضعف جعل اعوانه يستمرئون ما نعموا به ويجدون المجال واسعاً لبعث العداوة الكامنة في نفوسهم للهاشميين ويعدون عدتهم للتمسك بما هو تحت ايديهم من المناصب والغنائم واستغلال الظروف المواتية باقصى حدود الاستغلال ، وهذا هو اول الخلاف بينهم وبين علي وشيعته . ج. خ

١ ـ الطلقاء جمع طليق وهو من حصل المن عليه يوم فتح مكة ، منهم ابوسفيان وولداه يزيد ومعاوية . والمؤلفة قلوبهم ناس من قريش اسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا ، وهم من كبار قريش منهم ابوسفيان وولداه كانوا يعطون من الصدقات مالاً ، اما رفعا لاذاهم واما طمعا في اسلامهم واما تثبيتا لهم في الاسلام وكان ابوسفيان واولاده من الذين يعطيهم النبي (ص) دفعا لاذاهم لان اسلامهم لم يكن صحيحا ، ولما تولى عمر الخلافة قال: لقد اعز الله الاسلام ولم تعد حاجة لاعطائهم (ص ١٤٩) (كتاب شيخ المضيرة -- محمود ابورية)

٢ ـ والحقيقة التي يحدثنا بها التاريخ هي ان معاوية على كونه من خيار الخيار من تلك الطبقة من حيث الذكاء والفطنة والملكات فانه لم يكن له شأن في عصر النبي ولا في عصر الخليفتين ابي بكر وعمر (ض) ولم يكن بالمقام الذي يحسب له حساب بين رجال المسلمين فلا بد لشخص مثل هذا حين تسند له ولاية كولاية الشام ان يعض عليها بنواجذه وينصرف الى استغلالها بكل ما اوتي من قوة ويسعى الى قلب حكم الشورى في الاسلام الى ملكية ليأمن على بقاء الولاية بيده ويتقي جهده رجال المسلمين واكابرهم والذين تحملوا في سبيل الاسلام ما تحملوا .

روى الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (محمد) ص ٤٥٧ ان علي بن ابي طالب حين تلا صدر سورة براءة على الناس في الحجة التي حج فيها ابوبكر توالت الوفود تترى على المدينة ، وكان النبي يكرم كل وافد عليه ، ويرد الامراء مكرمين ، وقدم وائل بن حجر الكندي مع الاشعث وكان امير بلاد الشاطيء من (حضرموت) واسلم ، فاقره النبي في امارته على ان يجمع العشر من اهل بلاده ليرده الى جباة الرسول ، وكلف النبي معاوية بن ابي سفيان ان يصحب وائلا الى بلاده ، وابى وائل ان يردفه او ان يعطيه نعليه يتقي بها حمارة القيظ مكتفياً بان يدعه يسير في ظل بعيره وقبل معاوية ذلك ..!!

ج. خ

ويقول الاستاذ محمود ابورية في كتابه (شيخ المضيره) ص ١٥١ « وكان عثمان بما مكن لبني امية من حكم هذه الولايات الاربع الكبيرة ، وهي تعد بمثابة القواعد الاربع للدولة الاسلامية ، انما يصنع هذه القواعد لكي تقوم عليها اركان الدولة الاموية وكان كذلك وهو يجمع اطراف الشام كلها بيد معاوية ويجعلها تحت سلطانه انما يرمي الى ترشيحه لأن يكون ملكا لهذه الدولة ويهيء السبيل لكي يتولى الزعامة الاموية بعد ابيه ابي سفيان »

ويقول الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٢٠ :

« وليس من شك في ان عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما اتيح له من نقل الخلافة ذات يوم الى آل ابي سفيان وتثبيتها في بني امية»

ويقول ابورية في كتابه المذكور ص ١٥٢ : « ومن اعمال عثمان التي استنكرها المسلمون اشد استنكار ولا يستطيع احد ان يدافع عنه فيها انه رد الحكم بن العاص واهله الى المدينة وكان النبي (رض) قد اخرجهم ، واعطاه مالا كثيراً قدر بمائة الف درهم ، واقطع ولده الحارث سوق المدينة ، ويعرف بنهروز ، وكان النبي رض قد تصدق به على المسلمين ، واتخذ مروان وزيرا ومشيرا وامر له بمائة الف[1] ثم اقطعه فدكا التي كانت ملكا للنبي وكانت فاطمة (رض) عنها قد طلبتها من ابي بكر ورد طلبها .

١ ـ واورد المسعودي الشيء الكثير من اسماء الضياع والعقار التي امتلكها الكثير في ايام معاوية واقتناها جمع من الصحابة وفي ضمن ذلك مئات الاماء والعبيد وعدّ من اولئك المستغلين نفس الخليفة عثمان (رض) وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف الذي قال عنه انه كان على مربطه مائة فرس وان له الف بعير ، وعشرة الاف من الغنم ، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الفاً ، (جـ ١ ص ٤٣٤ مروج الذهب)

ويقول في صفحة ١٥٣

« ولما ولي عثمان وهو اموي استعان بالامويين فكان اكثر عماله منهم. وكان كاتبه وامين سره مروان بن الحكم الاموي ، ومروان هو وشيعته قد هدموا كل ما بناه الاسلام من قبل ودعمه ابوبكر وعمر من محاربة العصبيه القبليه ، وبث الشعور بان العرب وحدة وحكموا كامويين لا كعرب فحرك ذلك ما كان كامنا من العداوة القديمة بين بني هاشم وبني اميه »[١]

---

(١) والعداء بين بني امية وبني هاشم قديم يرجع الى زمن الجاهلية والى امية وهاشم نفسيهما وكان لهاشم وهو عم امية مكانة مرموقة ، وشان كبير عند العرب ، من حيث سجاياه ، وكرمه المشهور ، وكلمته المسموعة ، وقد اضفى الله بعد ذلك عليه شيئا من الجاذبية فجعل منه شخصا ذا هيبة روحية وجسمية ، وكان لامية طموح يدفع به الى ان يحتل مركز هاشم او يحتل مثله على الاقل ، وكانت هنالك اسباب وعوامل لسنا في صدد خوضها هي التي تزيد من حسد (امية) لعمه (هاشم) وكان قسم من هذه الاسباب يعود لدمامة امية وجبلته وخلقه الخاص ومع ذلك فلم يعدم (امية) اصحابا واتباعا تجمعه واياهم جامعة الخلق والمزاج ، ولقد حاول مرات او تحدى مرات عمه هاشما في زعامته والنيل منه كما تقول التواريخ حتى بلغ الامر به الى منافرة هاشم ، والمنافرة هي التحكيم عند من يقع عليه الاختيار من علية القوم ليحكم بميزة احد المتنافرين وتفضيله على الاخر من حيث الملكات و لقابليات والوجاهة والمقام ويكون الحكم نهائيا مقبولا عند العرب وهو بمثابة المبارزة في القرون السابقة والفرق بين المبارزة والمنافرة هي ان المنافرة حرب منطق ومفاهيم وتحكيم عقل والمبارزة حرب صراع وقتال، وليس من شك ان الذي دعاه الى ذلك هو الحسد والغرور اللذان اذا ركبا احدا أفقداه رشده، ثم اعتقاد امية بان الذي يمشي وراءه من الاتباع اكثر واكثر ممن يمشي وراء هاشم ، وتقدم الى هاشم يطلب منافرته عند الكاهن الخزاعي ـ جد عمرو بن الحمق ـ والكهنة كانوا يلتزمون ان يوردوا كلماتهم مسجعة بليغة تحوي الكلمة اكثر مما تطيق من المعاني ،

ويقول التاريخ ان هاشما لم يستسغ مثل هذه المنافرة ولعله استنكف ان ينافر امية وعده غير صالح ليقف الى جنبه امام الكاهن ، وحين الح امية على المنافرة ثقل هاشم على امية الشرط وطلب ان ينحر المغلوب في بطن مكة

بدأ عثمان خلافته بتفكيك اواصر الصداقة والمحبة والاخاء وكانا يسودان المجتمع الاسلامي في عهد النبي والخليفتين وساعدت اعماله على استياء كبار

خمسين ناقة سود الحدق ويجلي عن مكة عشر سنين ، ...!!

ويبدو ان امية كان كثير الاعتداد بنفسة وكثير الثقة بما له من المزايا مما يضمن له النجاح على حد زعمه وما كان يبدو له ، فوافق ، وحضر مجلس المنافرة ، وادلى كل واحد منهما بما عنده وصدر حكم الكاهن (وكنيته ابو همهمة) كما يلي :

« والقمر الباهر والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم امية الى المآثر ، اول منه وآخر ، و (ابو همهمة) بذلك خابر » .

وكان ان خسر امية المنافرة ودفع الى هاشم خمسين ناقة وفق الشرط فذبحها هاشم واطعمها للناس ، وجلا امية بعد ذلك عشر سنوات كاملة عن مكة قضاها في الشام ، وجاء في (هاشم وامية) ص ٣٣ (ويقول المؤرخون في التعليق على هذه الحادثةانهااول عداوة بين بني هاشم وامية) ولا شك ان مثل هذا الحادث مما خلف شيئا كثيرا من الحزازات في نفوس بني امية واتباعهم ولا بد وان الكثير من بني امية قد حاولوا الاستظهار بعد ذلك على بني هاشم بمختلف الطرق وكان صدر امية نفسه يغلي بالحقد والغضب بعد رجوعه من جلائه ، وكان هاشم قد مات ولكن بني هاشم احياء وقد تزعمهم عبد المطلب وعبد المطلب في ذلك اليوم ذو شان جد كبير في قريش فاذا استطاع امية ان ينتقم لنفسه ويثار منه فقد يعود له ولبنيه واصحابه ما فقدوا من عز وما لحق بهم من عار في حدود اعرافهم يومذاك فجاء الى عبد المطلب يراهنه في سباق فرسيهما مراهنة خرجت عن مألوف رهان الخيل العام حتى كادت تكون اشبه بالمباهلة بل التحدي لاخذ الثار والانتقام فقد كان الشرط ان يدفع المغلوب الذي تقصر فرسه عن بلوغ الشوط : مائة ناقة من الابل ، وعشرة من العبيد ، ومثلها من الاماء ، ثم استبعاد سنة وذلك بان يستعبد السابق الغالب المتسابق المغلوب سنة كاملة يتخذ منه عبدا وفوق كل ذلك فللغالب ان يجز ناصية المغلوب ..!!

ومن هذه الشروط نفهم ان المقصود بذلك كله اذلال المغلوب وتحقيره والمعتقد ان امية كان واثقا من فرسه ومعتقدا بفوزه والا فليس هو من الغباوة بحيث يقدم على مثل هذه المغامرة مهما بلغ حسده وغروره وكبرياؤه وكانت النتيجة ان جاءت على خلاف ما كان قد اعتقد امية وجزم فدفع الرهان كاملا ،

=

الصحابة والسابقين منهم وابعاد رجال الراي والحديث والاجتهاد امثال ابي بن كعب وعبدالله بن مسعود، وعمار بن ياسر ، والمقداد بن الاسود الكندي ، وابي ذر، وخزيمة بن الثابت ذي الشهادتين وغيرهم من الذين كانوا موضع ثقة

=

ولكنه افتدى جز الناصية بمضاعفة استعباد عبد المطلب وجعلها عشر سنين، وقد جاء في ج ٣ ص ٤٦٦ من شرح نهج البلاغة « ان امية كان في حشم عبد المطلب وعضاريطه عشر سنين »

وزاد هذا من حقد بني امية وكرههم لبني هاشم وتغلغل هذا الكره في نفوس الصغار والكبار منهم والا لما كان تصدى حرب بن امية لمنافرة عبد المطلب بعد ذلك بسنين ، ولانهى الامر عند تلك الحدود القديمة ، وتنافرا عند (نفيل بن عدي جد عمر بن الخطاب) ويقول الطبري (في ج ٢ في ترجمة عبد المطلب) و (طبقات ابن سعد ج ١ ص ٥٢) قال نفيل لحرب « أتنافر رجلا هو اطول منك قامة ، واعظم منك لامة (وفي دائرة المعارف للبستاني على ما اخرجه صدر الدين شرف الدين في هاشم وامية واقل منك ملامة وهو الصحيح) واجزل منك صفدا ، واطول منك مذودا » .

والحق انه ليس هنالك وجه للمقارنة بين بني امية وبين بني هاشم ولعل هذه الفروق وانعدام وجوه المقارنة والمشابهة من الاسباب التي خلقت هذا العداء واحكمته بين البيتين الهاشمي والاموي .

يقول ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٦٦ منقولا عن الاغاني « ان معاوية قال لدغفل النسابة : أرأيت عبد المطلب ؟ قال نعم ، قال كيف رأيته ؟ قال رأيته رجلا نبيلا جميلا وضيئا كان على وجهه نور النبوة ، قال معاوية افرأيت امية ؟ قال نعم ، قال كيف رأيته ؟ قال رأيته رجلا ضئيلا منحنيا اعمى يقوده عبده ذكوان ، فقال معاوية ذلك ابنه ابو عمر قال دغفل انتم تقولون ذلك ، اما قريش فلم تكن تعرف الا انه عبده »

واستفحل هذا الشقاق والحق ان بني هاشم على ما يروى لنا التاريخ لم تبدر منهم بادرة تدل على التحرش او الاساءة الى بني أمية وهو امر طبيعي اذ لا يهيج الفتن الا الحسد والطمع والغرض الشخصي وان الحسد والطمع والاغراض لا تجد لها في النفوس الخيرة مقاما لذلك كان الناس منذ بدء الخليقة مقسومين الى قسمين ، والمزاج في الخلق مزاجين ، فاللذة عند البعض مقتصرة على الايمان والطيبة واللذة عند البعض الاخر مقتصرة على الغلبة والسيطرة ظلما او عدوانا او كذبا حسب ما تقتضيه البيئة .

وعلى رغم هذه العداوة التي تحدث عنها التاريخ باسهاب حتى تمتى بنو

=

رسول الله ــ ص ــ واليهم كان يفزع ابو بكر وعمر (ض) في امهات المسائل ومعضلات الامور ، فابعدهم عثمان عن مركز الخلافة والنظر في شؤون المسلمين وقرّب اليه المبعدين والمنفيين في عهد النبي ــ ص ــ امثال الحكم بن ابي

=

امية لو ان بني هاشم قد ابيدوا عن بكرة ابيهم فان تلك العداوة لم تتجاوز حدود الفتن وتخطيط الوقائع ولم تصل الى سفك الدماء حتى ظهر الاسلام ونقي النبي ما لقي من الاذى والعذاب ، ووجد ابو سفيان ميدانا اوسع لحرب الهاشميين والتنكيل بهم ، وكثر خصوم محمد (ص) بسبب معارضته لدين قريش وبسبب ما كان يحيكه الامويون لحربه حتى وقعت معركة بدر الكبرى واذا بعدد من بني عبد شمس (الامويين) واتباعهم يقتلون بسيوف الاسلام وبسيوف الهاشميين خاصة لذلك ليس بالبعيد ان يكون الاسلام مكروها عند بني امية وفي اعماق نفوسهم وعلى ذلك قامت شواهد تاريخية كثيرة ٠

وكان من انشط الهاشميين في معارك بدر الكبرى الحمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب ، وقد قال (الواقدي) ان عليا قتل في حرب بدر من الامويين واتباعهم ممن شارك في قتلهم ٢٤ شخصا ومن اشهر من قتلوا في هذه الحرب كان عتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وقد تم قتلهم على يد حمزة ، وعلي وعبيدة بن الحارث بن المطلب

وكان من بين الاسراء في وقعة بدر (عقبة بن ابي معيط بن ابي عمر بن امية بن عبد شمس) وقد امر النبي (ص) بقتله فجعل عقبة يقول « يا ويلي ــ علام اقتل من بين من ها هنا ٠ ؟ فقال رسول الله : لعداوتك لله ولرسوله» فمن الصعب بعد هذاان يتناسى الامويون خصومة الاسلام وخصومة الهاشميين وقد اباح الاسلام دماءهم دفاعا عن نفسه ٠

وفي معركة احد قتل الى جانب عدد القتلى من قريش عدد من العبشميين (الامويين) وقد اورد الطبري ان (عليا) هو الذي قتل اصحاب الالوية في هذه المعركة ٠٠٠

فكان لا بد ان تحتدم المعركة بعد هذا بين بني هاشم وبني امية ولا بد ان يتغلغل طلب الثأر في النفوس الى الاولاد والاحفاد واحفاد الاحفاد ، وكان لا بد ان تتسلسل هذه الحوادث في الاذهان الى ما شاء الله ، ولا بد ان يصبح العلويون وشيعتهم الهدف الاول والاخر لبني امية ٠

العاص وولديه مروان والحارث ومعاوية والوليد بن عتبة وابي سفيان ومن على شاكلته فاستفحلت سيطرة الانتهازيين واصحاب المطامــــح والاهواء

ففي قتل عتبة ، وشيبة ، والوليد ، تقول هند بنت عتبـــة زوجة ابي سفيان وام معاوية وقد قتل الهاشميون اباها ، وعمها ، واخاها ،

ايـــا عـــين جودي بدمع سرب على خـــير خندف لم ينقلب
تداعـــى له رهطـــه غـــدوة بنو هـــاشم وبنـــو المطلب
يذيقونـــــه حـــد أسيافهــــم يعرونـــه بعد ما قد شجب

والخندفة في القاموس ان يمشي المرء مفاجا ويقلب قدميه كانه يغرف بهما وهو من التبختر •

وبلغت العداوة ان جعلت هند (لوحشي) جعلا اذا ما قتل (النبي) (ص) او قتل (عليا) او قتل (حمزة) فرمى بحربته حمزة فقتله حين لم يتيسر له قتل النبي وقتل علي •

قال الطبري ووقعت هند وصواحبها على القتلى من اصحاب الرسول في وقعة احد يمثلن بهم ويجدعن الاذان والانوف ، وقد بقرت هند كبد حمزة فلاكتها ، وقطعت انفه ، واذنيه وجعلت ذلك كالسوار في يديها واتخذت منه قلائد في عنقها حتى قدمت مكة ولذلك عير معاوية (بابن آكلة الاكباد) •

وانتصر الاسلام وتجاوز عمن حاربوه وعما كان يضمره بنو امية لبني هاشم حتى قال النبي عند فتح مكة (من دخل بيت ابي سفيان فهو آمن) وحتى قال علي (ع) في احدى المناسبات وقد جرى الحديث عند الخليفة عمر (رض) قال « اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه ومحا الاسلام ما تقدم » •

ولكن الواقع والطبيعة البشرية لا تستطيع ان تؤمن بان ثارات مثل هذه يمكن ان تنسى وان تقادم الزمن ، لذلك بقي الحال عند بني امية كنار تحت الرماد ، وظل الامويون ينتهزون الفرص متسترين بستار الاسلام للانتقـام من الهاشميين •

وليس دليل ادل على ان هذا الحقد لم يتزلزل ولم يخف ولا قيد شعرة في نفوس بني امية ان لم يكن قد زاد مع الايام من قول يزيد بن معاوية متشفيا باستباحة المدينة المنورة في وقعة الحرة حين وجه مسلم بن عقبة اليها لاستباحتها مستشهدا •

ليت اشياخـــي ببـــــدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لاهلـــــوا واستهلـــوا طربـــــا ثم قالوا يا يزيـــــد لا تشل

يقول الشيخ العلايلي في كتابه (سمو المعنى في سمو الذات) ص٣٣

والمؤلفة قلوبهم والموتورين وهاجت عداوة الامويين للهاشميين علانية فتألفت من كل اولئك جماعة وفي مقدمتهم الامويون لمحاربة علي بن ابي طالب

= « والحزب الاموي كاد للنبي ولدعوته وقد عرفنا كيف اسلم زعيم الاموية ابو سفيان ، وعرفنا كيف لم يبق للامويين اي مقام اعتباري في محيط الاسلام الذي كان ظهوره فوزا وغلبة للهاشميين فعملوا في ظل الدين على التمهيد لانفسهم والاستئثار بالسلطة، وقد وجدوا في ولاية يزيد بن ابي سفيان وولاية معاوية من بعده على الشام خطوة اولى يستطيعون ان يثبتوا اقدامهم من بعدها »

ويقول العقاد في كتابه (ابو الشهداء) وقد ورد الاستشهاد به في مجمل سيرة الحسين (ع) من (موسوعة العتبات) هذه مما لم نر بأسا في الاستشهاد به هنا مرة ثانية ، يقول العقاد :

« وقبل ان يقف الحسين ويزيد متناجزين كانت الحوادث قد جمعت لها اسباب التنافس والخصومة منذ اجيال ··· فقد تنافس هاشم وامية على الزعامة قبل ان يولد علي ومعاوية ، وقد اسلم ابو سفيان وابنه معاوية عند فتح مكة ، وكان اسلامهما أعسر اسلام عرف بعد فتحها ··· وظل ابو سفيان الى ما بعد اسلامه زمنا يحسب غلبة الاسلام غلبة عليه ، فنظر الى النبي مرة وهو بالمسجد نظرة الحائر المتعجب وهو يقول لنفسه : ليت شعري باي شيء غلبني ؟ فلم يخف على النبي عليه السلام معنى هذه النظرة » ·

وحين تولى عثمان (رض) الخلافة وجدها الامويون فرصة سانحة ولذلك قال ابو سفيان يخاطب آله :

« يا بني امية تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ما زلت ارجوها لكم ، ولتصيرن الى صبيانكم وراثة » ·

وفي قوله (ما زلت ارجوها لكم) دليل على ان الحزب الاموي كان موجودا من قبل ، وكان يعمل تحت الستار ويحيك في الظلماء والا فبأي سبب كان يرجوها لهم وليسوا باهل سابقة في الاسلام ولا أيادي لهم معروفة سوى المظاهرة ضد الله ورسوله (كما يقول الشيخ عبد الله العلايلي) ·

وقد كان من الامويين عمال في زمن ابي بكر وعمر ولم يول احد من بني هاشم فهذا وامثاله هو الذي حد انياب بني امية ، وفتح ابوابهم ، واترع كأسهم ، وفتل امراسهم ، حتى لقد وقف ابو سفيان بن حرب على قبر حمزة (رض) فقال :

ومناوئته وبث مختلف الدعاوة ضده وضد شيعته وضد الدين وتعاليمه للاستيلاء على الخلافة التي باتت على وشك ان تصير الى الامام علي ـ ع ـ بعد عثمان ،

= « رحمك الله ابا عمارة لقد قاتلتنا على امر صار الينا » سمو المعنى ص ٦٤ والخليفة عثمان (رض) شيخ طاعن في السن ، ولين العريكة ، سريع التاثر فاستغل الامويون وهم ارحامه واتباعه هذه الطيبة منه فاستحوذ واعلى اخطر المناصب واهمها اكثر مما كان لهم في عهد الخليفتين (رض) فسهل عليهم وضع العراقيل في طريق علي وشيعته ولم يهتموا ان يتظاهروا بالعداء الكامن للهاشميين .

والى جانب هذا السبب ـ سبب العداء المتاصل ـ يرى المورخون ومنهم بعض المستشرقين ان هنالك سببا مهما آخر جعل الامويين يضاعفون مجهودهم ويتكتلون لمحيلولة بين علي والخلافة وبين شيعة علي واخذ السلطة منهم الا وهي اللياقة التي اتصف بها علي واصحابه ، وما لمسه الامويون من تعلق الناس بعلي ، وبيته ، واصحابه الذين كانوا هم من اصحاب رسول الله الادنين وما عرفوا به من تقوى وايمان وشجاعة وادراك وعقل يميزون به الامور فاذا وصلت الخلافة الى علي فلن تخرج منه ومن اولاده ابدا لذلك اجتمعت كل الاحزاب وفي مقدمتهم الحزب الاموي ضد علي بن ابي طالب وخلافته وشيعته .

وكانت عداوة بني امية مكشوفة واضحة ومساعيهم لابعاد الهاشميين عن الحكم وطمس الحقيقة مفهومة ، وهي مساع ترمي الى اخذ الولاية من آل البيت ثم التنكيل بهم وابادتهم على قدر المستطاع خوفا من ايمانهم الذي لا يتزلزل وقد روى المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٣١ ان عمار بن ياسر وقف في قضية البيعة في المسجد يقول :

« يا معشر قريش اما اذ صرفتم هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ها هنا مرة وها هنا مرة فما انا بآمن من ان ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير اهله » .

وقام المقداد في نفس المجلس فقال :

« ما رأيت مثل ما اوذي به اهل هذا البيت بعد نبيهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف وما انت وذاك يا مقداد ؟ فقال اني والله لاحبهم بحب رسول الله

=

فانقسم المسلمون الى فريقين متخاصمين متناحرين يستحيل الجمع بينهما لاختلاف العقيده والقصد والغاية وبدأ الصراع الدامي بين الفريقين طيلة العهد الاموي

=

(ص) وان الحق معهم ، ومنهم ، يا عبد الرحمن ان اهل هذا البيت – يريد به البيت الاموي – قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله (ص) بعده من ايديهم، اما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش انصارا لقاتلتهم كقتالي اياهم مع رسول الله (ص) يوم بدر » ٠

وورد في كتاب (السيادة العربية) للمستشرق (فان فلوتن) ان اهل المدينة كانوا يعتقدون ان بني امية اذا وصلوا الى الحكم فمعنى ذلك انتصار لمشركي مكة القدامى على الاسلام ، والواقع ان شيئا من هذا قد وقع فقد اقتضت السياسة الاموية بان يزيحوا الهاشميين من الوجود ويزيحوا معهم كل الصفات القدسية التي اختصت بها مكة المكرمة والمدينة المنورة ولذلك شهدت مكة وشهدت المدينة الشيء الكثير من الاعتداء الاموي ونشر المجون والاباحية في مدينة الرسول وهذا نوع اخر من محاربة امية الهاشميين وشيعتهم ٠

وقد ورد في (حياة عمر ابن ابي ربيعة وشعره) للشيخ العلايلي استطرادا « ان الامويين استاجروا طوائف من الشعراء والمغنين والمخنثين من بينهم عمر بن ابي ربيعة لاجل ان يمسحوا عاصمتي الدين (مكة المدينة) بمسحة لا تليق بهما ولا تجعلهما صالحتين للزعامة الدينية وبذلك يكون لهما مركز ثانوي في محيط الحركة الاسلامية ولقد نجحوا كثيرا » ٠

وفي هذا الشيء الكثير من الحقيقة حتى قال الاصمعي (دخلت (المدينة) فما وجدت فيها الا المخنثين ورجلا يصنع الاخبار والطرف)

وفي مكان اخر من كتاب (العلايلي) يقول « لقد ثبت لمفكري المسلمين انهم اي بني امية اداة افساد وفي طبيعتهم بعث الحياة الجاهلية بكل اشيائها والوانها ولو لم يعمل ابن الزبير على طردهم من الجزيرة لربما كان شان مكة والمدينة غير شانهما اليوم » ٠

وفي رأي للاب لا منس اليسوعي ما يؤيد هذا الواقع في كتاب معاوية، وكتاب يزيد

كل هذا من العوامل التي اثارت الزوابع في وجه علي وشيعته وان عليا وشيعته ابعد ما يكونون عن الحيل والمخاتلة والاخاديع والاكاذيب وكلهم من خيرة المسلمين المؤمنين ومن اصحاب رسول الله ومن الذين ابلوا في سبيل الاسلام بلاء حسنا لذلك خلدت ذكراهم بخلود التاريخ ٠

ج٠ خ٠

ثم تحول الى صراع عقائدي يشتد تارة ويخف تارة اخرى ولم يسلم هذا النزاع من الفتك والبطش في اكثر العهود وما زالت آثاره السيئة ماثلة امام المسلمين الى اليوم .ففي قبال مذهب التشيع لعلي اعلن الامويون مذهب العثمانية (١)

١ - واقد بلغ من أمر الدعاية ضد علي ان اشاعوا بأن بعض آيات الوعيد من القرآن الكريم مما نزلت في حق علي ، والناس في تلك العصور كناسنا في العصور الاخيرة ينعقون مع كل ناعق والغوغائية هي القوة التي توجههم انى تريد والسابق في الميدان هو الذي يستطيع ان يوجه الغوغائية حيث يريد ولم يعرف التاريخ اقوى من بني امية من كان يستطيع ان يفعل هذا .

والامام علي معجزة في ذاته من حيث العلم والعقل والادراك وان اناسا من هذا الطراز لا يفكرون ولا يتحدثون ولا يعملون الا بما تصدع به عقولهم وتؤمن به قلوبهم فتحريك الفتن والشغب ونصب الحيل انما يلتجى اليها الخالون من هذه المواهب والملكات والذين لا يمتنعون من ارتكاب الباطل واتباع الشر في سبيل غاياتهم .

يقول العقاد في كتابه (عبقرية الامام) ص ٤١ « والمزية التي امتاز بها علي بين فقهاء الاسلام في عصره انه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمل ولم يقصره على العبادة واجراء الاحكام فاذا عرف في عصره اناس فقهوا في الدين ليصححوا عباداته ، ويستنبطوا منه اقضيته واحكامه ، فقد امتاز علي بالفقه الذي يراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة ، وامعن فيه ليغوص في اعماقه على الحقيقة العلمية ، والحقيقة الفلسفية كما نسميها في هذه الايام »

فاذا ضربنا صفحاً عن العداوة المتأصلة بين الامويين والهاشميين وبين الامويين وعلي وشيعته بصورة خاصة فاننا لن نستطيع ان نتجاهل اختلاف المزاج بين علي وملكاته العقلية والفكرية وايمانه وبين هذه الطوائف من اعدائه الذين يرون في هذا النوع من التفكير سداً يحول بينهم وبين الاستيلاء على الحكم والتمتع به على اساس الاصلاح واسعاد البشرية التي بشر بها الاسلام . ج.خ.

العثمانيــة

اول حرب شنت في وجه علي وشيعته

العثمانية مذهب ظهر بعد قتل عثمان (ض) سنة ٣٥ في مقابل التشيع ضم العناصر التي كانت تبغض الامام علياً (ع) ووقفت ضده كافة بعد وفاة النبي— ص — وسعت الى ابعاده عن الخلافة فمنهم من جهر بذلك ووقف بجانب الامويين كعمرو بن العاص ، وبسر بن ارطاة ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، ومالك بن حمزه ، وعبدالرحمن ابن ابي بكر ، وعبدالله بن عمر ، وابو هريرة ، وامثالهم ومنهم من آمن به سراً وامتنــع عن بيعة علي — ع — يقول انيس النصولي في كتابه (دولة امية في الشام) « ان كلمة العثمانيه تدل في الأصل على اقرباء عثمان الخليفة ، الثالث ومواليه غير انها اطلقت في الحرب الاهلية للدلالة على حزب الخليفة المقتول الذين قاموا يطالبون بقصاص من سفك دم ذلك الشهيد المظلوم في عرفهم ، وتطرف بعضهم فقالوا ان لعلي يداً في الثورة التي نشبت في المدينة وكان من نتيجتها قتل عثمان ، ولهذا فهو غير جدير بتسلم عرش الخلافة ، وانه لمن الغلط الفادح ان نعتقد بان العثمانية هم حزب

معاوية ومريدوه بل بالعكس فان كل من التف حول معاوية وناصره من اجل الاقتصاص لعثمان والأخذ بثأرهم فهو من العثمانية »

ويقول في ص ٨ من كتابه

« لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار .فأتوا علياً وبايعوه سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م والانصار هم اكثرية حزب علي ان هؤلاء منذ وفاة النبي – ص – لم يرضوا عن بيعة ابي بكر خليفة المسلمين واعترضوا واحتجوا ذلـــك ، فلو نظرنا الى الامر جلياً لتحققنا انهم لم يفوزوا في انتخاب علي في الفرص الثلاث التي سنحت لهم بل تربع على عرش الخلافة ابو بكر وعمر ، وعثمان ، مما هو مشهور »

ويقول النصولي ايضاً

« لو استثنينا النبلاء من اهـل المدينة لوجدنا القليل من اشراف بقية البلاد الاسلامية موالية لعلي ويمكننا القول ان اغلب سادة قريش وقفت على الحياد او ظاهرت معاوية وكاتفته فتأثر ابن ابي طالب من عدائهم له » .

ويقول في صفحة ٩

« واعتزل عن بيعته سعـد بن ابي وقاص ، وزيد ، وعبدالله بن سلام ، واسامة بن زيـــد ، والمغيرة بن شعبة ، وعبدالله بن عمر ، وابو موسى الأشعري، وكان هؤلاء يعتقدون انه لا يجوز ديناً الاشتراك في الفتنة ومقاتلة اخوانهم في الاسلام وقد قال اسامة لعلي لما طلب منه الخروج : اعفني من الخروج معك فانني عاهدت الله ان لا اقاتل من شهد ان لا إله الا الله . وقال سعـــد : اعطني سيفاً يفرق بين المسلم والكافر . ثم انضم هؤلاء الرجال الى

معاوية وتألف منهم حزب العثمانية (١) الذين يقدمون بني امية على بني هاشم ويقولون ان الشام خير من المدينة وقد قعدوا عن علي بن ابي طالب ولم يشهدوا حروبه »

لقد ظهرت في مذهب العثمانية فكرة القول بالارجاء بعد مقتل عثمان عام ٣٥ لحمل الناس على قتال الامام علي – ع – مع علمهم بعصيان ذلك (٢) ومن اصول الارجاء القول بان العفو واجب على الله وان جميع الذنوب ما عدا الشرك مغفورة لا محالة وان العبد اذا مات على التوحيد لم يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات (٣) وان كل ما يعمله العبد من الخير والشر هو من الله لانه مسير في جميع احواله ولا اختيار له في كل ما يفعل ٠

استحدث مذهب العثمانية مقابل مذهب التشيع وللرد على معتقدات الشيعة الذين كانوا يطعنون في معتقدات الامويين ويناقشون الاعمال والاخطاء التي ارتكبها بعض الصحابة في خروجها على الامام علي ، ونكث بيعته وقتاله في البصرة ، وصفين ،ولتحريم البحث في تلك الاخطاء طرح العثمانيون احاديث نسبوها الى النبي – في فضل عامة الصحابة دون استثناء ووجوب احترام كل واحد منهم مهما ارتكب من الذنوب والآثام كحديث (اصحابي كالنجم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقوله (الله الله لا تتخذوا اصحابي غرضاً فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني آذى الله) وقوله لعمر (ما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر

---

١ – عرفهم ابن الاثير بشيعة عثمان فى حوادث (٤٠) مقتل حجر

٢ – الدعوة الاسلامية للامام ابي الحسن الخنيزي ص ٨٢ ج ١

٣ – الملل والنحل ص ١٤٩

فقال لهم اعملوا ما شئتم) واعتبر العثمانيون الصحابة كلهم ابراراً ، وكلهم أخياراً عدولاً ، وان عدالتهم ثابتة ومعلومة بتعديل الله (وكنتم خير امة اخرجت للناس) ولا يدخل احد منهم النار وانهم كلهم من اهل الجنة قطعاً [1] من دون تفريق بين ابي بكر ومعاوية وبين عمر ومروان ، وبين عمار وقاتله ابي الفادية وبين الامام الحسين وقاتله الحصين بن نمير السكوني وشمر بن ذي الجوشن .

لقد ناقش ائمة الفقه غير الشيعة هذه الاحاديث ومنهم الامام ابو حنيفة والامام الشافعي فقد روى ابو الفداء عن الشافعي انه اسرّ الى الربيع ان لا يقبل شهادة اربعة من الصحابة : معاوية — وعمرو بن العاص — وزياد — والمغيرة بن شعبة ، [2] وعن ابي يوسف قال قلت لأبي حنيفة : الخبر يجيئني عن رسول الله — ص — يخالف قياسنا فما نصنع فقال : ان جاءت به الرواة الثقاة عملنا به وتركنا الرأي فقلت : ما تقول في رواية ابي بكر وعمر قال ناهيك بها ، فقلت وعلي وعثمان قال : كذلك ، فلما رآني اعدد الصحابة قال ، والصحابة كلهم عدول ما عدا رجال وعدّ منهم أبا هريرة ، وانس بن مالك ، وفي خبر آخر عد منهم : سمرة بن جندب ، وابا هريرة وانس بن مالك .

تقول الشيعة ان الحكم القطعي بدخول جميع الصحابة الى الجنة وعدم دخول فرد منهم النار يناقض الاحاديث التي صححها الامام البخاري في مسنده الذي يعتبر اصدق كتاب بعد القرآن كما يقول ابن خلدون [3] ولا يجوّز النظر

---

١ — شيخ المضيره ص ١٧٧

٢ — كتاب شيخ المضيره « ابو هريرة » ص ١٣١ و ١٣٢

٣ — الدعوة الاسلامية الجزء الاول ص ٨

في رجال رواته ذكر في ـ باب الحوض ـ المجلد الرابع ص ٨٧ و ٨٨ الاحاديث التالية :

عن مغيرة قال: سمعت أبا وائل عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ـص ـ قال : انا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول : يا رب اصحابي فيقول : انك لا تدري ما احدثوا بعدك .

وباسناده عن ابي هريرة انه كان يحدث ان رسول الله ـ ص ـ قال : يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلئون عن الحوض فأقول يا رب اصحابي فيقول : انك لا علم لك بما حدث بعدك . انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى .

وباسناده عن ابن المسيب انه كان يحدث عن اصحاب النبي ـ ص ـ ان النبي قال : يرد علي الحوض رجال من اصحابي فيحلئون عنه فأقول : يا رب اصحابي فيقول انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى .

وباسناده عن اسماء بنت ابي بكر قالت قال رسول الله ـ ص ـ : اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس فأقول يا رب مني ومن امتي فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك انهم والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم ، وباسناده عن سهل بن سعد قال : اني فرطكم على الحوض من مرّ علي وشرب ومن شرب لم يظمأ ابداً ، ليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم ، قال ابو حازم فسمعني النعمان بن ابي عباس فقال : هكذا سمعت عن سهل ؟ فقلت نعم ، فقال اشهد على ابي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فأقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول سحقاً لمن غيّر بعدي .

الصراع بين الشيعة العلوية والشيعة العثمانية

كانت الثورة تغلي في المدينة على عثمان تريد خلعه وان ابى فقتله وكلما اشتدت الازمة فزع الامام علي (ع) واسرع الى انقاذه والتفاهم مع الثوار فكان كلما اصلح علي امراً افسده مروان ، حتى فطنت الى ذلك زوجة عثمان نافلة بنت الفراقصة فدخلت عليه في آخر مرة بعد ان غضب الامام ويئس من اصلاح ما يفسده عليه مروان ، فقالت لزوجها « ان مروان ميتم اولادك ، انك إن تطعه يقتلك ، ارسل الى ابن عمك علياً فاصلحه فان له في الناس وجهاً واراه غير عائد اليك [1] » ولم يكن طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهما بمعزل عن الثورة والثائرين وتحريضهم الناس على عثمان بل قيل ان الهجوم قد بدأ على عثمان باشارة من طلحة وقد شاهده عثمان بنفسه يختلي بقائد الثورة بن عديس ثم يبدأ الهجوم .

يقول ابن الاثير في الكامل من حوادث سنة ٣٥ هـ :

« قال عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة : دخلت على عثمان فأخذ يدي فاسمعني كلام من على بابه ، فمنهم من يقول ما تنتظرون بالرجل ؟ ومنهم من يقول : انظروه عسى ان يرجع . قال بينما نحن كذلك واقفون اذ مر طلحة فقال : اين ابن عديس ؟ فقام اليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لا تتركوا احداً يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لي عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني شر طلحة فانه حمل على هؤلاء القوم وألبهم عليّ اني لارجو ان يكون صفراً منها وان يسفك دمه »

كان مروان حاضراً لما دعا عثمان على طلحة فقد روى ابن الاثير في حوادث سنة ٣٦ من وقائع معركة الجمل « رأى مروان طلحة بين الفارين

---

١ - ابن الاثير في حوادث سنة ٣٥ .

فرماه بسهم ولما شاهد طلحة الدم يسيل منه قال : اللهم خذ لعثمان حق ترضى ، واجتاز به رجل فقال له : انت من اصحاب امير المؤمنين ؟ قال نعم ، فقال له طلحة : مدّ يدك ابايعك له ، فخاف ان يموت وليس في عنقه بيعة للامام .

تخلى المسلمون عن عثمان (رض) فقضت الثورة عليه وفي هذا الجو المحموم انهال المسلمون على علي (ع) يطلبون يده ليبايعوه فامتنع الامام من قبول البيعة واصر على الرفض فجاء اليه الشيخان طلحة والزبير يلتمسان منه قبول البيعة وحماية المدينة من عبث الثائرين لان الثورة باتت على وشك التحول الى الفوضى وما زالوا به حتى رضي مكرها وبايعه المسلمون عامة ولم يتخلف عن بيعته الا جماعة الامويين ونفر من اصحابه اما المهاجرون من اهل المدينة عامة والانصار جميعاً فقد بايعوا الامام وتبعهم المسلمون خارج المدينة باستثناء اهل الشام الذين كانوا يأتمرون بامر معاوية ، ولم تلق بيعة الامام ترحيباً ، في قلوب النبلاء من قريش ومن اسلم منهم بعد الفتح ، فتحالفت العناصر الاخرى للاسباب التي استعرضناها من قبل ووحدت موقفها للمرة الثانية لافساد بيعة الامام وابعاده عن الخلافة مهما كلف الامر ، وامتنع عن بيعته من امتنع امثال سعد بن ابي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، واسامة بن زيد ، والمغيرة بن شعبة ، وابي موسى الاشعري ، ونكث ببيعته طلحة والزبير ، فاصبح ثلاثة من بقية رجال الشورى الذين رشحهم عمر للخلافة وجعلهم في مصاف الامام علي (ع) وفي مرتبته في الاسلام بين ممتنع عن البيعة وبين ناكث لها ، فسواء أكان الناكثان لبيعة الامام مندفعين من تلقاء نفسيهما على نكث البيعة ام كانا مدفوعين من قبل زعيم الامويين معاوية كما يفهم من كتبه اليهما فان السبب الذي اختلقاه لنكث البيعة لم يكن سبباً يبرر موقفهما في الاشتراك في تأليب الناس على قتل عثمان ولا يدفع مطالبتهما بدم عثمان بتهمة الاستيلاء على

الخلافة لا سيما وقد وعدهما معاوية بان يبايع لاحدهما اذا انتصر على الامام كما جاء في نص كتابه الى كل واحد منهما على الانفراد .

روى بن ابي الحديد في الجزء السابع من المجلد الثاني ص ٧٩١ من شرح النهج نص الكتب التى بدأت تتبادل بين مروان في المدينة وبين معاوية في الشام ابان حصار عثمان وبين معاوية وولاة عثمان من الامويين في البصرة ، اليمن ، والحجاز ، وغيرها بعد مقتل عثمان يحرضهم على الثورة وقد كتب الى طلحة بن عبيد الله يقول : « اما بعد فانت أقل قريش وترامع صباحة وجهك ، وسماحة كفك ، وفصاحة لسانك فانت ازاء من تقدمك في السابقة وخامس المبشرين بالجنة ولك يوم احد ، وشرفه ، وفضله ، فسارع يرحمك الله الى ما تقلدك الرعية امرها ، لا يسعك التخلف عنه ولا يرضى الله منك الا بالقيام به فقد احكمت لك الامر من قبلي ، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وايكما قدم صاحبه فالمتقدم الامام والامر من بعده للمقدم له سلك بك قصد المهتدين ووهب لك رشد الموفقين »

وكتب الى الزبير « اما بعد فانك الزبير ابن العوام بن ابي خديجة وابن رسول الله وحواريه وسلفه وصهر ابي بكر وفارس المسلمين وانت البـــاذل مهجتك بمكة عند صيحة الشيطان بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت تخبط خبط الجمل الوديع كل ذلك قوة ايمان ، وصدق يقين، وسبقت لك من رسول الله (ص) البشارة بالجنة وجعلك عمر احد المستخلفين على الامة ، واعلم ابا عبد الله ان الرعية اصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي فسارع رحمك الله الى حقن الدماء ولم الشعث وجمع الكلمة وصلاح ذات البين قبل تفاقم الامر وانتشار الامة فقد إصبح الناس على شفا جرف هاو عما قليل ينهار ان لم يرأب فشمر لتأليف الامـــة وابتغ الى ربك سبيلا فقد احكمت

الامر من قبلي لك ولصاحبك على الامر للمقدم ثم لصاحبه من بعده جعلك الله من أئمة الهدى وبغاة الخير والتقوى والسلام »

ومما يدل على ان معاوية كان قد ارسل الى طلحة غير هذا الكتاب يحرضه على الطلب بدم عثمان ما جاء في كتابه الى يعلى بن امية عامل عثمان على اليمن يقول « وقد كتبت الى طلحة بن عبيد الله ان يلقاك بمكة حتى يجتمع رأيكما على اظهار الدعوة والطلب بدم عثمان امير المؤمنين المظلوم وكتبت الى عبدالله بن عامر يمهد لك العراق ويسهل لكم حزونه اما الشام فقد كفيتك امرها »

هكذا تحالفت القوى المناوئة للبيت الهاشمي على ابعاده عن الخلافة وبدأت امية معركتها ضد الامام علي من مكة كما بدأها زعيم الامويين ابو سفيان ضد النبي محمد (ص) وعادت الخصومة الاموية من جديد في جُولتها الثانية على مسرح الاسلام باسم الدين لضرب قواعد الاسلام وتمزيق وحدة المسلمين في صورة المطالبة بدم عثمان بينما كانت المعركة معركةانتقام من الامام وشيعته الانصار الذين انتصروا على قريش في معركة بدر وقتل الامام فيه شقيق معاوية حنظلة بن ابي سفيان ، واشترك في قتل عدد من الامويين منهم الوليد ، وعتبة ، وشيبة كما تقدم بالاضافة الى الطمع بالملك والسلطان والنفوذ .

ان هذه الكتب قد فضحت مؤامرة قريش وثورة الامويين ضد الهاشميين وكشفت لنا الستار عمن كان وراء حرب الجمل ، فان معركة الجمل كانت بتحريض الامويين وقادة جيشها كانوا مسيرين من حيث يدرون او لا يدرون وان عمال عثمان في اليمن والبصرة ومكة هم الذين جهزوا الجيش بالاموال التي انتهبوها من بيوت اموال المسلمين في تلك الاقطار وجاءوا بها الى مكة بأمر معاوية ، يقول ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة ست وثلاثين

« ان السبب في اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ، ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت (بسرف) لقيها رجل من اخوالها من بني ليث يقـــال له عبيد بن ابي سلمة وهو ابن ام كلاب فقالت له فيم ؟ قال : قتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت ثم صنعوا ماذا ؟ قال اجتمعوا على بيعة علي فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبكم ، ردوني ، ردوني ، فانصرفت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلومـــاً ، والله لاطالبن بدمه الى نهاية ما يورده ابن الاثير مما نضرب عن ذكره الى ان يقول « فانصرفت عائشة الى مكة ودخلت الحجر فاستترت فيه فاجتمع حولهـا الناس فقالت : ايها الناس ان الغوغاء من اهل الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالامس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه ، وقد استعمل امثالهم قبله ، الى آخر خطبتها فقال عبد الله بن عامر الحضري وكان عامل عثمان على مكة : ها انا ذا اول طالب بدمه فاجابه بنو امية على ذلك وكانوا قـــد هربوا من المدينة الى مكة فرفعوا رؤوسهم وكان اول من تكلموا وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن امية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة الف درهم ، فقالت عائشة انهضوا الى هذا الغوغاء فقالوا نأتي الشام فقال ابن عامر كفاكم الشام معاوية ، فأتوا البصرة فان لي بها صنائع ولهم في طلحة هوى »

هكذا دفع الامويين الشيخين الناكثين طلحة والزبير راغبين ام راغمين الى مصيرهما المحتوم ووقف من ورائهما معاوية يضحك من اندفاعهما وراء الامل المنشود ومن الواضح ان معاوية لم يفكر في يوم من الايام ان يبايع طلحة او الزبير لو خلي لهما الامر وانما اراد ان يؤلبهما على علي وان يجرب قوة الامام علي وفي كلتا الحالتين ان انتصرا على الامام تخلص من اقوى شخصية لزعامة المسلمين وسهل عليه بعد ذلك امر ابعادهما عن الخلافة بنفس التهمة التي اتهم

هذان الشيخان بها الامام علياً وهي قتل عثمان ، لا سيما وان اشتراكهما في تألب الناس عليه وتحريض الثوار عـــلى قتله من الامور الثانية لدى جمهور المسلمين من اهل المدينة ومن حضرها من الامصار وان انتصر عليهما الامام فقد تخلص معاوية من اقوى مرشحين للخلافة من رجال الشورى والزم علياً بدماء ثلاثة من كبار الصحابة المنتخبين للخلافة من الذين مات رسول الله وهو عنهم راض كما حدث بذلك عمر (رض).

ما أشبه حياة الامام علي – ع – بحياة النبي – ص – فقد بدأ الامام خلافته بثلاث معارك أقامها بنو امية عليه في البصرة ، وصفين ، والنهروان ، كما بدأ النبي رسالته بثلاث معارك اقامها الامويون عليه في بدر ، واحد ، والاحزاب ، وكانت الغاية واحدة والهدف واحداً ، وهو الصراع بين الحق والباطـــل ، والنزاع بين الشرك والايمان ، فالامام على وتيرة النبي – ص – ومعاوية على وتيرة ابيه ابي سفيان ، وكانت النتيجة واحدة وان اختلفت في ظاهرها بانتصار معاوية على الامام ، الا ان النصر النهائي كان للامام –ع – فقد ذهب معاوية وذهب معه كل ما اقامه من معالم الباطـــل ، والفساد ، والدعوة الى الجاهلية ، وذهب علي – ع – وبقي كل ما حققه في جهاده للدين من مجد وعزة وكرامة ، وما خلف من ارث في عالم الحضارة والانسانية والعدل ، وما اشبه حياة اصحاب الفريقين وموقفهما في المعارك الاسلامية فكما اشترك اعيان قريش النبـــلاء بجانب ابي سفيان في حرب النبي اشترك معاوية وذووه وانصاره في حرب علي وقد صدق عمار بن ياسر حين صرخ يوم صفين قائلاً :

نحن ضربناكم على تنزيله   واليوم نضربكم على تأويله

بدأت جولة الامويين الثانية من مكة وسار الجيش قاصداً البصرة لان

اهلها لهم هوى في طلحة بن عبيدالله ولابن عامر فيها صنائع وكان الجيش كلما قطع مرحلة من سيره انكشف لاهل الحقيقة بطلان ما زعمه قادة الجيش من انهم ينشدون في خروجهم الاصلاح والطلب بدم عثمان ، والتقى في الركب سعيد بن العاص بطلحة والزبير فانتحى بهما ناحية ودار بينهم الحديث التالي :

سعيد ــ ان ظفرتما ايها الشيخان فلمن تجعلان الامر ؟

فأجاباه ــ لاحدنا

سعيد ــ بل اجعلاه في ولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون دمه. فجاء الجواب:

ــ أندع الشيوخ ونجعلها في الايتام ؟

سعيد ــ لا اراني اذن اسعى لاخراجها من بني عبد مناف ،

ثم جاء سعيد الى ام المؤمنين فقال لها ــ : اين تريدين يا ام المؤمنين ؟

فأجابت ــ البصرة

فقال لها سعيد ــ ماذا تصنعين ؟

اجابت ــ اطلب دم عثمان

فقال سعيد ــ : هؤلاء قتلة عثمان معــك يا ام المؤمنين واشار الى طلحة والزبير ...

ثم جاء سعيد الى مروان فقال له ــ وانت ايضاً تريد البصرة ؟

فاجابه ــ نعم اطلب قتلة عثمان .

فقال له ــ : هؤلاء قتلة عثمان فاين تذهبون وثاركم على اعجاز الابل اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم . ثم قال ان هذين الرجلين قتلا عثمان وهما يريدان الأمر لنفسيهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة » (١)

لقد كشفت امية على لسان ابنها سعيد عن اهداف قادة الركب ، ودق

---

١ ــ ابن الاثير في حوادث الجمل سنة ٣٦ ــ (والامام علي بن ابي طالب) لعبد الفتاح عبد المقصود ج ٣ ص ٢٨ ــ ٢٩

اول مسمار في نعش الشيخين اذا ظفرا بعلي ــ ع ــ وقضيا على خلافته لأن التهمة التي راحا يقاضيان علياً عليها لاصقة بهما على وجه لا سبيـــل منها للانكار ، فاذا كان من شرط الخلافة ان لا يلبسها من اشترك في دم عثمان فقد خسراها لانهما ممن اشترك اشتراكاً فعلياً في دم عثمان الأمر الذي قـــد حسب له معاوية والأمويون الف حساب وحساب .

لقد ابعد الغرور الشيخين عن التفكير فيما بيّنه لهما معاوية من الخديعة والوقيعة وشغلهما حب السلطان عن مراقبة الفتنة التي رافقت الركب من اول مسيرة في شخص مروان ، فما كاد يقترب وقت الفريضـــة حتى جاء مروان في لباس العابـــد الورع يسأل طلحة والزبير على أيهما يسلم بالأمرة ويؤذن للصلواة ؟ فقال ولد الزبير لأبي عبدالله يعني اباه ، وعارضه محمد بن طلحة قائلاً : لابي محمـــد ، يريد اباه ، وتشاجر الولدان وفطنت للأمر ام المؤمنين فصاحت بمروان : ويلك أتريد ان تفرق امرنا ؟!! فليصل بالناس ابن اخي عبدالله .

اننا نريد ان نستقصي الحوادث التاريخيـــة وانباء الفتن التي اثارتها امية للوقيعة بالمسلمين وابعاد الامام علي ــ ع ــ عن الحكم وموقف الامام علي ــ ع ــ وشيعته من الصراع الاموي في غصب الخلافة وتحويلها الى ملك عضوض على غرار ملك كسرى وقيصر وانما نكتفي بالاشارة العابرة من التاريخ المتسالم عليه عنـــد المسلمين والمفروضة صحته للوقوف على الاسباب التي شددت من عزيمة انصار امية والاسباب التي زادت من ايمان شيعة علي وبالالتفاف حوله باعتباره رمزاً للحق ومثلاً اعلى للمبادىء السامية ، لقد واصل الجميع السير الى البصرة فدخلوها قبل الامام علي ، وبعد جدال ونزاع مع عامل علي ــ ع ــ على البصرة وهو عثمان بن حنيف اتفقوا على ان يرسلوا وفداً الى المـــدينة يسأل اهلها عن بيعـــة طلحة والزبير للامام علي وهل قد بايعاه كرهاً ام

مختارين ؟ وقبل عودة الوفد هجم طلحة ومن معه على (عثمان بن حنيف) في المسجد غيلة وقتلوا عدداً من اصحابه وقبضوا عليه واستولوا على قصر الامارة وبيت المال وارادوا قتله فجاءت امرأة الى عائشة وقالت لها نشدتك الله في عثمان فانه من اصحاب رسول الله ـ ص ـ فعدلت عن قتله ، وامرت بحبسه بعد ان تنفوا لحيته ، وحاجبيه ، واهداب عينيه ، ووقف طلحة بعد ان قبض على عثمان يخطب في اهل البصرة قائلاً : « يا اهل البصرة توبة لحوبة انا اردنا ان نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه » فاجابه الناس ولكن كتبك كانت تأتينا بغير هذا ؟

ولما بلغ حكيم بن جبلة ما جرى لعثمان بن حنيف جاء الى عبدالله بن الزبير ومعه جماعة من قومه فطلب اخلاء سبيل عثمان واعادته الى قصر الامارة حسب الاتفاق المعقود بين الطرفين واطعامهم من بيت المال وقال له : ان دماءكم لنا اصبحت حلالاً نقتل من قتلتم ففيم تستحلون الدم الحرام ؟ قال له عبدالله : بدم عثمان ، قال : ! هل الذين قتلتموهم كانوا من قتلة عثمان ؟ اما تخافون الله ! فقال له عبدالله: لا نطعمكم من هذا الطعام ولا نخلي عن عثمان حتى تخلعوا علياً ؟؟ فقال حكيم : اللهم انت حكم عدل فاشهد وقال لأصحابه : لست في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك من امرهم فلينصرف ، فدارت المعركة بين الفريقين قتل فيها عدد كبير من الفريقين وقتل حكيم وابنه الاشرف واخوه كعب فقال طلحة والزبير الحمد لله الذي ادركنا ثارنا من اهل البصرة (١) .

وعن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين قال : ما علمت ان علياً اتهم بقتل عثمان حتى بويع فلما بويع اتهمه الناس (٢) ودارت المعركة وقتل

---

١ ـ ابن الاثير في حوادث سنة ٣٦

٢ ـ العقد الفريد ج ٣ ص ٩٣

طلحة والزبير واصيب عبدالله بثلاثين جرحاً او اكثر وعقر الجمل وقتل من المسلمين عشرون الف من اصحاب الجمل وخمسمائة من اصحاب الامام (١) وعاد الامام الى المدينة منتصراً كما عاد النبي ــص ــ بعد وقعة بدر وراحت امية تستعد للمعركة الثانية في (صفين) ولم يكن الامام ليغفل عن امرها فاستعد لها هو ايضاً وبعد رجوعه دارت معركة صفين بين الشيعة العلوية وعلى رأسهم الامام علي ، وبين العثمانية وعلى رأسهم معاوية . والبحث عن حوادث معركة صفين يحتاج الى كتاب خاص لانه قد استمر اكثر من ثمانية عشر شهراً وقعت فيها من الحوادث المؤسفة والمعارك الدامية بسبب عداوة بني امية للهاشميين وبسبب الظفر بالسلطان والطمع بالنفوذ ما ليس له مجال في هذه الموسوعة

ان الامر الذي يستحسن بحثه في هــذه المعركة هو الالتباس الذي ساد اوساط المسلمين قديماً ولا يزال عالقاً في نفوس بعض المسلمين اليوم وهو ان الصراع في هـــذه الحرب كان قد نشأ عن اجتهاد فريقين من المسلمين رأى بعضهم الحق في قتال البعض الآخر فكان رائد الفريقين رائداً دينياً فللمصيب منهما في اجتهاده اجران وللمخطيء اجر واحد (٢) هذا الرأي الذي يقول الشيعة بفساده لان معركة صفين من ألفها الى يائها بدأت على ضلالة الخارجين على الامام الشرعي علي بن ابي طالب ــع ــ وختمت بضلال كل من اشترك فيها بجانب معاوية وأسف كل مؤمن ادرك صفين ولم يشترك مع علي ــ ع ــ في

---

(١) ــ قال ابن عبد ربه في الجزء الثالث من العقد الفريد لما رأى مروان يوم الجمل طلحة بن عبدالله قال لا انتظر بعد اليوم لثاري في عثمان فانتزعه بسهم فقتله .

(٢) سئل الزهري عن لابس الفتنة وقاتل فيها فقال القاتل والمقتول في الجنة « الجواهر واليواقيت للشعراني »

قتاله لفئة معاوية التي ظهرت انها الفئة الباغية التي نص القرآن على وجوب قتالها بقوله تعالى (وقاتلو التي تبغي حتى تفيء الى امر الله)

فمن الذين اسفوا لذلك كان عبدالله بن عمر وقد صح عنه انه قال : (ما أسفت على شيء من امر الدنيا فاتني الا تركي قتال الفئة الباغية مع علي) وهكذا أسف عبدالله بن عمر بن العاص لاشتراكه مع معاويه في معركة صفين (١)

ان موقف الفريقين في صفين كان يحكي موقف الفريق المؤمن والفريق المشرك في واقعة بدر الكبرى، فقد كان عدد من شهد بدرا مع رسول الله ـ ص ـ ٣١٣ من المهاجرين والانصار اشترك منهم مع علي وهم البقية الباقية ممن ادرك صفين ١٧٨ بدرياً وقد استشهد منهم ٦٣ نفراً بجانب علي ـ ع ـ (٢) كما اشترك مع علي في معركة صفين اكثر من نصف من بايع النبي ـ ص ـ بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فقد كان عدد من حضر الحديبية وبايع بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار ١٤٠٠ رجل اشترك منهم ثمانمائة رجل مع علي في معركة صفين ، كما شهد بجانب علي ـ ع ـ ضمن من شهد معركة احد ـ والاحزاب ـ وخيبر والغزوات الأخرى مع النبي ـ ص ـ عدد كبير من المهاجرين والانصار وكلهم شيعة علي وتابعوه، افيكون كل هؤلاء من الضالين وبنو امية من المؤمنين ؟ . ونذكر منهم على سبيل الاستشهاد وليس الحصر ترجمة من ادرك خلافة علي ـ ع ـ من الصحابة الكرام وشهد حروبه الثلاثة الجمل ـ وصفين ـ والنهروان ، ممن كان قد ادرك النبي ـ ص ـ وشهد حروبه في ـ بدر ـ وأحد ـ والاحزاب ، وغيرها ولما كنا بصدد بيان « الصراع بين الشيعة العلوية والشيعة العثمانية » بعد مقتل عثمان وكنا قد اشرنا الى

---

١ - ترجمة عبدالله في الاصابة والاستيعاب

٢ - ترجمة عمار من هذا المدخل

العناصر التي انضمت الى (العثمانية) كما يقول صاحب كتاب (الدولة الاموية في الشام) ووقفت بجانب معاوية فيجــدر بنا ان نذكر اسماء هولاء الشيعة والموالين لعلي من عهد النبي ـ ص ـ حتى ادركوا خلافة علي وهم الطبقة الأولى من الشيعة العلوية مستندين على مصادر ـ الاصابة ـ والاستيعاب ـ وتاريخ الكامل لابن الأثير . وكل هذه المصادر مصادر غير شيعية وبــذلك نعطي القارىء فكرة اجمالية عن شيعة علي وانصاره ومنزلتهم في الدعوة الاسلامية ومنزلتهم من النبي ـ ص ـ

الطبقة الاولى

من رجالات الشيعة

١ - ابو ذر الغفاري

هو جنـــدب بن جنادة المشهور بكنيته : (ابوذر) الصحابي الجليل باتفاق المسلمين والزاهد المشهور بين صحب النبي ــ ص ــ ذو اللهجة الصادقة والتشيع العميق لعلي بن ابي طالب ــ اسلم في مكة واعلن اسلامه في مسجد الحرام جهرة في وسط قريش ، فاجتمـــع عليه نفر منهم فأوسعوه ضرباً ولكماً ولم يخلصه من ايديهم الا العباس بن عبد المطلب ، ففي الحديث عن النبي ــ ص ــ انه قال (أمرني الله بحب اربعة واخبرني ان يحبهم : ـــ علي وسلمان ــ والمقداد ــ وابوذر) وهو احد النجباء الاربعة عشر الذين انتجبهم واصطفاهم رسول الله وفي الحديث المتفق عليه عن رسول الله ــ ص ــ ماأظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر . وعنه ــ ص ــ قال : ان ابا ذر يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويحشر وحده، وعنه ــ ص ــ

قال : ان ابا ذر في امتي كعيسى في الزهد ، وكان ابو ذر داعية التشيع لعلي ـ ع ـ وكان يسمي علياً بامير المؤمنين في عهد الخلفاء واليه يرجع أثر التشيع في بلاد سوريا ولبنان ، وقد سبب له اخلاصه لعلي وايمانه بالتشيع وتصلبه في موالاة اهل البيت ان طاردته السلطات في عهد عثمان مطاردة عنيفة ، ولحقه من الاذى على يد معاوية شيئاً كثيراً . يقول ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٣٠هـ ويقول الطبري (وفي هذه السنة كان ما ذكر من امر ابي ذر واشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة وذكر في سبب ذلك اسباباً كثيرة منها سب معاوية له وتهديده بالقتل ، وحمله الى المدينة من الشام على بعير بغير وطاء يقيه من البرد ، والحر ، ونقله من المدينة على الوجه الشنيع كرهت ذكرها) ومما يؤيد دعوته الى التشيع ص ٢٤ و ٢٥ .

ويقول الشيخ مغنية في كتابه (الشيعة والتشيع) كان ابو ذر ينادي في الناس ويقول : عليكم بكتاب الله والتشيع لعلي ابن ابي طالب ـ ع ـ وكان يدخل مكة ويتعلق بحلقة بابها ويقول : انا جندب بن جنادة لمن عرفني وانا ابوذر لمن لم يعرفني ، سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول : انما مثل اهل بيتي منك مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ألا هل بلغت ؟

وفي المصدر نفسه (ان ابا ذر كان يقول في موسم الحج : يا معشر الناس سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: في هذا المكان والا صمّت اذناي : علي بن ابي طالب الصديق الاكبر فيا ايتها الائمة المتحيرة بعد نبيها لو قدّمتم من قدّمه الله واخرتم من أخره الله ورسوله » لما عال ولي الله ولا طاش سهم في سبيل الله ولا اختلفت الامة بعد نبيها ، وقد قال رسول الله ـ ص ـ لعلي : انت اول من أقرّبي واول من يصافحني يوم القيامة)

كان ابو ذر ممن يعلن التشيع ويدعو الناس اليه ، والى موالاة علي ـ ع ـ

كما تقدم ، لا سيما في عهد عثمان الذي مهدت خلافته الطريق لاستيلاء امية على الحكم ، وكان ابو ذر كغيره من الصحابة يرون في استيلاء امية على الحكم انحرافاً بالدين الى الجاهلية العمياء ، وقلب الخلافة الاسلامية التي دستورها الاسلام الى ملكية كسروية او قيصرية دستورها الحكم الفردي والاستيلاء. ولما كان التشيع مركزاً على مبادىء الدين الحنيف والمحافظة على شريعة الله كما انزلها في كتابه المجيد وما اوحى به الى نبيه الكريم كان ابوذر يخشى ان ينحرف الأمويون بالدين عن قواعده، لذا كان موقفه من عثمان موقفاً جريئاً وصلباً في معارضته ، لا سيما في اطلاق ايدي الامويين في خيرات المسلمين ، وما يغنمونه في الفتوحات والتصرف في اموال بيوت المسلمين التي تتكون من الخراج وجباية الزكاة حتى كانت اموالها اموالهم .

كان ابو ذر ممن لا يكذب اذا حدّث ، ولا ينطق بالباطل اذا دعا ، فكانت معارضته لعثمان لا تشبه معارضة غيره لانصرافه عن الدنيا وما فيها من المتع والملاذ كما يحدثنا هو عن نفسه : « ان بني امية تهددني بالفقر والقتل وبطن الأرض أحبّ الي من ظهرها ، والفقر احب الي من الغنى» [١] قال له عثمان : كن عندي تغـدو عليك وتروح اللقاح ، فاجابه لا حاجة لي في دنياكم [٢]

لم يكن ابو ذر ليلهج بالآية الكريمة والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الخ في عهد رسول الله ـص ـ ولا في عهد ابي بكر (ض) ولا في خلافة عمر (ض) ، ولم يعارض احداً منهم ولم يطلب من عثمان ان يأخذ اموال الاغنياء ويفرقها على الفقراء ، وكان يعارض عثمان لأنه ترك سنّة من قبله ، لقد شاهد ابوذر الخليفة عمر (ض) يخطب وعليه ثوب فيه اثنتا

(١) حلية الاولياء ج ٣ ص ٤٣

(٢) صفوة الصفوة ج ١ ص ٢٢٣

عشرة رقعة [١] وشاهد الخليفة عثمان (ض) يملك وحده ثلاثين الف الف درهم من الفضة ، وخمسمائة الف وخمسين ومائة الف دينار من الذهب [٢] ووجده يعطي مروان صفقة واحدة خمس افريقيا ويؤثره على الجند المحارب في سبيل فتحها ، ورأى معاوية يستأثر وحده بخيرات الشام ، والاردن ، وفلسطين ، وسلط على رقاب المسلمين آل ابي معيط ولم يكن لهم سبق في الاسلام ولا سابق في الخيرات .

كان ابو ذر يعارض حكومة عثمان التي جعلت من المسلمين طبقتين مختلفتين طبقة فقيرة لا أمل لها في القرص ، ولا عهد لها في الشبع ، وطبقة ارستقراطية تتمتع بكافة الخيرات وهم حاشيته واقرباؤه والمحسوبون عليه والمنسبون اليه .

يقول الدكتور طه حسين في كتابه (علي وبنوه) ص ٩٨ و ٩٩

« كان ابو ذر يعارض عثمان معارضة شديدة لتصرفه في اموال المسلمين كأنها امواله ، ولكنه لم يحرك يده وانما كان لسانه سلاحه الوحيد ، وكان يقول : لو صلبني عثمان على أطول جذع من الجذوع لما غضبت »

وكان ابوذر في الشام يشاهد تصرفات معاوية اللادينية فيأتي الى باب قصره ويتلو : (الذين يكنزون الذهب والفضة الخ) لأنه كان يرى بأن معاوية يخالف تعاليم الاسلام ويخرج على سنة الخلفاء ويكنز الذهب والفضة .

يقول اليعقوبي في كتابه تاريخ البلدان ج ٧ ص ٢٩٦ وابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمة الحكيم بن عمرو « ان زياد كتب الى الحكيم بن عمرو الغفاري عامله على خراسان ابان فتح كورها ان امير المؤمنين معاوية كتب الي ان اصطفي له البيضاء والصفراء فلا تقسمن شيئاً من الذهب والفضة ، فلم يلتفت اليه . »

---

(١) حلية الاولياء ج ٣ ص ٥١

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٣

واشتدت معارضته لمعاوية لما أوّل معاوية قول الله (الذين يكنزون الذهب والفضة الخ) وقال بانها نزلت في أهل الكتاب ولا يشمل حكمها المسلمين ، فاخذ ابوذر يرددها ويرددها على باب قصر معاوية وفي كل مكان لئلا ينخدع المسلمون بتأويل معاوية لحكم الآية الكريمة فينصرفوا في انفاق ما رزقهم الله في جهة دون جهة اخرى ، لقد كان يريد من معاوية ان يفرق ما كنزه لنفسه من اموال المسلمين ، ان اباذر لم يحمل الناس على الثورة ولم يكن ليريد من الفقراء ان يبطشوا بالاغنياء ولا ينهبوا اموالهم ويستولوا على ما رزقهم الله من الرزق الحلال . ان من التجنى على ابي ذر الصحابي الجليل الذي لم يجد في عز الاسلام نظاماً يصلح للدنيا والآخرة ان يتهم بالمذاهب المخالفة للاسلام في شريعته واحكامه . وكان الامام علي – ع – يحب أباذر ، ويحترم مقامه ، واحترامه هذا وحبه له ، حمله على ان لا يستمع لنداء عثمان بتحريم تشييع ابي ذر لما نفاه الى (الربذة) وجرت بينه وبين مروان في ذلك شجار بقيت اقوال ابو ذر ومعارضته لبني اميـة وعلى رأسهم عثمان ومعاوية حديث المسلمين في كل مكان ،

٣ – سلمان الفارسي

ابو عبدالله سلمان الفارسي او سلمان الخير او سلمان المحمدي قال رسول‌الله –ص– (سلمان منا اهل البيت) وهو احد النجباء . قالت السيدة عائشة : كان لسلمان مجلس من رسول الله –ص– ينفرد فيه بالليل كان يغلبنا على رسول الله – ص – وهو احد الأربعـة الذين اشتاقت لهم الجنة قال رسول‌الله –ص– اشتاقت الجنة الى اربعة : علي ، وسلمان ، وعمار ، وبلال ، وهو احد الذين يغضب الله لغضبهم ، وفي الاستيعاب ان ابا سفيان مر على

سلمان وصهيب ، وبلال ، في جماعة فقالوا ما اخذت سيوف الله من عنق عدو الله ؟ فسمعهم ابو بكر فقال : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ وجاء الى النبي ـ ص ـ فأخبره فقال النبي ـص ـ لأبي بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت اغضبتهم فقد اغضبت ربك جل وعلا ، فأتاهم ابو بكر فقال لعلي ـع ـ أأغضبتكم ايها الأخوة ؟ فقالوا : لا ، يغفر الله لك يا ابا بكر . كان سلمان من الشيعة الاوائل وتشيعه لعلي كان عن ايمان ، وصدق ، ويقين فقد كان يحدث الناس ويقول « بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاة له وقد قال رسول الله لعلي انت وصيي وخليفتي من اهلي بمنزلة هارون من موسى اما والله لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت ارجلكم »

قصد سلمان المدينة فوقع في الاسر وبيع في المدينة ، ولما جاء النبي ـص ـ اليها اشتراه في حديث طويل ، واشترك في مشاهد الرسول ـ ص ـ كلها ولما توفي النبي ـ ص ـ لازم علياً وامتنع عن بيعة ابي بكر لما تقدم ، لأنه كان ممن يؤمن بامامة علي ـ ع ـ وكان سلمان ينفق عطاءه البالغ خمسة آلاف وهو عطاء اهل بدر ويعيش بكد يده ، ولاه عمر (ض) على المدائن ومات فيها ٣٦ هـ .

٣ ـ عمار بن ياسر

ابو اليقظان عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة حليف بني مخزوم من السابقين الى الاسلام هو وابوه ياسر ، وامه سمية ، وحديث تعذيبهم على ايدي المشركين بعد ان اسلموا حديث ذو شجون ، كان النبي ـ ص ـ يمر عليهم وهم يعذبون فيقول ـ ص ـ (صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة) قال رسول الله ـ ص ـ : (عمار جلدة ما بين عيني) وهو احد النجباء . عن خالد بن

الوليد المخزومي قال كان بيني وبين عمار كلام وغلظت له فشكاني عند رسول الله ــ ص ــ فقال رسول الله : « من عادى عمار عاداه الله ، ومن ابغض عمار أبغضه الله » استأذن يوما بالدخول على النبي ــ ص ــ فلما سمع صوته قال ــ ص ــ (مرحبا بالطيب المطيب) بعثه الخليفة عمر واليا على الكوفة وبعث معه ابن مسعود فكتب الى اهل الكوفة (بعثت اليكم عمار أميرا وابن مسعود وزيرا وهما من النجباء)

اشترك عمار في حروب رسول الله ــ ص ــ فشهد (بدرا) وأبلى فيه بلاء حسنا وقتل في صفين مع علي ــ ع ــ عن عبدالرحمن بن بزى السلمي قال : « شهدنا مع علي ــ ع ــ صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من اودية صفين الا رأيت اصحاب محمد ــ ص ــ يتبعونه كانه علم لهم ، وسمعت عمار يقول لهاشم بن عتبة : تقدم ، الجنة تحت الابارقه ، اليوم القى الاحبة ، محمداً وحزبه ، والله لو هزمونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ثم انشد :

نحن ضربناكم على تنزيله ... واليوم نضربكم على تأويله

فلم ار اصحاب محمد قتلوا في موطن من قتلوا يومئذ ، لقد شهد من اصحاب محمد (ص) ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمائة صحابي قتل منهم ثلثمائة وستون نفراً » كان شديد الاخلاص لعلي (ع) وقال يوم بايع الناس لعثمان : يا معشر قريش الى متى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ؟ تحولون هنا مرة وهنا مرة ، ما انا آمن ان ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير اهله ، حوادث سنة ٢٣ لأبن الاثير .

٤ - المقداد بن عمر

المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالــك النهراني الحضرمي ، اشتهر باسم خليفة الاسود الكندي والذي تبناه كان احد الرجال السبعة الذين سبقو الى الاسلام اولهم الامام علي وهو احد النجباء الذين اصطفاهم النبي (ص) واحد الاربعة الذين قال النبي ان الله يحبهم ، واحد الصحابة الذين امتنعوا عن بيعة ابي بكر حتى بايع الامام علي ، خطب المقداد من عبد الرحمن بن عوف ابنته فغضب ، ولما بلغ النبي (ص) ذلك زوجه من ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، كان احد فرسان (بدر) ولما وقف النبي (ص) في طريقه الى بدر يستشير اصحابه في قتال المشركين بعد ان فلتت عير قريش وخرج اهــل مكة لقتاله قال المقداد للنبي (ص) انا لا نقول مقالة اليهود لموسى: (اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) لكنا نقول لك يا رسول الله (اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون) فاستبشر النبي (ص) وسر لقوله وكانت غزوة (بدر) وكان النصر المبين ، وكان تشيع المقداد لعلي مدة حياته في الاسلام مشهور وموقفه يوم بيعة عثمان ومطالبته البيعة لعلي (ع) معلومة، كان في مقدمة المجاهدين في مشاهد رسول الله (ص) كلها ، وكان قوي الايمــان بتشيعه لعلي حتى انه يوم بويع عثمان غضب وراح يعاتب عبد الرحمن بن عوف ودار بينهما النقاش التالي :

المقداد ـ: ما رأيت مثل ما اوتي اهل هذا البيت بعد نبيهم ؟

قال عبدالرحمن ـ : ما انت وذاك ؟

قال المقداد ـ : أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يقضون بالحق ويعدلون

فقال عبدالرحمن ـ : يا مقداد اتق الله فانني اخاف عليك الفتنة

فقال رجل للمقداد : رحمك الله من اهل هذا البيت ؟ ومن هذا الرجل ؟

قال ـ : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل علي بن ابي طالب
قال عبد الرحمن ـ : لقد اجهدت نفسي في امركم
قال المقداد ـ: لو كان لي على قريش اعوان لقاتلتهم **قتالي يوم** بدر، وأحد عن ابن الاثير حوادث سنة ٢٣ هـ

٥ حذيفة بن اليمان

من عيون الصحابة وصاحب سر النبي (ص) فقد روت الاخبار الدينية ان النبي قد اعلمه بالمنافقين ، وكان عمر ينظر اليه عند موت احدهم فاذا حضر حذيفة جنازته حضرها هو والا تخلف عنها ، كان من الفرسان الابطال في يوم احـــد ، والخندق ، وله مواقف حسنة اشترك في الجهاد بعـــد رسول الله (ص) وتم على يده فتح همدان ، والري ، والدنيور ؛ كان من الموالين لعلي (ع) والقائلين بامامته وتخلف عن بيعة ابي بكر كما تقدم ، وقتل له ولدان بصفين هما صفوان ، وسعيد ، مات في اول خلافة علي (ع) ولم يدرك حروبه .

٦ – خزيمة بن ثابت الانصاري

خزيمة بن ثابت بن فاكهة بن ثعلبة الانصاري المعروف بذي الشهادتين سماه بذلك رسول الله (ص) يوم عد شهادته شهادتين ، فاشتهر بهذا اللقب وهو من كبار الصحابة والسابقين للاسلام ، وكان صاحب راية خطية يوم (الفتح) وشهد (بدراً) والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) واشترك مع علي (ع) في حرب الجمل ، وقتل بصفين بجانب علي (ع) وكان احد الذين تخلفوا عن بيعة ابي بكر ووقفوا بجانب علي (ع) .

٧ – الخباب الخزاعي

الخبـــاب الخزاعي سادس من اسلم ، واحد المعذبين على يـــد المشركين في مكة وهو من رواة الحديث الموثقين ، واحد الاثني عشر من

الصحابة الذين شهدوا (للامام) بانهم حضروا يوم (الغدير) وسمعوا مقالة النبي (ص) (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) وعدّه صاحب (الاستيعاب) في ترجمة عامر بن واثلة المكنى بأبي طفيل من الذين يقدمون علياً على الشيخين ويفضلونه وهم : سلمان - ابو ذر - المقداد - خباب بن الارث - جابر بن عبدالله الانصاري ، ابو سعيد الخدري وقد شهد الخباب بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) ولازم علياً ومات في خلافة الامام علي (ع) في الكوفة سنة ٣٧ وصلى عليه الامام .

٨ - ابو سعيد الخدري

سعد بن مالك بن سنان المشهور بكنيته ابي سعيد الخدري من كبار الصحابة واحفظهم للحديث ، كان اول مشهد له مع رسول الله في وقعة (الاحزاب) وقد ورد ذكره فيمن يقدم علياً على الشيخين ويفضله ، مات سنة خمس وستين .

٩ - ابو الهيثم ابن التيهان

ابو الهيثم بن مالك بن عتيك الانصاري الاوسي شهد بيعة العقبة ويقال انه كان اول من اسلم وبايع النبي (ص) وهو احد نقباء عبد الأشهل شهد مع النبي (ص) مشاهده كلها وشهد مع علي (ع) حرب البصرة وقتل (بصفين) مع اخيه عتيك تحت راية الامام علي (ع) تألم الامام علي على فقده كثيراً لانه كان في طليعة المسلمين زاهداً عابداً شجاعاً زعيماً بلا منازع .

١٠ - قيس بن سعد بن عبادة

ابو الفضل او ابو عبدالله قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري ، من اشراف الصحابة كان احد فضلاء الصحابة من اهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة ، والشجاعة ، والسخاء ، وكان شريف قومه بلا منازع ،

وكان ابوه وجده كذلك ، ويعد من دهاة العرب ، قال البخاري : كان من النبي ــ ص ــ بمنزلة صاحب الشرطة من الامير ، وفي الصحيح عن جابر قال : كان قيس في جيش المسرة ينحر ، ويطعم ، حتى استدان بسبب ذلك فنهاه آمر الجيش ابو عبيدة ، ومن شواهد جوده وسخائه ان استقرض منه احدهم ثلاثين الفاً ولما ردّه عليه لم يقبل ان يأخذه ، وقال رسول الله ــ ص ــ الجود شيمة اهل ذلك البيت ، صحب قيس الامام علياً وكان من خواص اصحابه ، ولاّه علي على مصر فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع ، واشترك مع علي بصفين ، وبعد مقتل الامام لازم قيس الامام الحسن ــ ع ــ وكان احد قواده الأشداء ولما صالح الامام معاوية أصرّ قيس على محاربة معاوية فلم يبايع له الا بعد مدة ورجع قيس الى المدينة فاقام بها حتى توفي ، وكانت وفاته في آخر خلافة معاوية وستأتي الاسباب التي اختلقها معاوية لابعاده عن مصر وخلق الشك في نفوس كبار القادة والمخلصين لعلي بن ابي طالب .

١١ ــ انس بن الحرث

انس بن الحرث بن نبيه قال البخاري : قتل مع الامام الحسين ــ ع ــ في كربلاء ، وكان انس قد ادرك وقفة كربلاء ، واستشهد فيها مع الامام الحسين ، وكان انس ممن امتنع عن بيعة ابي بكر ، وتحصن في دار فاطمة ــ ع ــ كما في الاصابة .

١٢ ــ ابو ايوب الانصاري

خالد بن زيد بن كلاب المشهور بابي ايوب الانصاري من السابقين في الاسلام ومن ثقاة الرواة والمحدثين عن رسول الله ــ ص ــ وروى عنه جماعة من الصحابة ، استضافه النبي ــ ص ــ لما وقف بعيره على باب داره في المدينة ومكث رسول الله في بيته حتى اكمل بناء مسجده ، وبيوت زوجاته ، اشترك مع رسول الله ــ ص ــ في المشاهد كلها ، ولما ولي علي الخلافة

استخلفه على المـــدينة لما خرج الى العراق ، ثم لحق به وكان معه في حروبه كلها .

١٣ - جابر بن عبدالله الانصاري

جابر بن عبدالله بن عمرو بن كعب بن غنم بن سلمة الانصاري الصحابي الجليل ، والعالم الفقيه ، شهد مع ابيه بيعة العقبة واشترك مع النبي (ص) في بدر ، وأحد ، ومشاهده الاخرى ، كان من التابعين لاهل البيت والموالين لعلي (ع) استغفر له رسول الله خمس عشرة مرة ، وكان مع علي في حروبه كلها شهد وقعة الجمل ، وصفين ، والنهروان ، وعاش الى عهد عبد الملك بن مروان وكان له في مسجد النبي — ص — في المدينة حلقة تأخـــذ عنه العلم ادرك من ائمة اهل البيت علياً والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي الباقر ومات في المدينة وهو اول من زار الامام الحسين (ع) في كربلاء بعد اربعين يوماً من وفاته وزيارته هذه من الزيارات المشهورة عند شيعة اهل البيت (ع) وكان جابر احد الذين يقدمون علياً على الشيخين كما تقدم .

١٤ - هاشم المرقال

قال صاحب الاستيعاب في ترجمته : هاشم بن ابي وقاص ، وكان يعرف بهاشم الخير القرشي الزهري ابن اخ سعد بن ابي وقاص فاتح جلولاء وقائد جيشها وكان فتح جلولاء بعد فتح الفتوح ، غنم المسلمون فيها ثمانية عشر الف الف ، كان يكنى بابي عمرو ، ويلقب بالمرقال ، وبهاشم الخير ، وكان من الفضلاء الخيار ، وكان من الابطال، فقئت عينه في (اليرموك) ثم ارسله عمر من اليرموك مع خيل العراق الى سعد وكتب اليه بذلك فشهد القادسية وأبلى فيها بلاء حسناً، وقام في ذلك اليوم بما لم يقم به احد ، وكان هو سبب الفتح للمسلمين ، وكان فاضلاً خيرا شهد مع علي حروبه في الجمل ، وصفين ، وكانت

راية علي على الرحالة بيـــده في صفين وروى في الاستيعاب وابن حجر في الاصابة عن طريق الاعمش عن عبد الرحمن السلمي قال رأيت عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة وهو يرتجز ويقول :

أعور يبغي اهله محلا قد عالج الحياة حتى ملاّ
لا بدّ ان يفلّ او يفلاّ

ثم اخذا في واد من اودية صفين فما رجعا حتى قتـــلا ، وروى المصدر نفسه في ترجمته لما جاء خبر قتل عثمان الى اهل الكوفة قال هاشم لأبي موسى الأشعري : تعال يا ابا موسى بايـــع لخير هذه الأمة علي ، فقال : لا تعجل ، فوضع هاشم يده على الاخرى وقال : هذه لعلي وهذه لي وقـــد بايعت علياً ، وانشد :

ابايع غير مكترث علياً ولا اخشى اميراً اشعريا
ابايعه واعلم ان سأرضي بذاك الله حقاً والنبيا

روى ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧ (حرب صفين)

« ان هاشماً استدعى الناس عند المساء وقال من كان يريد الله والدار الآخرة فالي ، فأقبل الناس اليه فحمل على اهـــل الشام مراراً وقاتل قتالاً شديـــداً فبينما هو كذلك اذ خرج عليهم شاب من اهـــل الشام وهو يرتجز

وحمل على الناس وهو يشتم ويلعن ، فقال له هاشم : يا هذا ان هـــذا الكلام بعده الخصام ، وان هذا القتال بعده الحساب ، فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أمرت به . قال :

اني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي وانتم لا تصلون وان صاحبكم قتل خليفتنا وانتم ساعدتموه على قتله !... فقال له هاشم : ما انت وعثمان ؟ الخ ثم قال : واما قولك ان صاحبنا لا يصلي فانه اول من صلى وأفقه خلق الله

في الذين واولى برسول الله ـ ص ـ واما كل من ترى معي فكلهم قارىء لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً فلا يغوينك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى :هل لي من توبة ؟ قال نعم تب الى الله يتوب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، فرجع الفتى الى جانب علي وقال له اهل الشام : خدعك العراقي فقال كلا ولكن نصح لي » ابن الاثير

١٥ - محمد بن ابي بكر

ومحمد هذا ولد ابي بكر (ض) بن ابي قحافة الخليفة الاول من زوجته اسما بنت عميس التي كانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه وولدت من صلبه عبدالله بن جعفر في الحبشة واستشهد جعفر فتزوجها ابو بكر وولدها محمداً وبعد وفاة ابي بكر تزوجها الامام علي ـ ع ـ يقول ابن ابي الحديد في المجلد الثاني ـ ج ٧ ص ٣٢ طبع دار الفكر ببيروت : ان محمد بن ابي بكر ربيب علي وخريجه وكان جارياً عنده مجرى اولاده ، رضع الولاء بالتشيع منذ زمن صباه فنشأ عليه فلم يكن يعرف له اباً غير علي ـ ع ـ حتى قال علي : ان محمداً ولدي من صلب ابي بكر ، وكان يكنى بأبي القاسم كنته بذلك اخته السيدة عائشة كما يقول الكثير [١] من المورخين ، وقد اولد محمد ابنه القاسم وكان القاسم فقيه اهل الحجاز في زمانه واولد القاسم عبد الرحمن وام فروة فكان عبدالرحمن من فضلاء قريش وتزوج الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين (ع) ام فروة واولدها الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) وقد مدح السيد الرضي ام فروة بقصيدة طويلة مطلعها :

يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم يتيم اذا عد السوابق او عدي

ويقول بمدح النبي (ص) وعلي (ع) في ختامها

---

(١) ترجمته في الاستيعاب

فجدي نبي ثم جدي خليفة فاكرم بجدينا عتيق واحمد
وما افتخرت بعد النبي بغيره يد صفقت يوم البياع على يد

روى ابن عبد البر في الاستيعاب ان علي بن ابي طالب كان يثني على محمد بن ابي بكر ويفضله لانه كانت له عبادة واجتهاد وان راية علي يوم الجمل كانت بيده على الرحالة واشترك مع الامام في (صفين) وولاه علي (ع) على مصر بعد ان عزل عنها قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ، فسار اليه عمرو بن العاص في جيش من اهل الشام فاقتتلوا حتى بقي محمد وحده فلجأ الى خربة كانت بالقرب منه ولما عثر به احرقه فيها معاوية بن خديج ، وقيل جاؤا به اسيراً فقتله عمرو صبراً ، وقيل لما جاءوا به ادخله معاوية بن خديج في جوف حمار واحرقه وحرمت اخته السيدة عائشة على نفسها أكل اللحم المشوي ، وكانت تدعو عقب الصلاة على معاوية وعمرو بن العاص. اتهم محمداً جماعة من الرواة بانه اشترك في قتل عثمان واعتبروه ممن اشترك في دمه ويقول عبد البر ، ان جماعة من اهل العلم نفوا اشتراكه في دم عثمان .

ولما وجه الامام علي محمداً الى البصرة زوّده بكتاب قيّم كان منهاجاً لامارته، ودستوراً لحكمه ، ودروساً في تهذيب النفس والاخلاق الفاضلة ، والآداب الحسنة اورده ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج ص ٣٩ و٤٠ و ٤٢ و ٤٣ ويقول ابن ابي الحديد : ان هذا الكتاب وبقية كتب محمد لما قتل استولى عليها عمرو بن العاص وارسلها الى معاوية وكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه ، وقال الوليد بن عقبة وكان عند معاوية ورأى اعجابه بهذا الكتاب فقال لمعاوية مر بهذا الكتاب ان يحرق فقال له معاوية صه لا رأي لك ... فقال الوليد : أفمن الرأي ان يعلم الناس ان احاديث ابي تراب عندك تتعلم فيها ؟ فقال معاوية : ويحك أتأمرني ان أحرق علماً

كهذا ؟ والله ما سمعت بعلم هو اجمع منه ولا احكم ، فقال له الوليد ان كنت تعجب من علمه وفضله فلم قاتلته ؟ فقال لولا انه قتل عثمان لأخذنا عنه ،

يقول ابن ابي الحديد في المصدر نفسه فلم تزل هذه الكتب في خزائن الامويين حتى ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز فأظهرها واحتمل ابن ابي الحديد ان يكون هذا الكتاب الذي أعجب به معاوية هو عهد الامام علي –ع– لمالك الاشتر ، والحديث عن محمد بن ابي بكر حديث طويل في فضله ، وشجاعته ، وايمانه ، وتقواه ، وتفانيه في سبيل علي وآل علي ومن اراد المزيد فليراجع شرح النهج صفحة ٣٩ الى صفحة ٥٦ من المجلد الثاني بطبع دار الفكر .

١٦ – مالك الاشتر

المعروف بلقبه هو بن الحرث النخعي يعرّفه لنا الامام علي في كتاب عهده اليه لما ولاه مصر :

« الى من بمصر من المسلمين سلام الله عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد : فقد بعثت اليكم عبداً من عباد الله لا ينامُ ايام الخوف ، ولا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر ، لا تأكل من قدم ، ولا واه في عزم ، من أشد عباد الله بأساً ، وألزمهم حسباً ، اضر على الفجار في حريق النار ، وابعد الناس من دنس وعار ، وهو مالك بن الحرث الأشتر ، حسام صارم لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد ، حليم في السلم ، رزين في الحرب ، ذو رأي أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وان أمركم ان تقيموا فاقيموا ، فانه لا يقدم ولا يحجم الا بامري ، وقد آثرتكم به على نفسي ، نصيحة لكم ، وشدة شكيمة على عدوكم ، الخ[١]

١ – ص ٤٤ مجلد ٢ ج ٧ شرح النهج

وكان الامام علي (ع) يقول كان لي مالك كما كنت لرسول الله ولما قضى معاوية عليه بالسم خطب معاوية في جمعه فقال : كان لعلي يدان قطعنا احديهما وهو عمار بن ياسر في صفين وقطعنا الاخرى اليوم

وقصة قتله من الامور المتفق عليها تقريباً عند المؤرخين وهي لما بلـــغ معاوية تولية الاشتر مصر اشتد الامر عليه وراح يفكر بالقضاء عليه قبل ان يصل الى مصر فكتب الى عامل خرجه على بحر القلزم اي (ميناء العقبة) ان يقاتله فلما قدم عليه رحب هذا به وادخله داره وعرفه ان لديه الطعام والعلف فبات عنده فسقاه شربة من العسل المسموم ، وكان معاوية يقول لأصحابه ان علياً ولىّ الاشتر على مصر فادعوا عليه بالموت ، فراح اصحابه يدعون عليه عقب كل صلواة ، ولما جاء اليه خبر موته صعد المنبر فحمد الله وقال ، لقـــد استجاب الله دعاءكم وأمات الاشتر ، ففرحوا بذلك وقيل ان معاوية ارسل رجلاً من قبله ليسمه في الطريق بأية وسيلة واختلف الرواة في كيفية دس السم له ، والمشهور انه سم بالعسل للمثل المشهور عن معاوية (ان لله جنوداً من عسل) قالها متهكماً بعد اغتيال مالك الاشتر

ولما بلغ نبأ اغتيال مالك علياً أسف أسفاً شديداً ، وحزن عليه حزناً عظيماً ، وقال : لله در مالـك ، وما مالك لو كان جبلاً لكان فنداً ، ولو كان حجراً كان صلداً ، اما والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً ، على مثل مالك فلتبك البواكي ، وقال علقمة بن قيس النخعي فما زال علي يتلهف ويتأسف حتى ظننا انه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه .

١٧ — مالك بن نويرة

يقول ابن خلكـــان في ترجمة وثيمة بن موسى الوشاء : كان مالك بن نويرة سريا نبيلاً يردف الملوك (اي ولي العهد الذي يخلف الملك) وهو الذي

يضرب به المثل فيقال : مرعى ولا كالسعدان ، وماء لا كالصداء ، (وفتى لا كمالك)

كان ابن نويرة هذا فارسا كريماً شاعراً ذا غيرة ونجدة للممسك بعنان فرسه ، فاذا سمعه بهيمة طار اليها ، وفد على النبي ـ ص ـ فاسلم وولاه صدقات قومه ، ولما ارتدت العرب بعد النبي ـ ص ـ بمنع الزكاة كان مالك من جملتهم فاخذ زكاة منهم فوزعها ، فقال مالك لخالد بن الوليد اني آتي بالصلواة دون الزكاة (١) فتجادلا طويلاً فقال له خالد اني قاتلك قال أو بذلك امرك صاحبك يعني أبا بكر ؟ (ض)

فقال خالد والله لأقتلنك فقال مالك : ابعثنا الى ابي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا من هو جرمه اكبر من جرمنا فأبى خالد ؟ وكان عبد الله بن عمر وابو قتادة الانصاري حاضرين فكلما خالداً في امره ، فكره كلامهما ، فالتفت مالك الى زوجته ام متمم قال : هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال خالد بل الله قتلك فقال مالك انا : على دين الاسلام ، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية القدر وكان من اكثر الناس شعرا فكان القدر على راسه حتى نضج الطعام .

وقبض خالد امرأة مالك وطلب من ابن عمر وابي قتادة ان يحضرا النكاح فأبيا فقال له ابن عمر : اكتب الى ابي بكر واذكر له امرها فأبى وتزوجها . لقد قال مالك : حقاً ان زوجتي هي التي قتلتني لأن خالداً كان يهواها من قبل . ذلك ما يقوله ابن خلكان : ان زهير السعدي أنشد في ذلك :

---

١ ـ راجع المرأة والتشيع من هذا الكتاب في ترجمة (عكرشة بنت الاطرش) قولها « كانت صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا وتوزع في فقرائنا كانت هذه القاعدة التي دعا بها مالك وهو من حكم امير المؤمنين علي

قضى خالد بغيا عليه لعرسه　　وكان له فيها هوى قبل ذالكا
فأمضى هواه خالد غير عاطف　　عنان الهوى عنه ولا متماسكا

وقال ابن خلكان ولما بلغ ابا بكر وعمر نبأ قتله قال عمر (ض) : ان خالداً قتـــل مسلماً فاقتله ، وانه زنى فارجمه ، فقال ابو بكر (ض) : ما كنت اقتلُ رجلا او ارجمه لانه تأول واخطأ ، فقال له عمر : اعزله ، فقال : ما كنت لاشيم سيفاً سله الله عليهم ، وقد روى هذا الخبر (النص والاجتهاد ص ٦١) (مجمع الأمثال ص ٧٨ ج — ٢) (تاريخ ابن خلكان ج — ٢ ص ١٧٢) (ايام العرب ص ١٦٠) .

وكان في عهد ابي بكر لخالد لما ارسله لقتال اهل الردة:(اذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها اذاناً للصلوة فأمسكوا عن اهلها ، حتى تسألوهم عما نصحوا ، وان لم تسمعوا اذاناً فشنوا الغارة عليهم فاقتلوا ، واحرقوا) واكثر المؤرخين حين رووا ان مالك قال لخالد انني ما ارتددت عن الاسلام وشهد بذلك ابو قتادة الانصاري الذي حلف ان لا يخرج في قتال مع خالد وقبل شهادته عمر (ض) واصبح من ألد خصوم خالد ، وكان من اقواله لأبي بكر بعثت رجلاً يقتـــل المسلمين ، ويحرق بالنار ، وذكر البعض من المؤرخين ان خالداً لما قدم الى قبيلة مالك ووجدهم مسلحين قال لهم : ما هذا السلاح ؟ فاجابه (مالك) ولماذا انتم مسلحون ؟ فطلب منهم وضع السلاح ، وأمّنهم ، ودخل جيشه في بيوت اهل القرية ثم انقضوا على الذين استضافوهم فكـــل واحد منهم قتل صاحبه بغتة بعد نصف الليل ، وكان من الذين سخطوا على خالد جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله الذي جاء يؤيد طلب عمر (ض) عند ابي بكر فاعتذر له بانه تأول فأخطأ ، فرد السبي واودى دية (مالك) من بيت المال فأضاف (الجمحي) صاحب طبقات

فحول الشعراء (ص ــ ١٧٠) ان عبدالله بن عمر كلم خالداً بعد شهادة ابي قتادة في (مالك) واصحابه فقال له : يا ابا عبد الرحمن اسكت عن هذا الامر فـاني أعلم ما لا تعلم ، وامر ضرار فضرب عنق مالك ، ومن المتفق عليه ان ابا بكر (ض) قد امر خالداً ان يفارق زوجة مالـــك ، ويقول (العقاد) في كتابه عن ابي بكر في عدم تطبيق الحكم الشرعي الذي أشار به اليه عمر (ض) فقال : « فهو اي ابا بكر كان يؤثر اللين لأنه في عامة احواله مطبوع عليه ما لم يمسّه الامر فيما يثير » وهنالك قصة مالك توردها التواريخ بالتفصيل في كثير من الكتب كالطبري في (ج ــ ٢ ــ ص ٥٠٢) وابو الفداء في ج ــ ١ ــ ص ١٦٦) و (البداية والنهاية ج ــ ٦ ــص ٣٢٢) و(فتوح البلدان ص ١٠٥) و(ابن خلدون في تاريخه ج ــ ٢ ص ٧٣) و(خزانة الأدب ج ٢ ص ٢١) و(معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٦٠) و(طبقات فحول الشعراء ص ١٧٠) و(الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ١٠) و(تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٠٩) و(اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥) و(الاصابة في ترجمته ج ٣ ص ٣٢٣) و(الاغاني جزء ١٥ص ٢٣٩)و(تاريخ الاسلام للنجارص٥٠)والعجيب من هذا المؤلف الأخير انه بعد ان سرد قصة مالك بن نويرة كما مرت قال في تبرير الموقف : « ان سياسته يعنى ابا بكر (ض) كانت سياسة حكيمة ممـــا تستعملها دول استعمارية كالانكليز » فجعل هذا المؤلف الحديد دولة الاسلام في عهد اول خليفة دولة استعمارية ولم ير اختـــلافاً في حكومة الخلافة الاسلامية عن حكومة الدول الاستعمارية !!

ومن المورخين المعاصرين العقاد في كتابه الصديق ص ٨٨ والخضري في محاضراته ج ١ ص ١٧٧ والصعيدي في القضايا الكبرى في الاسلام ص ١٠٢ ، والكوثري في مقالاته ص ٤٥٨ وهيكـــل في كتابه ابو بكر الصديق ص

١٥٥ و ١٦٢ هذا عدا مؤرخي الشيعة الذين يروون قصة خالد ومالك كما يرويها غير الشيعة مما لخصناها باختصار فيما مر .

عن البراء بن عازب قال : بينما رسول الله ـ ص ـ كان جالساً في اصحابه اذ نادى وفد بني تميم ، ومنهم مالك بن نويرة فقال : يا رسول الله علمني الايمان ، فقال رسول الله : تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله ، وتصلي الخمس وتصوم شهر رمضان ، وتودي الزكاة ، وتحج البيت ، وتوالي وصيي هذا ، واشار الى علي بن ابي طالب ، ولا تأكل مال اليتيم ، ولا تشرب الخمر ، وتوفي بشرائعي ، وتحرم حرمي ، وتعطي الحق من نفسك للضعيف ، والقوي والكبير والصغير ، حتى عدّ عليه شرائع الاسلام ، فقال يا رسول الله عد علي فاني رجل نسّاء فاعاد عليه ما قاله فعقدها بيده فقام وهو يجر رداءه ، ويقول : تعلمت الايمان وربِ الكعبة . فلما بعد قال رسول الله ـ ص ـ من احب ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا الرجل .

١٨ – البراء بن عازب

البراء بن عازب بن حارث بن عدي ابن جشم الاوسي الانصاري من كبار الصحابة ورواة الحديث عن رسول الله ـ ص ـ خرج الى (بدر) مع رسول الله ـ ص ـ فرده لصغر سنه واشترك في وقعة (احد) وبقية المشاهد كما حارب وجاهد بعد رسول الله ـ ص ـ في الفتوحات الاسلامية في فارس ، وكان من خواص الامام علي ـ ع ـ وامتنع عن بيعة ابي بكر كما تقدم وحضر مع علي ـ ع ـ حروبه في البصرة ، وصفين ، وقاتل معه الخوارج في النهروان ، ونزل الكوفة وتوفي في ايام مصعب بن الزبير .

١٩ – ابي بن كعب الانصاري

ابي بن كعب بن قيس بن عبيد الانصاري من بنى النجاد كنيته ابو المنذر

وابو طفيل سيد الفقراء بالاجماع ، واول من كتب للنبي ـ ص ـ كان قد حضر العقبة الثانية وشهد (بدراً) والمشاهد كلها مع رسول الله وفي الحديث قال رسول الله ليهنك العلم . وقال (ان الله امرني ان اقرأ عليك القرآن) وعدّه (مسروق) وهو احد اهل السنة من اصحاب الفتيا ، كان الخليفة عمر ـ ض ـ يسأله عن النوازل ، ويتحاكم اليه في المعضلات ، قيل مات في خلافة عمر (رض) وقيل في خلافة عثمان وهو من الذين امتنعوا عن بيعة ابي بكر (رض) ووقفوا بجانب الامام وهو من ثقاة المحدثين عند الشيعة الامامية .

٢٠ ـ عبادة بن الصامت

عبادة بن الصامت بن قيس بن احرم بن فهر بن ثعلبة الخزرجي الانصاري من أجلة الصحابة وفضلائهم ، شهد العقبة الاولى ، والثانية ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلها وما بعدها مع رسول الله ولاه عمر على قضاء فلسطين ، فأنكر اموراً على معاوية فأغلظ له معاوية في القول فقال له عبادة : لا اسا كنك بارض واحدة ، ورجع الى المدينة فقال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره ، فقال له : « ارجع الى مكانك ، فقبح الله مكاناً لست فيه » وكتب الى معاوية لا إمرة لك على عبادة . توفي عبادة في خلافة عثمان ودفن في البيت المقدس .

٢١ ـ عبدالله بن مسعود

عبدالله بن غافل بن حبيب الهذلي المشهور بابن ام عبد الصحابي الجليل سيد القراء واشهر المحدثين ومن ثقاتهم يقول صاحب الاستيعاب : انه من العشرة المبشرة ، وهو من النجباء الذين اصطفاهم النبي واختارهم كما تقدم ، كان من القراء الاربعة وقد أثنى النبي على حفظه للقرآن، وقرآئته له ،فقال: « من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على ابن ام عبد ، ومن اراد

ان يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن ام عبد » كان من اعلم الصحابة بكتاب الله وعلم السنة واشبه الناس دلا وهدياً وسمتاً برسول الله حين يخرج من بيته الى ان يرجـع ، روى الاعمش عن شقيق بن سلمة قال : لما امر عثمان في المصاحف امره قام عبدالله بن مسعود خطيباً فقال « أيأمرني عثمان ان اقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت ! والذي نفسي بيده لقد اخذت القرآن من فيّ رسول الله سبعين سورة وان زيد بن ثابت لذو ذؤآبة يلعب مع الصبيان ، والله ما انزل من القرآن شيء الا انا اعلم في اي شيء نزل » قال شقيق : فما سمعت احداً أنكر عليه ولا رد ما قاله كان في جليل مقامه وحب المسلمين له لما بعث اليه عثمان يطلب منه الخروج من المدينة اجتمع الناس اليه وقالوا له : أقم ولا تخرج ونحن نمنعك من عثمان ولا يصل اليك شيء تكرهه فلم يقبل ، وكان عثمان قد امر غلمانه فضربوه ، واحدثوا فيه فتقاً ، ومنـــع عثمان عطاءه وكان عبدالله هذا من اصحـاب علي ومن مواليه .

٢٢ – ظالم بن عمرو ابو الاسود الدؤلي

ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل المشهور بكنيته (ابي الاسود الدؤلي) ادرك الجاهلية والاســلام وشهد (بدرا) مع المسلمين و يقول الجاحظ كان ابوالاسود الدؤلي معدوداً من طبقات الناس مقدماً في كل منها فانه يعد من الصحابة والتابعين، والشعراء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والاشراف ، والفرسان والامراء ، والحاضري الجواب ، ومن الشيعة ، وهو واضع العربية على المتفق عليه وسئل عمن نهج له الطريق الى وضع النحو اجاب تلقيته عن علي، سكن البصرة في خلافة عمر (رض) وكان علوي المذهب ، استخلفه عبـدالله بن العباس على البصرة فأقره الامام علي عليها ، له ترجمة واسعة في كتب الادب انتهى كلام صاحب الاصابة وتوفي سنة ٦٩ من الهجرة في البصرة.

٢٣ – خالد بن سعيد

خالد بن سعيد بن ابي العامر بن امية بن عبد شمس قيل كان خامس من اسلم وقيل ثالثهم ، وكان اسلامه مع ابي بكر (رض) هاجر الى الحبشة مع من هاجر اليها من المسلمين ، استعمله رسول الله وصار على اليمن، وكان ممن امتنع من البيعة لأبي بكر وارادها لعلي وكان من المسلمين الأولين ، ومن المجاهدين في سبيل الله ، اشترك بعد رجوعه مع من رجع من الحبشة في فتح مكة ، والطائف ، وتبوك ، كما جاهد بعد رسول الله في الفتوحات فقتل فيمن قتل من المسلمين في اجنادين سنة ١٣ من الهجرة ، وقيل قتل في مرج الصفر سنة ١٤ هـ .

٢٤ – اسيد بن ثعلبة الانصاري

اسيد بن ثعلبة الانصاري ،شهد بدرا مع رسول الله ـ ص ـ وقتل في صفين مع علي.

٢٥ – الاسود بن عيسى

الاسود بن عيسى بن اسماء بن وهب ، شهد بدرا مع المسلمين وقتل مع علي بصفين .

٢٦ – بشير بن مسعود

بشير بن مسعود الانصاري البدري ، من اصحاب علي ، شهد بدرا مع النبي وشهد حروب الامام كلها ، وقتل في وقعة الحرة على يد عسكر يزيد بن معاوية .

٢٧ – ثابت المكنى بابي فضالة

ثابت المكنى بابي فضالة ، شهد بدراً وقتل مع علي بصفين .

٢٨ – الحارث بن النعمان

الحارث بن النعمان بن امية بن امريء القيس الانصاري ، شهد بدراً ، وأُحداً مع النبي ، وشهد صفين مع الامام علي .

٢٩ - خويلد بن عمرو الانصاري

خويلد بن عمرو الانصاري،شهد بدراً مع النبي،وشهد صفين مع الإمام علي

٣٠ - رقاعة بن مالك

رفاعة بن مالك بن عجلان الانصاري المكنى بابي معاذ ، شهد بدراً ، وما بعده مع النبي - ص - وشهد مع علي حرب صفين.

٣١ - رافع بن خديج الانصاري

خرج مع النبي الى بدر فاستصغره ورده ، وشهد أُحداً واصيب بسهم ، قال رسول الله : اشهد لك يوم القيامة ، وجاهد مع علي في البصرة وصفين والنهروان ،

٣٢ - ابو اليسر كعب

ابو اليسر كعب بن عمرو بن عبادة الانصاري السلمي ، شهد بيعة العقبة، وجاهد في وقعة بدر ، حتى انتزع راية المشركين ، وشهد مع علي صفين .

٣٣ - سماك بن خراشه

سماك بن خراشة بن اوس الخزرجي الانصاري ، المعروف بكنيته ابي دجانة الانصاري ، احد الثابتين الابطال يوم (أحد) اشترك مع رسول الله في (بدر) وما بعدها وحارب مع الامام علي في صفين .

٣٤ - سهيل بن عمرو

سهيل بن عمرو بن ابي عمرو الانصاري ، شهد (بدراً) وقتل في صفين مع علي .

٣٥ - عتيك بن التيهان

عتيك بن التيهان اخو ابي الهيثم حضر بدراً مع رسول الله وقتل في صفين مع علي .

٣٦ - ثابت بن عبيد

ثابت بن عبيد الانصاري ، شهد بدراً مع رسول الله ، وقتل بصفين مع علي

٣٧ - ثابت بن الخطيم

ثابت بن الخطيم بن عدي بن عمرو الانصاري ، شهد بدراً ، وما بعده مع رسول الله واستعمله الامام علي على المدائن ، واشترك مع علي في حروبه ، وكان ممن يبغضهم معاوية .

٣٨ - سهل بن حنيف

سهيل بن حنيف بن وهب بن الحكم ، شهد مع رسول الله وقعة بدر وهو احد الثابتين يوم (أحد) حتى انكشف الناس عن رسول الله ، صحب الامام علياً فولاّه المدينة لما خرج الى البصرة ، ثم شهد صفين ، ثم ولاّه علي على فارس ومات في خلافة علي سنة ٣٨ هـ

٣٩ - عقبة بن عمرو

عقبة بن عمرو المكنى بابي مسعود البدري الانصاري ، شهد مع رسول الله وقعة (بدر) وما بعدها ، واستخلفه الامام علي على الكوفة لما خرج الى صفين ، وكان من خواص اصحابه .

٤٠ - ابو رافع ابراهيم

ابو رافع ابراهيم مولى رسول الله ، من ثقاة رواة الشيعة ، حضر مع رسول الله مشاهده كلها ، وكان من اخلص الناس لعلي ، ومن كبار المحدثين عن النبي ، مات في خلافة علي وقيل في خلافة عثمان .

٤١ - انس بن الحرث

انس بن الحرث بن نبيه ، قال البخاري قتل مع الامام الحسين - ع - في كربلاء ، وكان انس ممن امتنع عن بيعة ابي بكر ، وتحصن في دار فاطمة ، فأدرك انس وقعة كربلاء ، واستشهد فيها مع الامام الحسين .

٤٢ ـ ابو بردة

ابو بردة بن نبار الانصاري ، شهد مع النبي بدراً وما بعدها وشهد مع الامام علي الجمل ، وصفين ، وحارب الخوارج معه في النهروان .

٤٣ ـ ابو عمرو الانصاري

شهد بيعة العقبة وبايع رسول الله ، وحارب معه في بدر ، وما بعدها من المشاهد ، وقتل تحت لواء علي بصفين .

٤٤ ـ الحارث بن الربعي

الحارث بن الربعي المشهور بكنيته ابي قتادة الانصاري المعروف بفارس رسول الله ، شهد مع النبي بدراً ودعا له رسول الله وكان من اصحاب الامام ، وشهد معه معركة الجمل ، وصفين .

٤٥ ـ عقبة بن عمرو

عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري ، شهد بيعة العقبة ، وبدراً ، وما بعدها ، مع رسول الله وكان من اصحاب علي وشهد حروبه .

٤٦ ـ قرظة بن كعب

قرظة بن كعب بن ثعلبة بن الجزري الانصاري ، شهد مع النبي معركة احد ، وما بعدها ، كان من فضلاء الصحابة ومن اصحاب الامام علي ،جاهد بعد رسول الله في الفتوحات الاسلامية ، وشهد معركة البصرة ، وصفين ، والنهروان ، مع الامام علي .

٤٧ ـ بشير بن عبدالمنذر

بشير بن عبد المنذر الانصاري المشهور بكنيته، احد النقباء في بيعة العقبة استخلفه النبي مرتين على المدينة يوم خرج الى بدر ، ويوم خرج الى غزوة السويق ، وكان من اصحاب علي ، ومات في خلافته

٤٨ ـ يزيد بن نويرة

يزيد بن نويرة بن الحرث بن عدي الانصاري ، شهد مع رسول الله معركة أحد ، وشهد له النبي ـص ـ بالجنة مرتين ، كان من اصحاب الامام علي وقتل في معركة الخوارج بالنهروان .

٤٩ ـ ثابت بن عبدالله

ثابت بن عبدالله الانصاري ، شهد معركة أحد مع رسول الله وقتل بصفين تحت راية الامام علي

٥٠ ـ عقبة بن عمرو

عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري ، شهد بيعة العقبة ، وبدراً ، والمشاهد وما بعدها مع رسول الله ، وكان من اصحاب الامام علي .

٥١ ـ جبلة بن ثعلبة

جبلة بن ثعلبة الانصاري ، شهد مع النبي معركة أحد ، وما بعدها ، وقتل بصفين مع علي

٥٢ ـ جبلة بن عمرو

جبلة بن عمرو بن اوس الساعدي الانصاري ، شهد مع النبي وقعة أحد وقتل مع علي في معركة صفين .

٥٣ ـ حبيب بن بديل

حبيب بن بديل الورقاء احد الذين حضروا يوم الغدير وسمع النبي ـص ـ يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) شهد معركة أحد مع النبي وشارك الامام علياً في القتال يوم صفين .

٥٤ ـ زيد بن ارقم

زيد بن ارقم بن قيس الانصاري الخزرجي ، شهد مع النبي ـ ص ـ

سبع عشرة غزوة وهو من رواة الحديث عن النبي ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، حضر مع علي معركة صفين ويعدّ من خواص اصحابه.

٥٥ — اعين بن ضبيعة

اعين بن ضبيعة بن ناجية التميمي الحنظلي وجـــدّ الفرزدق الشاعر ، اشترك مــع علي في حرب (الجمـــل) وهو الذي عقر جمـــل السيدة عائشة .

٥٦ — اصبغ بن نباتة

اصبغ بن نباتة ويعرف بصاحب علي ، اشترك مع علي (ع) في حرب البصرة والجمل .

٥٧ — يزيد الاسلمي

قتل في صفين مع علي ، ورثاه الامام ، وكان ممن شهدوا (الحديبية) وبايع (تحت الشجرة) بيعة الرضوان .

٥٨ — تميم بن خزام

تميم بن خزام شهد مع الامام حروبه الثلاث،ومات في ايام يزيد بن معاوية.

٥٩ — ثابت بن دينار

ثابت المكنى بأبي حمزة الثمالي الصحابي اشترك مع علي في حروبه، ولازمه وكان من اصحابه ، وصحب الحسن ، والحسين ، ولازم الامام علي بن الحسين (ع)

٦٠ — جندب بن زهير

جندب بن زهير الأزدي بن الحارث الغامدي ، كان من ابطال حرب الجمل مع علي .

٦١ — جعدة بن ابي هبيره

جعدة بن ابي هبيرة بن وهب ، امه ام هاني بنت ابي طالب ، ولاّه الامام خراسان .

٦٢ - حارثة بن قدامه

حارثة بن قدامة التميمي بن مالك بن زهير من اصحاب الامام علي ، واشترك في حروبه كان من رواة الصحابة والمحدثين ، روى عنه اهـــل المدينة والبصرة .

٦٣ - جبير بن الخباب

جبير بن الخباب بن المنذر الانصاري ، شهد مع علي صفين وكان من خواصه .

٦٤ - حبيب بن مظاهر

حبيب من مظاهر بن الاشتر الكندي الاسدي ، شهد مع علي حروبه وقتل مع الامام الحسين في كربلاء .

٦٥ - حكيم بن جبلة

حكيم بن جبلة العبدي بن عبد القيس كان رجلاً صالحاً مطاعاً في قومه ومن اصحاب الامام علي وكان قد سكن البصرة على رأس عشيرته ، ولمـا قدم طلحة والزبير البصرة بجيش الجمل وغدرا بالاحنف بن قيس والي البصرة من قبل الامام علي وأخذوه اسيراً بعد ان نتفوا شعر رأسه ، ولحيته ، واهداب جفونه ، خرج حكيم بن جبلة في قومه يقاتل وبعد مقتلة عظيمة بين الطرفين ، قتل حكيم واكثر اصحابه ، وذلك قبل قيام معركة الجمل .

٦٦ - خالد بن ابي دجانة

خالد بن أبي دجانة الانصاري ، من شيعة علي ، وقد شهد مع علي صفين

٦٧ خالد بن الوليد

خالد بن الوليد الانصاري ، من اهـــل المدينة ، شهد مع علي صفين وأبلى بلاء حسناً .

٦٨ - زيد بن صوحان

وهو اخو صعصعة بن صوحان ومن اخلص الناس لعلي ، ومواقفه معه مشهورة

لاسيما في معركة الجمل ، كان احد الابطال في حرب القادسية ، وقد قطعت يده في القادسية ، ثم قتل في معركة الجمل ولما بلغ السيدة عائشة نبأ قتله ترحمت عليه

٦٩ ـ الحجاج بن غزية

الحجاج بن غزية الانصاري ، قدم على علي ـ ع ـ بعد ان نكث طلحة والزبير بيعته فقال : يا امير المؤمنين دراكها،دراكها، قبل الغوث ، لا دالت نفسي ان خفت الموت ، يا معشر الانصار انصروا امير المؤمنين كما نصرتم رسول الله ـ ص ـ الا ان الآخرة لشبيهة بالاولى . وشهد معركة صفين مع علي ـ ع ـ

٧٠ ـ زيد بن شرحبيل

زيد بن شرحبيل الانصاري ، من شهود يوم الغدير ، والمحدث بحديث من كنت مولاه فعلي مولاه ، من شيعة علي واصحابه .

٧١ ـ زيد بن جبلة

زيد بن جبلة ، او ابن جبلة احد رؤساء بني تميم ، كان شريفاً في الاسلام وصاحب مروءة من اصحاب الامام وشيعته .

٧٢ ـ ابن الورقاء

بديل بن الورقاء ، قتل هو واخوه حبيب وولده عبدالله مع علي في صفين

٧٣ ـ ابو عثمان الانصاري

ابو عثمان الانصاري ، مولى بني هاشم وقد شهد صفين مع الامام علي (ع)

٧٤ ـ ابوزين الاسدي

ابو زين مسعود الاسدي بن مالك وقد شهد صفين مع الامام علي (ع)

٧٥ - ابوعمرة الانصاري

ابوعمرة الانصاري وقد اختلفوا في اسمه فقيل انه عمرو ، وقيل محصن ، وقيل ثعلبة وقد قتل في حرب صفين . مع علي (ع)

٧٦ - ابوطفيل عامر

ابن وائلة كان من شعراء الصحابة ، فاضلا ، عاقلا ، حاضر الجواب ، فصيحا ، متشيعا لعلي بن ابي طالب ، اشترك مع الامام علي في حرب البصرة ، وصفين ، والنهروان ، قال معاوية : كيف وَجْدُكَ على خليلك ابي الحسن ؟ فاجابه : كوجد ام موسى على موسى ، واشكو الى الله التقصير ، فقال له معاوية : كنت فيمن حضر عثمان ؟ قال له : كنت فيمن حضره ، فقال له : فما منعك من نصره ؟ قال له : انت ما منعك عن نصره اذ تربعت به ريب المنون، وكنت مع اهل الشام وكلهم لك ؟ فقال له معاوية: اما ترى في طلبي لدمهٔ نصرة له ؟ فقال بلى ولكنك كما قال الشاعر :

فلا ألفتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

كان ابوطفيل ممن يفضل عليا -ع- ويقدمه على الشيخين وفي (الاستيعاب) ان الذين كانوا يفضلون عليا هم: سلمان ، وابوذر ، والمقداد ، وخباب، وجابر ابوطفيل ، وقد مرت الاشارة الى ذلك

٧٧ - عبدالله الانصاري

عبدالله بن عمر الانصاري بن حدام، ابوجابر بن عبدالله من اعيان الصحابة ومن حضر بيعة العقبة واشترك مع رسول الله - ص - قال فيه رسول الله : جزا الله الانصار خيراً لاسيا عبيد بن عمر بن حدام وسعد بن عبادة وكان من المخلصين للامام علي -ع- هو وولده جابر كما تقدم .

٧٨ـ سعد بن مسعود

سعد بن مسعود الثقفي عم المختار الثقفي المشهور كان من رجال علي ـع ـ ولاه بعض اعماله وصحبه معه الى صفين

٧٩ سعد بن الحرث

سعد بن الحرث بن الصمة قتل في صفين مع الامام علي

٨٠ ـ الحرث بن عمرو

الحرث بن عمرو الانصاري وقد قتل مع علي بصفين .

٨١ ـ سليمان الخزاعي

سليمان بن صرد الخزاعي شهد مع علي صفين ، وطالب بعد مقتل الامام الحسين بدمه ، وهو رئيس جماعة التوابين

٨٢ ـ شرحبيل الهمداني

شرحبيل بن مرة الهمداني هو من رواة الحديث عن النبي ومن رواة حديث رسول الله : « يا علي حياتك وموتك معي » استعمله الامام علي ـ ع ـ على النهروان .

٨٣ ـ شبيب بن رشأ

شبيب بن رشأ النحيري وقد شهد صفين مع الامام علي

٨٤ ـ سهل بن عمر

سهل بن عمر ، صاحب المربد وقد قتل مع الامام علي بصفين .

٨٥ ـ سهيل بن عمر

اخو سهل صاحب المربد وقد قتل هو الاخر مع علي ـع ـ بصفين .

٨٦ – الحرث بن عمر

الحرث بن عمر الانصاري وقد شهد صفين مع الامام علي –ع– .

٨٧ – عبدالرحمن الخزاعي

عبدالرحمن الخزاعي القارىء لكتاب الله ، العالم بفرائض الاسلام ، روى صاحب (الاصابة) عمن روى عنه ، قال عبدالرحمن : شهدنا صفين مع علي –ع– ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانماية نفر قتل منا ثلثمائة وستون نفراً .

٨٨ – عبدالله بن خراش

عبدالله بن خراش وهو المكنى بابي ليلى شهد مع علي – ع – صفين .

٨٩ – عبدالله بن سهيل

عبدالله بن سهيل الانصاري شهد مع علي – ع – حرب صفين .

٩٠ – عبيدالله بن العازب

وهو اخو البراء بن العازب شهد هو واخوه مع علي – ع – معركة صفين والنهروان ،

٩١ – عدي بن حاتم

عدي بن حاتم الطائي المكنى بابي طريف كان من السادة الاجلاء فارسا كريما وهو من المصلين كان يقول : ما دخل وقت الصلوة الا وانا مشتاق اليها ، كانت صحبته لعلي وموالاته له وشهوده حروبه وهو من الابطال الذين فتحوا العراق ، وقد سكن الكوفة وكان من امراء جيش الامام عليّ – ع – بصفين ، قتل له في المعارك مع الامام ولدان هما : طارق ، وطريف ، وسأله معاوية فقال له : ما انصفك علي إذ أبقى على ولديه وقتل ولديك ؟ فقال له عدي : « لا والله ما انصفت انا عليا إذ قتل وبقيت انا حيا من بعده » .

٩٢ ـ عروة الاسلمي

عروة بن مالك الاسلمي شهد مع علي حرب صفين .

٩٣ ـ عقبة السلمي

هو عقبة بن عامر السلمي شهد حرب صفين مع الامام علي ـع ـ

٩٤ ـ عمر بن هلال

عمر بن هلال الانصاري وقد شهد مع علي صفين

٩٥ ـ عمر بن انس

هو عمر بن انس بن عوف الانصاري وقد شهد بدراً مع النبي ـ ص ـ وشهد صفين مع الامام علي ـع ـ

٩٦ ـ هند بن ابي هاله

هند بن ابي هالة الاسيدي امــه ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، كان منقطعا الى صحبة علي وكان من الفصحاء والبلغاء مــن الصحابة ، ويجيد الوصف ، قتل مع الامام علي ـ ع ـ في البصرة يوم الجمل .

٩٧ ـ وهب بن عبدالله

وهب بن عبدالله بن مسلم بن جنادة قدم على النبي وأسلم ، وحفظ عنه الحديث ، وصحب علياً من بعده ولما ولي الخلافة استعمله على شرطة الكوفة وكان يسميه (وهب الخير) .

٩٨ ـ هاني بن عروة

هاني بن عروة بن الفضفاض بن عمران سكن الكوفة وكان من خواص الامام ، اشترك مع الامام في حروبه الثلاثة ولما جاء مسلم بن عقيل الى الكوفة لاخذ البيعة لابن عمه الحسين بن علي ـ ع ـ نزل على هاني ولما جاء بن زياد واليا من قبل يزيد على الكوفة قبض على مسلم وهاني فقتلهما ، وقصة قتلهما معروفة في التاريخ

٩٩ – هبيرة بن النعمان

هو هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن سعد العشيرة الجعفي كان من الشرفاء كما يقول الكلبي ومن امراء جيش الامام علي ـ ع ـ بصفين وقد ولاه الامام على المدائن .

١٠٠ – يزيد بن قيس

يزيد بن قيس بن عبدالله من اصحاب علي وممن اشترك في حروبه .

١٠١ – يزيد بن حوريت

يزيد بن حوريت الانصاري شهد صفين مع علي ـ ع ـ .

١٠٢ – يعلى بن عمير

يعلى بن عمير بن يعمر النهدي كان مع علي ـع ـ بصفين وصاحب رآية نهد.

١٠٣ - انس بن مدرك

انس بن مدرك بن كعيب بن سعد الخثعمي المكنى بابي سفيان كان من شعراء الصحابة قتل بصفين مع الامام علي ـع ـ .

١٠٤ – عمرو بن العبدي

كان ابوه من اشراف عبدالقيس ورؤسائها ، وكان ابنه شريفا في الاسلام، اشترك مع علي في وقعة الجمل على رأس اربعة الاف فارس .

١٠٥ – عميرة الميثي

كان من اصحاب علي ـ ع ـ شهد صفين وكان شديدا على معاوية حتى حلف إن ظفر به ليصب الرصاص في اذنه .

١٠٦ – عليم بن سلمة النهمي

كان من الصحابة وسكن مصر ولما بويع للامام علي ـع ـ التحق به وشهد معركة صفين وعاد الى مصر مع محمد بن ابي بكر ولما قتل محمد شفع له

معاوية بن خديج وعاش الى ايام مروان وكان مروان قد هدد بقتله ولما ولي الامر قصد برقة وسكنها الى ان مات .

١٠٧ — عمير السلمي

عمير بن حارث السلمي شهد مع الامام علي ـ ع ـ معركة صفين

١٠٨ ـ علياء بن الهيثم

علياء بن الهيثم بن جرير كان ابوه من الرؤساء الذين حاربوا الفرس يوم ذي قار وكان علياء قد ادرك الجاهلية والاسلام واشترك في الحروب الاسلامية بعد النبي ـ ص ـ وقتل مع علي ـ ع ـ يوم الجمل .

١٠٩ ـ عوف بن عبدالله

عوف بن عبدالله الازدي ، شهد مع الامام علي بن ابي طالب حرب صفين وقيل قتل فيها .

١١٠ ـ علاء بن عمر

علاء بن عمر الانصاري ، وقد شهد مع الامام علي بن ابي طالب حرب صفين .

١١١ — قيس بن ابي قيس

وقد شهد معركة صفين مع الامام علي بن ابي طالب عليه السلام .

١١٢ — نهشل بن حمرة

نهشل بن حمرة بن جابر بن فطن رئيس بني حنظلة وصاحب رايتهم ، اشترك مع علي في الجمل وصفين ، والنهروان .

١١٣ — المهاجر بن خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي ، كان من اصحاب علي بن ابي طالب ومواليه ، وشهد معه حرب الجمل ، وصفين ، بينما كان اخوه عبد الرحمن مع معاوية .

١١٤ - مخنف بن سليم

مخنف بن سليم الغامدي العبدي ، من ولده ابو مخنف صاحب الاخبار لوط بن يحي بن ابي مخنف كان مع الامام وهو صاحب راية الازد في صفين ، وقتل يوم الجمل مع الامام علي – ع – وقد ولاه الامام علي اصفهان .

١١٥ - محمد بن عمير

محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمي كان من اشراف الكوفة متشيعاً لعلي – ع – وله مع الحجاج اخبار كثيرة وكان من امراء الامام يوم صفين .

١١٦ - ابو عمرة الانصاري

ابو عمرة الانصاري من بني النجار ، كان ممن شهد بدراً مع رسول الله ، وقتل في صفين مع الامام علي .

١١٧ - حازم بن ابي حازم

حازم بن ابي حازم النجلي الاحمسي ، شهد مع الامام علي بن ابي طالب عليه السلام صفين وقتل بها .

١١٨ - عبيد بن تيهان

عبيد بن تيهان ، او ابو الهيثم الذي كان اول من بايع للرسول ليلة العقبة .

١١٩ - ابو فضالة الانصاري

شهد بدراً مع رسول الله وقتل بصفين مع الامام علي بن ابي طالب .

١٢٠ - اويس القرني

الزاهد المشهور من الصحابة ، وقد قتل مع علي بن ابي طالب بصفين

١٢١ زياد بن النظر

زياد بن النظر الحارثي ، كان من قواد الامام علي بن ابي طالب في حروبه .

١٢٢ ـ عوض بن علاط

عوض بن علاط السلمي ، قتل يوم الجمل بجانب علي ـ ع ـ

١٢٣ معاذ بن عفراء

معاذ بن عفراء اخو معوذ،شهد بدراً معرسول الله وقتل في حربالجمل .

١٢٤ ـ عبدالله بن سليم

عبدالله بن سليم اخو مخنف بن سليم كان من قواد الامام يوم الجمل وبيده كانت راية الازد .

١٢٥ ـ علاء بن عروة

وقدحملراية الأزد بعد قتل عبدالله بن سليم وتم علىيده الفتح يوم الجمل .

١٢٦ القاسم بن سليم

كان صاحب راية عبد القيس يوم البصرة ، وقد قتل في حرب الجمل وقتل معه زيد وسحبان ابناء صوحان .

١٢٧ ـ عبدالله بن رقية

وكانت بيده راية عبد القيس يوم البصرة

١٢٨ ـ منفد بن النعمان

حضر معركة الجمل مع الامام وأقر له مرة بحمل راية عبد قيس بعد ان قتل القاسم ورفقاؤه

١٢٩ ـ مرة بن منفد النعمان

وكانت بيده راية عبد قيس وأبلى بلاء حسناً في معركة البصرة .

١٣٠ ـ الحرث بن حسان

هو الحرث بن حسان الذهلي ، كان صاحب راية بكر بن وائل في معركة الجمل مع علي ـ ع ـ ومن كلامه قال : (يا معشر بكر لم يكن احد له من

رسول الله ـ ص ـ متـــل منزلة صاحبكم) فقتل هو وخمسة من اولاده يوم الجمل .

١٣١ - بجير بن دلجه

حضر مع علي البصرة وتعاون هو والمعقل على عقر الجمل فانهزم اصحابه وتم النصر لعلي .

١٣٢ - يزيد بن حجبة

يزيد بن حجبة التميمي ، اشترك مع الامام علي ـ ع ـ في حرب الجمل ، وصفين ، وبعد معركة صفين ولاه الامام علي على الري .

١٣٣ ـ عامر بن قيس

عامر بن قيس الحضرمي الطائي اشترك في حروب علي ـ ع ـ وقتل في معركة صفين ،

* * * *

هؤلاء هم الطبقة الأولى من رجالات الشيعة وقد حضر معظمهم مع علي ـ ع ـ معركة صفين سواء المهاجرين منهم والانصار وكان كلهم قد ادرك النبي ـ ص ـ وحارب تحت لوائه الامويين ، واعيان قريش ، في المعـــارك التي اثارها الأمويون وجبابرة قريش ضد رسول الله ـ ص ـ لابطال دعوته ، والقضاء على شريعته في بدر ، وأُحد ، والاحزاب ، وكان معظم هؤلاء بل كل هؤلاء من انصار علي وشيعته منذ زمن النبي ـ ص ـ وممن كانوا يرون في شخصية علي المثل الاعلى ويرون ان الحق يدور حيث دار وان هنالك جامعة اصيلة تجمع بينهم وبين علي ويؤلف منهم شيعة لرجـــل تتوفر فيه كل مزايا الانسانية الكاملة . ومن الأمثلة على تفانيهم في عقيدتهم في علي وايمانهم به ما رواه ابن الأثير في (الكامل) في حوادث ســـنة ٣٦ ـ ٣٧ ـ اذ قال : « خرج

عمار يوم « صفين » على الناس فقال : اللهم انت تعلم اني لو اعلم ان رضاك عني في ان اقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت ؛ اللهم انت تعلم لو أعلم ان رضاك عني ان أضع سيفي في بطني ثم انحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت ، واني لا اعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو اعلم عملاً هو ارضى لك منه لفعلته ، والله اني لأرى قوماً ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون، وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر ، لقلت اننا على الحق وانهم على الباطل » ثم قال :من يبتغي رضوان الله ربه؟ ولا يرجع الى مال ولا ولد ؟ فأتته عصابة فقال :

« اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطالبون بدم عثمان وانهم ما ارادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبّوها ، وعلموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ، ولم تكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس ، والولاية عليهم ، فخدعوا اتباعهم وقالوا إمامنا قتل مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة ، وملوكاً ، فبلغوا ما ترون، فلولا هذا ما تبعهم من الناس رجلان ، اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت ، وان تجعل الامر لهم فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم » ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بواد من اودية صفين الا تبعه من كان هناك من صحابة النبي ـ ص ـ فتقدم عمار حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له : « يا عمرو بعت دينك بمصر فتباً لك !! فقال : ولكن اطلب دم عثمان فقال : له عمار اشهد على علمي فيك : انك لا تطلب شيئاً من فعلك وجه الله ، لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله وهذه الرابعة فما هي بأبر وأتقى » ثم برز للقتال .

قال عبد الرحمن السلمي : لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأنظر هل

بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا؟ وكنا اذا تركنا القتال يتحدثون الينا ونتحدث اليهم ، فوجدت معاوية وعمرو بن العاص وأبا اعور السلمي ، وعبدالله بن عمرو يتسارون ، فقال عبدالله بن عمرو لأبيه ، قتلتم اليوم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله ـ ص ـ : له يوم كان المسلمون ينقلون في بناء المسجد لبنة لبنة وعمار ينقل لبنتين لبنتين فغشى عليه فاتاه النبي ـ ص ـ وجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وانت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الآخرة وانت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية » فقال عمرو لمعاوية : أما تسمع عبدالله ما يقول ؟ فقال له معاوية : ما يقول ؟ فأخبره بذلك فقال : أنحن قتلناه ؟ انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم يقولون : ان قاتل عمار من جاء به الى الحرب اي علي بن ابي طالب .

يقول صاحب العقد الفريد ولما بلغ ذلك علياً قال : أنحن قتلنا حمزة ايضاً ؟ !! وهو يستهزيء بقول معاوية لأن حمزة استشهد يوم احد وكان ممن شهد المعركة ، وقد جاء به النبي ـ ص ـ

كان جيش الامام علي ـ ع ـ في صفين يشتمل على النخبة الممتازة والبقية الصالحة من رجال محمد ـ ص ـ الذين انتصر بهم في مواقفه ضد الشرك حتى اعلن كلمة الحق ، ورفع بهم راية الدين في دنيا الاسلام ، وقد شهد بذلك مستشار معاوية عمرو بن العاص في احد ايام صفين ، ولما التحق شمر بن ابرهة وجماعة من قراء اهل الشام بعد مقتل عمار بالامام علي ـ ع ـ فقال : « يا معاوية ... انك تريد ان تقاتل باهل الشام رجلاً له من محمد ـ ص ـ قرابة قريبة ، ورحم ماسة ، وقدم في الاسلام لا يعتد احد بمثله ، ... انه قد سار اليك باصحاب محمد ـ ص ـ

المعدودين ، وفرسانهم ، وقرائهم ، واشرافهم ، ولهم في النفوس مهابة ، فبادر باهل الشام مخاشن الوعر ، ومضايق الغيض ، واحملهم على الجهد ، ومهما نسيت فلا تنس انك على الباطل (١)

هؤلاء هم شيعةَ علي ، من المهاجرين والانصار وقد تعلقوا به منذ ان اسلموا ومنذ ان عرفوا علياً وامتنع الكثير منهم عن بيعة الخليفة ابي بكر (رض) يوم امتنع علي عن بيعته وقد قتل الكثير منهم بين يديه او بين ايدي اولاده هياماً بروحه ، وشخصيته ، وانسانيته الكاملة فكانوا هم الشيعة الأوائل ، وهم نواة التشيع من المسلمين المنبعثة من واقع الحياة الخالصة ، الصافية من الدنس والطمع والشره والمكروه ، فمن من الذين بقوا من اصحاب محمد من خصوم علي غير الذين اشار اليهم عمار ؟: (الذين ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين مـــا يتمرغون فيه منها) .

زبدة انصار معاوية

يقول اليعقوبي في تاريخه : « اشترك مع معاوية من الانصار النعمان بن بشر الانصاري ، ومسلمة بن مجالد (٢) ولم يكن من المهاجرين مع معاوية احد في صفين وكل من اشترك معه كان من مسلمي الفتح الذين اسلموا مقهورين ، والطلقاء المؤلفة قلوبهم وعلى رأسهم عمرو بن العاص وابو اعور السلمي (٣)

---

١ – الامام علي بن ابي طالب – لعبدالفتاح عبد المقصود (ج – ٤ – ص ٢١٠)

٢ – تاريخ اليعقوبي (ج ١ – جزء ٢ – ص – ١٧٨ –)

٣ – عده بعضهم من الصحابة وقال : ابو الحاتم الرازي : لا تصح صحبته ولا روايته شهد معركة صفين كافراً ثم اسلم (الاصابة في ترجمته)

وشرحبيل بن السمط الكندي ، وبسر بن ارطاة (١) وابو الفادية الجهني (٢) وسحرة بن جندب (٣) ومسلم بن عقبة (٤) ويزيد بن اسد (٥) وحابس بن سعد الطائي (٦) وامثالهم .

١ ـ قال يحي بن معين انه رجل سوء . وقال ابو عمر ارتكب في الاسلام اموراً عظاماً مما نقله اهل الاخبار واهل الحديث وانه ذبح ولدي عبيدالله بن العباس وهما طفلان صغيران بين يدي امهما ـ(الاصابة في ترجمته) وقال : صاحب كتاب (الدولة الاموية في الشام ص ٥) انه كان من اولئك البدويين الذين لا تتخلل الرحمة قلوبهم فيفتك باعدائه ان تمكن فتكاً ذريعاً وكان له في بث دعوة معاوية شأن »

٢ ـ ابو الفادية هذا قاتل عمار الذي قال فيه رسول الله ان الله امرني بحب اربعة : علي وسلمان ، وابي ذر ، وعمار (راجع ترجمته في هذا الكتاب)

٣ ـ ساوم معاوية على اربعمائة الف درهم ففسر قوله التالي « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » انها نزلت في قاتل الامام علي وهو عبدالرحمن بن ملجم(ترجمه في الاصابة)

٤ ـ هذا المجرم اباح المدينة الطيبة لجند يزيد ثلاثة ايام يقتل وينهب ويهتك اعراض المسلمات من حريم المهاجرين والانصار وحمل الناس على بيعة يزيد على انهم عبيد له يفعل بهم ما يشاء (الترجمة في الاصابة)

٥ . يزيد هذا جد خالد بن اسعد وقد عرّفه هشام بن عبدالملك في كتاب بعثه الى خالد يمن عليه ما اسداه اليه ومما جاء فيه ان جدك يزيد بن اسعد كان مع معاوية بصفين فعرض عليه دمه ودينه عما اصطنع عنده ولاولاده (ترجمته في الاصابة) .

٦ ـ ولاه عمر على حمص ولما سار اليه رجع وقال للخليفة : رأيت رؤيا احب ان اقصها عليك رأيت كأن الشمس جاءت من المشرق ومعها جمع كبير وجاء القمر من المغرب ومعه جمع كبير . فقال له عمر : مع ايهما كنت ؟ قال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممحوة، لاتلي لنا أمراً، فأرجعه.

الفهرست

الصفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

هذه الموسوعة

على الرغم من انتشار الحضارة والثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء والمحققين والباحثين في العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامي والآثار العربية فيما بحثوا ، وحققوا ، وكتبوا ، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى في تاريخ العالم الانساني فضلاً عن تاريخ الاسلام والعرب .

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة لم يمسها احد الا من بعض اطرافها، ولم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها ، وهي كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية ، فهي تخص العلم ، والادب، والفن، والفلسفة ، بقدر ماتخص الفقه والتاريخ ، متمثلة كلها في تاريخ العتبات المقدسة :

مكة المكرمة ـ المدينة المنورة ـ القدس الشريف ـ النجف الاشرف ـ كربلاء ـ الكاظمين ـ مشهد الرضا ـ سامراء .. الخ

فلكل عتبة من هذه العتبات تاريخ ذو علاقة جد وثيقة بالثقافة والحضارة الاسلامية والعربية ، مما اختزنته من المخطوطات الاثرية ، والروائع الادبية ، وما قامت به من المدارسة طوال العصور المظلمة ، اذ لولا هذه العتبات لما بقي اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير .

وهذا هو الذي دفع بطائفة من اهل الفضل واساتذة جامعة بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم في اخراج موسوعة تاريخية ـ علمية ـ اثرية ـ ادبية ـ عامة ، تتناول جميع العتبات المقدسة بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبة المقدسة حتى اليوم ـ على ان يكون لكل عتبة اجزاء خاصة ، وان يكون كل جزء منها مستقلاً بمواضيعه .

وهو اول عمل من نوعه ، واول مجهود خطير يقوم به مؤلفه ، ويكفي ان يستدل القارىء على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه .